امّنَاجِي ثَوَابْ ..وكُومِيدَيا الأَلَم

علوان مهدي الجيلاني

كلمة شكر

أقــدمها بكــل اعتــزاز وتقــدير للأســتاذ الأديــب:
أمين حاجب المحامي الذي تكفَّل بطباعة هذا الكتاب.

مقدمة

هاهو شريط الذكريات يعود بي إلى ليلة من ليالي أغسطس سنة١٩٩٦م.. كنت في زيارة للأهل في تهامة.. وكل زيارة لا بد أن تحفل بلقاءات وأمسيات لا تنسى.. ولكن أمسية تلك الليلة لا تتكرر..

فقد جمعني الحظ في دير أبكر بمجموعة من الرجال كل منهم يمثل ذاكرة حية لتأريخ المنطقة وتراثها الشفاهي من شعر وغناء، وما يتعلق بهذا التراث الشفاهي من رقص وألعاب وعادات وتقاليد.. وأحداث ومناسبات.. الأستاذ/علي الأهدل المقيم في صامطة بالمملكة العربية السعودية.. والدكتور/ عبدالله مالك الأهدل أستاذ علوم القرآن في جامعة الحديدة.. والأستاذ/علي محمد الأهدل التربوي الكبير، وهم من أهل دير أبكر.

والأستاذ/أحمد الوجيه من الحديدة.. ومعنا الشاعر

العجيب/أحمد سليمان، وأخي إبراهيم رحمه الله، وعدد كبير من الناس، وكان فاكهة ذلك السمر.. الوالد الشاعر/ يحيى مناجي ثواب (رحمه الله).. الذي كان يدهشنا ويطربنا بما يُقصّده (ينشده) وما يحكيه من شعر أبيه وسيرته، وما يتذكره من أحداث وعادات وتقاليد وصور من حياة المجتمع في تهامة قبل ستين عاماً بأسلوبه الفكه الجميل الذي يجر الجميع إلى الضحك، ويجرهم أيضاً إلى فتح مخازن ذاكراتهم فتنهال عشرات الروايات عن شعراء شعبيين ذهب بهم الدهر منذ أكثر من ثمانين عاماً، وكانوا يملؤون الدنيا ويشغلون الناس، مثل امبارك بكير، والنهاري حسن، وزربة، وعُفَن وغيرهم.. الأمر الذي يجعلنا نشعر بمدى المسئولية تجاه توثيق مثل هذه الذاكرات قبل أن تذهب.

ورغم أن تلك الليلة كانت حافلة بالروايات من شعر ونوادر شعبية وتراثية لا حصر لها.. إلا أن ما رواه الشاعر يحيى مناجي من حكايات عن حياة والده امناجي ثواب وشعره ومواقفه كان أكثر هيمنة على نفسي وأشد سيطرة على تفكيري، فعزمت عليه ومعه زوج ابنته المنشد أحمد سعد الله والأخ/ عبدالله أبكر عاقل من أعيان القناوص..

أن تكون الليلة الثانية عندي في الجيلانية..

كنت آنذاك في بدايات اهتمامي بتوثيق التراث الشعبي.. وعندما استقبلته هو ومن معه في منزلتنا.. كانت آلة التسجيل حاضرة.. وكان هو بلسانه المصقول الذي نادراً ما تجد شبيهاً له في الذلاقة والصفاء، ووضوح مخارج الحروف - رغم وصوله آنذاك إلى تخوم السبعين من عمره- متجلياً يحكي مزيجاً من سيرته وسيرة أبيه، فيما يطرز حَكْيَهُ بنصوص خلقتها مواقف وأحداث.. بأسلوب أخّاذ يُبهّره بضحكته الرفيعة المميزة.. فيجر الحاضرين كلهم معه.. إلى تقديم جوقة صاخبة من الضحك الصافي البهيج..

أذكر كيف كان إخوتي وبعض الأصدقاء ممن حضروا تلك الليلة يبدون عجبهم.. لأن كل هذه الطرافة والجمال والفتنة الطازجة من بلاغة السرد وبساطته.. وحلاوة المنادمة.. والذاكرة الشابة المتوهجة..تعيش معنا، ونراها كل يوم في أزقة ودكاكين سوق القناوص.. ولا نأبه لها..

ثم سال نهر السنين وتطاولت غياباتي ومشاغلي، وندرت زياراتي وإن لم تخل زيارة من لقاء به..

واستحلاب المزيد من ذاكرته، إلا أنني منذ نهاية العام ٢٠٠١م.. جعلت من توثيق ذاكرة هذا الشاعر.. هماً رئيساً من اشتغالاتي في توثيق التراث الشعبي.. فتعاملت مع ذاكرته بمنهجية وقصدية بالغة.. وكنت أرفدها بما تختزنه ذاكرات مجايليه وبعض أفراد أسرته خاصة أخوه محمد، حتى استطعت إكمال جزء من اشتغالي بالتراث الشعبي أحبه وأعتز به.. أعني كتابي هذا (امناجي ثواب.. وكوميديا الألم) الذي نشرته صحيفة الثورة على حلقات في ربيع العام ٢٠٠٥م، والذي لاقى نشره صدى كبيراً لدى القراء عامة والمهتمين بتراثنا المدفون خاصة.. وأسرة امناجي - وعلى رأسهم الوالد يحيى مناجي رحمه الله- الذين هيّج ما نشرته الثورة من حلقات عن أبيهم ذاكراتهم ففاضت بالمزيد من الأخبار والنصوص والطرائف والجوانب الخفية من حياته، وقد شهدت منزلة الأستاذ التربوي أحمد بهلول في القناوص سمرتين ليلتي ٤/٤/، ١٠/٤/٢٠٠٥م مخصصتين لتوثيق ما فاضت به تلك الذاكرات التي ضمت فقيدنا الوالد يحيى مناجي وأخاه محمد مناجي، وابن عمهما ثواب علي حسين، وصديق صغير، وشوعي علي حنش، وأبو الغيث ثواب،

والطبيب المثقف الدكتور/علي الأهدل وآخرين، وخرجت من السمرتين بمحصول ضاعف حجم الكتاب مرتين، وعدّل الكثير من فرضياته خاصة في تتبع سيرة امناجي وتقلبات الحياة به..

لم تقتصر استفادتي من ذاكرة الوالد يحيى مناجي على توثيق سيرة والده الشاعر الكبير امناجي ثواب وشعره.. بل استفدت منه إلى جانب ذلك الكثير من النصوص لشعراء آخرين مثل أحمد قفلة- صاحب المراوعة.. والنهاري امحمد وهلهل وغيرهم من الشعراء الذين عاصروا والده.. واحتكوا به حياتياً وشعرياً في النصف الأول من القرن العشرين.. ناهيك عن عادات وتقاليد ذلك الزمان، وحكايا مختلفة عن المقصّدين (المنشدين) وعن عادات المجتمع وتقاليده وثقافته الرائجة في تلك الحقبة.. وهو ما أفادني كثيراً في تصوري لعالم وحياة امناجي ثواب أثناء الكتابة عنه، كما أفادني في محاولتي رسم صورةٍ أو أجزاء من صورةِ المشهد الحياتي والإبداعي والشعري (الشفاهي) في تلك الفترة.

لقد كان يحيى مناجي.. يمثل ذاكرة من أكثر ذاكراتنا

الشعبية طرافة.. وخفة ظل.. فهو أثناء سرد مروياته يلتفت إلى أشياء لا تخطر على بال السامع، وغالباً ما تكون تلك الأشياء باعثة على الضحك، تعطي النص تأويلاً جديداً وبعداً كريكاتورياً، فكأنه كان نسخة من أبيه، فهو لا يروي عنه وإنما يعيد تمثيل أحداث حياته ومواقفه وطرائقه في التعامل مع الحياة والناس والشعر.

وإني إذ أقدم هذا الكتاب إلى القارئ لأشعر بالأسى لأن الراوية الذي أخذنا عنه أكثر نصوصه وأهم أحداثه ووقائعه قد رحل إلى جوار ربّه قبل الشروع في طبعه ببضعة أشهر[1]، وليس من واجب وفاء أستطيع فعله تجاه الراحل العزيز سوى إهداء هذا الكتاب إليه أولاً، وإلى جميع أفراد أسرته ثانياً، وإلى كل أهل القناوص الطيبين ثالثاً.

مع خالص محبتي،، ،،،

علوان مهدي الجيلاني

صنعاء ٢٠٠٧/١١/١١م

---

(١) توفي الشاعر يحيى مناجي يوم السبت ٢٠٠٥/١٢/٩م عن عمر يتجاوز السادسة والسبعين.

مدخل

هذا شاعر يختلف عن كل الشعراء الشعبيين الذين نحاول دراستهم وإلقاء الضوء عليهم، وهو شاعر يستحق التوثيق؛ لأنه يستحق البقاء، ففي شعره تجربة إنسانية فريدة، صيغت في صور بديعة وعميقة تناسج فيها الإتقان والإحساس العالي بمسحة عذبة ومدهشة من المرح والفكاهة، الفكاهة التي يعرف صاحبها كيف يشكلها بذكاء من مفردات الحياة اليومية، ومن لغة أهل الحرف والمهن والمتعاملين في الأسواق.

وهو إلى جانب ذلك يتميز بميله إلى مخالطة الصفوة من علماء ومناصب ومشائخ وتجار، مرهفاً سمعه وذاكرته إلى الألفاظ المتداولة والتعابير والمصطلحات التي تستعملها الفئات المختلفة أينما كان موقع كل فئة منها، ولا أدل على ذلك من كتابته قسماً من شعره باللغة الفصحى، وكان

جزء من ذلك يعود إلى هوايته في فن التقصيد (الإنشاد)، كما أن أسماء البلدان والأحداث التي يذكرها في شعره فصيحاً كان أو عامياً تدل على ثقافته التي اكتسبها من مخالطته للفئات سالفة الذكر، وكذلك من انتقاله بين قرى تهامة ومدنها خاصة الحديدة التي خالط علماءها واتصل بحكامها وعمل في مينائها وسجن في سجنها أيضاً.

وكذلك ارتحاله إلى عدن التي تنقل بينها وبين لحج زمناً.. ولعله وهو الذي كان يقيم في عدن عند أحد المقصدين ويتنقل معه بين عدن ولحج قد اتصل بالمجتمع الفني الذي كان أكبر أقطابه آنذاك.. الأمير القمندان، ثم رحلته في سنواته الأخيرة إلى جيزان.. كل ذلك كما قلت أضاف إلى مزاجه الفكه وحسه اللاقط إضافات كبيرة، وهو وإن كان قد ضاع الكثير من شعره مع الأسف الشديد، كما ضاع الكثير من تفاصيل حياته.. فإن ما بين أيدينا مما استطعنا أن نظفر به رواية عن ابنيه الشاعر المعروف / يحيى مناجي ثواب.. ومحمد مناجي ثواب، وابن عمهما ثواب علي، وصدّيق صغير، وعلي شوعي حنش، وعبده طاهر عقيلي، وكذلك من زوج حفيدته

الصديق أحمد سعد اللّه... ومن حفيده الزميل أبو الغيث ثواب خطيب جامع القناوص، إضافة إلى ما أمدنا به الأستاذ/ علي الأهدل —المقيم في صامطة- من مدونته الخاصة ما يعطينا صورة لحياة امناجي ولأسلوبه في شعره، ولسمات هذا الشعر، ويعطينا صوراً ومشاهد مختلفة من حياة المجتمع وثقافته وعاداته وتقاليده، ناهيك عما جرّنا إليه التوثيق له من تناولات مختلفة لشعراء شعبيين عاصروه واحتكَّ بهم واحتكوا به في مراحل مختلفة من حياته في النصف الأول من القرن العشرين.

حياته.. أو رحلة المنغصات الطويلة

اسمه وأصل أسرته

اسمه: إبراهيم حسين مناجي ثواب ولكن شهرته باسم جده (مناجي) قد غلبت عليه فصار لا يعرف إلا بها حتى ابنه الشاعر يحيى مناجي ثواب يرد اسمه هكذا.. منسوباً إلى اسم الشهرة التي عرف بها أبوه.. حتى أنني — وأنا ممن عرفه فترة طويلة - لم أكن أعرف من اسمه إلا ما اشتهر به (يحيى مناجي ثواب).

ولا ينطق الناس اسم شاعرنا إلا معرفاً بالألف والميم هكذا (امناجي)[1]، وأسرته ليست من أسر القناوص[2]

(١) غالباً ما يسمي الناس في تهامة الشام أبناءهم بهذا الاسم: (امناجي) تيمناً بالولي الكبير (امناجي) وهو الملقب بمناجي الخلا أو مناجي الزيلعية؛ وهي منطقة تقع ما بين ميدي واللحية.

(٢)القناوص: مدينة من مدن تهامة القديمة، ينسبها العامة إلى ملك قديم اسمه: =

(دقيانوس)، كما يذهب البعض منهم إلى اشتقاق اسمها من عبارة (دق يونس) وهو حداد كان يصحو المزارعون صباحاً على صوت طرقاته على الحديد .. ولهذه الرواية ما يسندها من الواقع في المديرية التي كانت وما تزال تشتهر بحدادة وصناعة الأدوات الزراعية، ويرد ذكر القناوص في تواريخ الدولة الرسولية.. مثل تاريخ ابن الديبع. كما يرد ذكرها في كتب الطبقات مثل كتاب السلوك.. للجندي الذي يذكر أنه زارها سنة ٧١٥هـ ، وتتحدث عنها تلك المصادر بوصفها (قرية) وهي اليوم مدينة يتجاوز عدد سكانها الخمسة آلاف نسمة.. يسكنها تجمع من أفخاذ قبيلة صُلَيْل.. ووافدين من مناطق مختلفة... وأهم الأسر التي تسكنها: بنو دهمش، وبنو نامس، وبنو حنش، وبنو دراويش، وبنو الداشي، وبنو كحيل، وبنو سوان، وبنو عبد الله، وبنو مجلي، وبنو سعد الله، وبنو المجحم، وبنو الشريف، وبنو ثواب، وبنو التهامي، وبنو اليماني، وبنو فتيني، وبنو بزده، وبنو جندان، وبنو الدلبوغ، وبنو امهميس، وبنو امعيدي، وبنو خبيته، وبنو إسحاق، وبنو البورجي، وبنو المبخر، وبنو جغله، وبنو تُكَّلْ، وبنو صميلة، وبنو سْهل طيره، وبنو ريحان، وبنو حولة، وبنو الشريف، وبنو جروة، وبنو صدّيق، وبنو العزي، وبنو العشي، وبنو الجمّال، وبنو حمينة، وبنو مقعد، وبنو العباسي، وبنو الفتيني، وبنو عصاد، وبنو العاقل.. وأكبر أسرها عدداً بنو دهمش وبنو نامس، وأقدم الأسر سكناً فيها بنو دهمش وبنو سوان، وبنو حنش.

وتقع القناوص إلى الشمال الشرقي من الحديدة على طريق الحديدة جيزان، وتبعد عن الحديدة بسبعة وثمانين كيلومتراً، ويقام بها سوق في يوم الخميس من كل أسبوع.

وقد كانت القناوص على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين.. ميداناً لأحداث كثيرة.. فهي تقع في حازة صليل.. بالقرب من معاقل مشائخ القبيلة، بدءاً.. بالمشائخ بني الكلفود الذين سيطروا على المنطقة بعد منتصف القرن الثامن عشر —على الأقل- ومعظم عقود القرن التاسع عشر.. وخاضوا حروباً =

طاحنة ضد المتمردين عليهم من قبيلة صليل أو من القبائل المجاورة، كما خاضوا حروباً طاحنة ضد أئمة صنعاء.. ثم ضد دولة الشريف حمود أبو مسمار.. كذلك ضد أمراء السراة بني مجثل.. وقد خرب الأمير علي بن مجثل حصونهم في معقلهم دوغان التي تقع إلى الجنوب الشرقي من القناوص بحوالي عشرة كيلومترات.. ومن بقاياها.. بنيت قلعة القناوص التي تقع في غرب المدينة.. والتي اتخذها الأتراك مركزاً لقيادتهم في المنطقة.. كما اتخذتها الحكومات اليمنية المتعاقبة مركزاً لإدارة المنطقة حتى قرب منتصف الثمانينات من القرن العشرين عندما بدأت تتهدم..

كذلك شهدت القناوص أحداثاً وحروباً قبلية وتمردات واسعة ضد العثمانيين وحروباً متعددة ضد القبائل المجاورة وبين أفخاذ صليل نفسها إبان ارتفاع نفوذ المشائخ بني القوزي الذين امتد نفوذهم على صليل.. منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر وحتى اليوم.. وكان من أهم الأسباب التي جعلت لها هذه الميزة إلى جانب قربها من دوغان معقل المشائخ بني الكلفود مشائخ صليل وما جاورها في القرن التاسع عشر، وقربها من (دير القحم ودير إبراهيم ودير كزابة ثم الحزر) وهي معاقل المشائخ بني القوزي مشائخ صليل في القرن العشرين كونها - أيضاً- سوقاً من أهم أسواق تهامة.. إذ أن موقعها في ملتقى الطرق القادمة من جبال حفاش وملحان وبني قيس وميناء الخوبة.. والقبائل المجاورة، وكونها على طريق الحج وطرق القوافل الذاهبة إلى الحديدة والمتجهة منها إلى حجة وجيزان وغيرها من مدن الشام يجعلها مركزاً تجارياً مهماً، حتى أن عبد الله يحيى دهمش أمين القناوص وأحد أعيانها المتوفى في بداية التسعينيات من القرن العشرين كان يقول: إن اسم القناوص جاء من القنص؛ لأنها تقتنص البضائع والتجار من كل مكان.

والقناوص هي مدينة حامي الحمى الولي الكبير والشاعر عبد الله ابن حسن الكميت، المتوفى في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وضريحه في سوق السمك، وقد كانت تقام له سنوياً زيارة في شهر شعبان.. وقد كف الناس =

عنها بأمر من مدير الناحية سنة١٩٨٨م

والقناوص اليوم هي مركز مديرية القناوص التي تتبعها مائة وثمان وعشرون قرية وديراً ومحلاً، تتوزعها خمس عزل هي: عزلة كشارب، وعزلة المهادلة، وعزلة القوزي، وعزلة بني مهدي، وعزلة بني الكلفود.

وعدد سكان المديرية حسب تعداد عام ٢٠٠٤م (٧٦٤٦٩) ستة وسبعون ألفاً وأربعمائة وست وسبعون نسمة؛ ويشتغل أبناؤها بالزراعة أساساً حيث تجود زراعة الدخن والذرة والسمسم وأنواع من الخضروات والفواكه .. والزراعة فيها مطرية ولكنّ بعض أراضيها تسقى من وادي تباب الذي يتدفق من جبال ملحان والظاهر وغيرهما من الجبال المجاورة .. كما تنتشر فيها المزارع المعتمدة على آلات ضخ الماء.. إضافة إلى ذلك فإن كثيراً من أبنائها يعملون في الغربة وفي أنشطة أخرى مثل الحرف التقليدية القديمة (صناعة الظلل والحبال والآجاب والمهاجن والصدن والسجاد والخزق والمحاريث وغيرها.. ويشتغل القليلُ منهم التجارة وبعض الوظائف الحكومية).

وتحتوي جهات المديرية البالغ مساحتها أربعمائة كيلو متر وعشرة كيلو مترات (٤١٠)كم٢ على كثير من الآثار التاريخية مثل: آثار مدينة أبيات حسين التاريخية التي كانت من أهم معاقل العلم في اليمن كله.. ويرقد في بقايا آثارها التي تتناثر فيها اليوم قرى بني حمزة غرب دير عطاء.. عدد كبير من علماء وأولياء اليمن أمثال: الفقيه العلامة علي بن مسعود السباعي المتوفى سنة ٦٥٠هـ ، والفقيه العلامة علي بن عمرو التباعي المتوفى سنة ٦٦٥هـ، ومعه مجموعة من العلماء المنتسبين لهذا البيت، والفقيه العلامة عيسى بن مطير الحكمي المتوفى سنة ٦٨٠هـ ، ومعه مجموعة من العلماء والفقهاء والأولياء المنتسبين لهذا البيت ، والولي الكبير عيسى بن حجاج العامري المتوفى سنة ٦٦٤هـ، والعالم المشهور علي بن أبي بكر المعروف بابن الأزرق المتوفى سنة ٨٠٩هـ، والولي العالم الرباني عبد الكريم الجيلي المتوفى سنة ٨٢٠هـ ، والعالم الفقيه المحدث المؤرخ البدر حسين بن عبد الرحمن الأهدل =

المتوفى سنة ٨٥٥هـ ، كما أن من أبنائها العالم والفقيه الأديب الشهير إسماعيل بن أبي بكر المقري المتوفى سنة ٨٣٧هـ بـ(زبيد) وغيرهم من العلماء والأولياء والفضلاء عشرات وعشرات.

ومن آثار مديرية القناوص (إلى الشرق من مدينة القناوص ببضعة كيلو مترات قرب دير عويدان) بقايا قرية الغصن التي حفلت كتب التاريخ والطبقات بذكرها وفيها بقايا آثار الولي محمد بن عبد الله المؤذن من أولياء القرن الثامن الهجري وهو أحد العشرة الكبار.

وفي المديرية أيضاً آثار ابن بدر أو دير الفقهاء وقد كان أحد المعاقل العلمية التي ذكرها البدر الأهدل في تاريخه ونسبها إلى الفقيه أحمد بن بدر أحد أتباع الشيخ أبي الغيث بن جميل، ويضم المكان ضريح الولي (أبو سيفين الزيلعي).

ومن آثار المديرية البارزة حصن منابر الشهير الذي أقامه أو أعاد بناءه الأمير يحيى بن حمزة مطلع القرن السابع الهجري.. ويضم ضريح الولي أحمد بن محمد اقعش (المتشوف).

ومن آثارها بقايا ملاعب الخيل في جبل وقيهه.

إضافة إلى بقايا حصون دوغان.. وآثار الحسينية والحمينية والمهندسية قرب دير كزابة.. التي تضم آثاراً كثيرة وضريح امرأة اسمها جواهر بنت يوسف، والمقبرة الأزرقية وكدف المعلم.

ومن آثار المديرية مقابر بني هلال غرب القناوص وغرب دوغان، إضافة إلى أضرحة وهجر عدد كبير من الأولياء والفضلاء مثل: راعي امردحه.. قرب الخلعية، وامحمد هادي اقعش في دير امحمد هادي، وأبو راس شرق محل عابد، وأبو ريش في دير أبو ريش، والمعتكف جيلان في الجيلانية.. والطعان في الحزر.. وأبكر مكين في دير المكين.. ومهدي بن أحمد بن جيلان في الداودية، وبردى جنوب الخلعية والنهاري حسن في دير النهاري وغيرها مما يطول ذكره. (مختصر من بحث في تاريخ مدينة القناوص وما يتبعها، والمعلومات الواردة هنا بعضها مشار إلى مراجعه وبعضها مأخوذ عن الأساتذة: عمر كزابة، وعلي عباسي، وأخي إبراهيم رحمه الله، والعاقل أحمد يحيى دهمش).

القديمة، فقد وفد إليها جده وربما جد أبيه من عبس[1]، فهم ينتسبون إلى أسرة بني ثواب المشائخ المشهورين هناك.

ويقول ابناه يحيى ومحمد: إن أول من دخل القناوص قادماً من عبس جد أبيهم، وكان اسمه عيسى علي قبول، وأن سبب خروجهم من عبس هو حرب خاضتها أسرتهم ضد الأئمة شردتهم وفرقت شملهم، فمنهم من اتجه إلى الشام، ومنهم من اتجه إلى اليمن، فالذين اتجهوا إلى اليمن كان منهم جد أبيهم عيسى علي قبول الذي نزل القناوص، أما الذين اتجهوا إلى الشام فقد استقروا في جيزان وعرفوا فيما بعد ببني شوكان، وأن أباهم بعد عودته إلى القناوص إثر سنوات طويلة قضاها في الحديدة وعدن ذهب إلى جيزان وبقي هناك فترة من الزمن عند شوكان الذي كان أميراً (يقصدان وجيهاً) هناك قبل أن يعود ليموت في القناوص.

---

(١) عبس: مديرية من مديريات محافظة حجة، وهي تقع في تهامة الشام شمال وادي مور.

أما ثواب علي حسين وعمره حوالي تسعين سنة وهو ممن كان في سن الرجال عند الغزو السعودي لتهامة سنة ١٩٣٤م —كما يقول- فهو يؤكد أن عيسى علي قبول يعد جده السابع، بمعنى أننا لو حسبنا أجيال أولاده وأولاد أولاده فإن هذه الأسرة يكون قد مر على وجودها في القناوص حوالي مائتين وخمسين سنة.

صفته

أما صِفته: فقد كان مربوع القامة أسمر صافياً، أكثر ما يميزه صوته الجميل على حد وصف ابنه (يحيى) فيما يقول ابنه الأصغر محمد إن أباه لم يكن طويلاً بالمرة.. ولا هو بالقصير مثلنا (يقصد نفسه وإخوانه) كان مربوع القامة، وكان أميل إلى البياض.. أي أنه كان قمحياً كابنه يحيى.

أما صفاته النفسية: فكان حسب رواية ابنه محمد.. سخياً صادقاً لا يحب اللف والدوران، وكانت أدنى حاجة تلمسه بها يزعل (يقصد أنه كان حساساً جداً..) وهذا ما سيؤكده شعره لاحقاً.

مولده ووفاته

ولد امناجي ثواب في القناوص سنة ١٨٧٨م أو سنة ١٨٨٠م، أو ما بين نهاية العقد الثامن وبداية التاسع من القرن التاسع عشر.. حسب تقديرات ابنيه الشاعر يحيى مناجي وأخيه محمد مناجي وهما يقولان: إن والدهما عاش حوالي ٦٥ أو ٦٧ سنة، ومات حوالي عام ١٩٤٥م..

أو أنه مات قبل الثورة بخمسة وعشرين سنة تقريباً أي حوالي ١٩٣٧م كما يقول ابنه محمد.

ولكنني أعتقد أنه إذا كان مرجحاً أن يكون قد ولد في التاريخين المشار إليهما، فإنه يكون قد مات بعد التاريخين المشار إليهما؛ لأن ثواب علي يؤكد أنه عندما مات لم تكن سنه تقل عن السبعين؛ ولأن ابنه يحيى يروي لنا أيضاً أن والده قد عاش في القناوص قرابة الأربعين عاماً، وكان يعمل في الصياغة قبل أن يغادر إلى الحديدة وعدن.

فإذا أضفنا إلى هذا ما نقرؤه في إحدى قصائد امناجي الفصيحة التي أرسلها إلى صديقه محمد يحيى دهمش أحد أعيان القناوص من عدن أو الحديدة،

(والأرجح من الحديدة)، وفيها يعتذر عن العودة إلى القناوص لشؤمها وما لاقى من كساد الحياة فيها، ذاكراً في نهاية قصيدته مجموعة من الأحداث العالمية الكبرى التي يقول فيها:

والحرب بين الكفر ما زال دائراً
الإنجليزي وجرملي وإيطالي
ومدائن المسقوف بالحرب أعلنت
الروس واليابان والبرغال
ولله در الترك ما شد باسها
أعاد بناها مصطفى بن كمال

فإننا من هذه القصيدة نفهم أنه كتبها في بداية الحرب أو إبان الحرب العالمية الثانية، وهذا يعني ترجيح ما ذهب إليه ابنه الشاعر يحيى من أنه توفي حوالي ١٩٤٥م، صحيح أن امناجي يقحم اسم الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك مما يوهمنا أن القصيدة قد تكون كتبت في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى (أي في أول العشرينيات من القرن العشرين وبعد بزوغ نجم الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك)، ولكن ذكر اليابان التي

لم تشترك في الحرب العالمية الأولى واشتركت بقوة في الحرب العالمية الثانية، يرجح أنه كتبها في أول الحرب العالمية الثانية، خاصة وأن ذكر امناجي لأسماء البلدان المتحاربة (الإنجليز، وجرملي (الجرمان) أي الألمان، وإيطالي، ومدائن المسقوف (موسكو) والروس واليابان والبرغال (البلغار أو البرتغال) لا بد أن يكون بعد أن أقام في مدينة الحديدة ثمّ عدن ثم الحديدة مرّة أخرى زمناً؛

لأن الراديو في ذلك الوقت لم يكن منتشراً ومثل هذه المعارف (أخبار وأحداث العالم وسواها) لم تكن تتيسر إلا للمتصلين بأهل العلم والسلطان، وبالتجار المتصلين بالعالم الخارجي عن طريق التجار الأجانب الذين يتعاملون معهم، أو عن طريق قيامهم هم أنفسهم بالسفر للتجارة، فإذا وصلت هذه المعارف إلى القرى وصلت نادرة وقليلة وغير مستوعبة في مجتمع ظل إلى فترة قريبة يعبر عن العالم كله بـ(امبحور) ويرى أن حد الدنيا عدن، وهو تعبير يختصر كل معرفة لذلك العالم المجهول...

ذهبت إلى أن امناجي لابد أن يكون قد عاش زمناً في المدينة (الحديدة وعدن) ليفقه إلى حد ما مثل هذه

المعارف ويستعملها في شعره ويرسلها إلى أصدقائه في القناوص مدلاً بما صار يعرفه من أخبار عجيبة يستحق أن يكون سعيداً بها في غربته التي وفرت له أيضاً الصحبة الجيدة والعمل الجيد عكس القناوص التي لم يكن له فيها علم ولا مال، ومع ذلك فإن استيعاب امناجي لأحداث العالم عليه علامة استيعاب الرجل الأمي الذي ليس مطالباً بالتفريق بين التواريخ والأحداث كما تنبئنا بذلك أبياته.

وبوسعنا أن نقول إن امناجي وهو الدائم الارتياد لمجالس العلماء والمناصب والسادات وأهل الحكم وسراة الناس عامة منذ أن كان في القناوص، حيث كان يذهب إلى الحدادية ويجلس عند السيد أحمد جيلان[1]، ويروح إلى محل عابد عند السيد علي جيلان الأعمى[2]، ويذهب إلى دير القحم

(١) السيد أحمد بن جيلان، أحد المناصب الكبار، وقريته الحدادية تقع في مديرية المغلاف بالقرب من آثار وبقايا مدينة المهجم التاريخية، وقد توفي في النصف الأول من القرن العشرين وكان صاحب مآثر عظيمة منها: بناء جوامع محل عابد ودير المقازلة ودير صالح ودير عكاد.
ومن مآثره أيضاً إكمال جامع الحدادية.

(٢) السيد علي جيلان الأعمى، الولي الكبير، وآخر المكاشفين أصحاب الكرامات، =

عند التاجر المشهور عبد الباري مكعدل[1] الذين كانوا يحبونه ويدعون له حسب قول ولديه، كما كان في عدن يرتاد مجالس الإنشاد وربما كان في سفراته إلى لحج قد التقى بالقمندان، أما في الحديدة فقد كان يجالس أعيان الناس من مسئولين وعلماء وتجار، إضافة إلى اشتغاله بصحبة المقصدين بل وهوايته لهذا الفن وكونه شاعراً تهش له المجالس ويعجب به الناس، كل ذلك إضافة إلى ما يطبعه شعره في أذهاننا عنه من خفة الدم والحضور اللطيف الذي يسهل له أن يعرف ويستعرف سائلاً ومثاقفاً

كان ساعياً في الخير والإصلاح بين الناس، مجاب الدعوة، مقصوداً، محبوباً، مُحسناً، مُجِيراً لا يصل أحد على من استجار به. توفي بمحل عابد في ٢٩ رمضان ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤/١٠/١٥م، وقد قارب الخامسة والتسعين من العمر ودفن في الحدادية.

(معلومات من الشاعر محمد جيلان عابد باتصال منه إلى مقر المؤتمر الشعبي في القناوص الساعة السابعة والربع من مساء الأحد ٢٠٠٦/٧/٢٣هـ).

(١) السيد عبد الباري مكعدل، من قرية دير القحم الشرقي مديرية القناوص، كان من كبار أغنياء المنطقة، وكان ذا مكانة اجتماعية كبيرة، كثير الإحسان إلى الناس، مقصوداً من كل الجهات بسبب ما اشتهر عنه من الكرم ولطف الجانب، وكان رجلاً صالحاً مهتماً ببناء المساجد، توفي في شهر نوفمبر سنة ١٩٩٢م.

ومصغياً لما يقال، وهي طبيعة أمثاله، كما أنها طبيعة موجودة في ابنه الشاعر يحيى مناجي.

وبناء على قول ابنه الشاعر يحيى إنه عاش بعيداً عن القناوص ما بين اثني عشر عاماً وخمسة عشر عاماً ومكث في القناوص بعد عودته إليها حوالي سنة واحدة ثم مات، فإن امناجي يكون قد ارتحل عن القناوص سنة ١٩٢٠م، وعاد إليها حوالي سنة ١٩٣٣م، أو ١٩٣٥م، وهذا ما تنفيه قصيدته التي أرسلها إلى صديقه محمد يحيى دهمش يعتذر فيها عن العودة إلى القناوص ويذكر فيها مجريات الحرب العالمية الثانية التي نشبت نهاية الثلاثينيات، وهذا معناه أن نميل إلى ما ذكره محمد مناجي الابن الأصغر للشاعر وهو أن والده قد عاش في الحديدة حوالي عشرين سنة ثم عاد إلى القناوص فتكون عودته بداية الأربعينيات، وهذا لا يتوافق مع ما ذكره محمد مناجي أيضاً الذي يبلغ الآن من العمر الخامسة والستين من أن والده لم يعد من الحديدة إلا بعد أن أقام لهم محضر ختانٍ كبير هناك حضره أعيان

القناوص وعلى رأسهم نائب الإمام في القناوص آنذاك السيد علي التهامي، ويقول محمد إنه كان إبان ذاك في العاشرة من عمره وأخوه يحيى في الخامسة عشرة من عمره وأنه يذكر جيداً كيف جاء الحضارة[1] من أهل القناوص راكبين على حميرهم وكيف كانوا يذهبون بها إلى الحالي[2] لتروى، فإذا كان محمد اليوم (٢٠٠٥م) في السابعة والستين من عمره تقريباً فإنه يكون مولوداً عام ١٩٣٨م تقريباً وبالتالي فإن محضر ختانه وأخيه يحيى كان سنة ١٩٤٨م.

وما ذكره ابنه يحيى من أنه عاش بعد عودته إلى القناوص حوالي سنة ثم مات يجعل موته سنة١٩٤٩م، أما لو اعتمدنا على ما قاله محمد من أن والده عاش بعد عودته إلى القناوص حوالي عشر سنوات فإن ذلك سيجعل

(١) الحضارة: جمع حاضر؛ وهم الذين يُدْعَون إلى حضور المحضر (العرس).

(٢) الحالي: منطقة تقع في الجزء الشمالي الشرقي من مدينة الحديدة، اشتهرت بوجود آبار ماء حلو فيها، وكانت فيها آبار الإمام وما زال الناس يشربون من ماء الحالي إلى اليوم؛ وهي الآن إحدى مديريات مدينة الحديدة حسب التقسيم الإداري الجديد الذي اعتمد في سنة١٩٩٧م. (عن محمد درويش الهزازي أثناء إخراج الكتاب بتاريخ١٩/٤/٢٠٠٦م).

موته بعد منتصف خمسينيات القرن العشرين، وهذا يتفق ولو جزئياً مع ما ذهب إليه يحيى ومحمد ومعهما ابن عمهما ثواب علي في جلسة مراجعة الكتاب بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٤م من أن امناجي بعد عودته من الحديدة ذهب فترة من الزمن إلى بني عمه في جيزان قبل أن يعود نهائياً إلى القناوص ليموت، وموته قريباً من منتصف القرن العشرين أو بعده يؤكده ذكره لجهاز الراديو في قصيدة قالها قبل عودته بزمن وذلك عند خروجه من السجن، يبشر أهله بفك قيوده وقبل عودته إلى الاشتغال بالصياغة، وكذلك قبل اشتغاله عند الشراعي[1].

وقد لفت نظري في القصيدة أنه بدأها بمخاطبة (الراديو) هكذا:

يا راديو الأخبار أسرع مبشراً

لأخي وأصحابي وأهل بلادي

بلغهم مني السلام وقل لهم

الحمد لله الآن فُك قيادي

---

(١) الشراعي: ستأتي ترجمته.

ومع أن ثواب علي يؤكد على أن امناجي قالها قبل ظهور (الراديو) وأنه كان فيها يتنبأ بظهور هذا الاختراع إلا أنني – برغم يقيني من شيوع التنبؤ بين الشعراء الشعبيين في تهامة ممن سبقوا امناجي أو من عاصروه أو من لحقوا به– أشك فيما ذهب إليه ثواب علي بسبب ورود كلمة (راديو) وقد استعمل امناجي الاسم الأجنبي الذي لم يكن معروفاً للناس قبل ظهور (الراديو)، والتسمية بالاسم تعني معرفة المسمّى خاصة وأن الاسم قادمٌ من لغة أجنبية، ولو كان استعمل لفظاً عربياً فصيحاً أو دارجاً أو لفظاً دالاً أو موحياً بوظيفة (الراديو) لكان ذلك مقبولاً كما فعل بكير[1] حين تنبأ قبل

(١) مبارك بكير: شاعر من صليل.. أسرته في قرية الخلعية إحدى قرى مديرية القناوص، تقع إلى الشرق منها بحوالي ثلاثة كيلومترات.
عاش بكير بين أربعينيات القرن التاسع عشر تقريباً، وتوفي عند إطلالة عشرينيات القرن العشرين، كان شاعراً مُغنياً، ويكاد يكون أشهر شعراء تهامة الشفاهيين قاطبة؛ إذ تمتد شهرته من زبيد جنوباً إلى صبيا شمالاً، ومن جبال حراز وحفاش وملحان وبني قيس شرقاً إلى كمران وفرسان غرباً.. ولعل سر ذلك لا يكمن في شاعريته الضخمة فحسب بل في ارتباطه بتاريخ المنطقة التي سجل شعره أحداثها واحتفى بأوجاعها ومراراتها، كما سجل أوجه وصور جمالها الإنساني والروحي والطبيعي، وأيضاً في كارزميته وحضوره القوي.. وفي قدراته العجيبة على التنبؤ والاستبصار، ورؤية الأحداث البعيدة وقت حدوثها، =

مائة سنة بظهور الهاتف (التلفون) فقال:

وْذَحِّـيْنْ أَتَانَـا[1] هَـاجْسُ وْلِـي كَاثْـبُ يَكْتُبَـهْ
وْعَادْهَـا شْـتَاقَعْ[2] هَوَاتْـفُ وْشَـيْبَطَّلْنْ مَكْتَبَـهْ[3]

لاحظ الطريقة التي أورد بها بكير نبوءته فقد ذكر كلمة (هواتف) والهاتف عند الناس قبل أن يعرفوا الهاتف الآلة هو الصوت البعيد الذي لا يُرى صاحبه، وقول بكير: (وشيبطلن مكتبه) هو الأكثر دلالة في هذا السياق، فهو يشير إلى استغناء الناس بالهاتف - خاصة الهاتف النقال- عن الرسائل (مكتبه).

إن قول امناجي: (يا راديو الأخبار) تربط (الراديو) بوظيفته الأساسية إذاعة الأخبار الأمر الذي يجعلنا لا نستبعد أن تكون القصيدة قد قيلت في أول ظهور

والإخبار عنها، وأيضاً في قدرته على القتل بالعين والشعر.. وهو لا يزال إلى اليوم يمتلك حضوراً طاغياً في وجدان الناس.. وما زالت مئات القصائد له تروى ومئات المواقف عنه تحكى.

(١) وذحين: وهذا الحين. أتانا: أتاني.

(٢) وعادها: تستعمل في اللهجة التهامية بمعنى سوف يحدث، شتاقع: ستكون، أو ستجيء.

(٣) شيبطلن مكتبه: سيتركون كتابة الرسائل.

الراديوهات، وأن امناجي الذي تميّز دائماً بحاسة الالتقاط والقدرة على توظيف كل المدركات من حوله في سياقات شعرية ناجحة قد بادر إلى توظيف هذه الآلة الجديدة في قصيدته الموجهة إلى أهله في القناوص استجابة لفطرته الشعرية وإدلالاً بمعارفه الجديدة عند أناس لم يصلهم بعد هذا الاختراع، ولعلهم سمعوا به سمعاً بعيداً لا تتضح به صورته في أذهانهم، ولعل مجيء القصيدة إلى أهل القناوص قبل أن يتعرفوا على (الراديو) هو ما جعل الأمر يختلط على الرواة فيما بعد كما حدث لثواب علي، فظنوا أن القصيدة نبوءة بظهور (الراديو).

***

بين ضرورات العيش وقلق الشاعر

حسب رواية ابنيه فإن امناجي ثواب عاش أكثر من نصف عمره الأول مستقراً في القناوص قبل أن يبدأ ارتحالاته بين عدن والحديدة، ويذكران أنه كان يعمل صائغاً وهي مهنة كان يبدو لي من اشتغال أبنائه (بما فيهم الشاعر يحيى وبعض أبنائه) بها أنها متوارثة في هذه

الأسرة، ولكن ابنيه أكدا لي في جلسة المراجعة الأولى لهذا الكتاب أن دخول أسرتهم في الصياغة كان سببها مصاهرتهم لبني كحيل وهم أسرة طارت شهرتها في جودة الصياغة وابتكار أشكالها[1]، فقد تزوجت أخت امناجي ثواب من عبده كحيل جد بني كحيل الساكنين الآن في القناوص فدخل في حرفة الصياغة من هذا الباب، ويذكر ابنه (يحيى) أنه لم يكن صبوراً وهي الصفة نفسها التي يذكرها الشاعر الابن عن نفسه... كما أنها من سمات معظم المبدعين الكبار.

نتذكر عدم صبر الشاعر الأسطوري مبارك بكير على أعمال (المشقاية) وعدم ثباته على عمل معين مما كان يجعله دائماً قليل الرزق، ومعنى ذلك أن دخله لم يكن ثابتاً، والدخل الثابت يحتاج إلى الصبر والمثابرة والإخلاص في العمل.

إنه إذن قلق الشاعر.. قلق ذلك الشيء العجيب الذي

---

(١) في إحدى أشهر وأجمل قصائد الشاعر الأسطوري مبارك بكير يشبه شفتي محبوبته بفضة كحيل فيقول:

وله مبصم كفضة كحيل لا وزن لها انجوم ربي وقفن

يتخلق داخل النفس ويعصف بالروح، ويجعل المرء لا يطيق البقاء على حال واحدة، فهو كما قال المتنبي:

على قلق كأن الريح تحتي

أوجهها جنوباً أو شمالا

إن القلق هو ما حدا ببكير لأن يذهب إلى ضريح الشيخ سود الكميت وينام فيه طالباً حوالة وما جعله يرفض كل عمل اعتيادي أشار به الولي في مناماته، حتى جاءته الإشارة المغايرة.. فطلبها وبها تفجرت شاعريته، هذا القلق عينه هو الذي كان يزلزل نفس امناجي ويجعله غير قادر على الصبر في ممارسة الصياغة التي تحتاج إلى إمعان ودقة وطول بال ونفس... فكان يتمرد عليها.. وربما كان يتركها بين حين وحين، ونستطيع أن نلمس تعطله عن العمل في تردي أحواله حتى أنه كان ربما اعتمد أحياناً في معاشه على ما يتوقعه من مساعدات الموسرين والأصدقاء، الذين قد ينكصون أحياناً عن المساعدة فتنسد الطرق والمسالك في وجهه ويجد نفسه وهو العفيف النظيف والمبدع عاجزاً عن تحصيل رزق يوم لأولاده؛ فيجأر بالشكوى.. إلى الله سبحانه وتعالى على هذا النحو:

إلهـــي تراكمـــت الهمـــوم عليَّـــا
وإلى ســـواك فلـــن أمـــد يـــديا
أنـا المـذنب العاصـي المـسيء حقيقـة
وأنـــت ربـــي بالعبـــاد حفيـــا
فأنـــا وأبنـــائي نعـــد بـــستة
ورزقـــي ليـــوم لم يعـــد مكفيـــا
وأنزلـــت في القـــرآن آيـــة قلتهـــا
وجعلنـــا بعـــضهم لـــبعض ســـخريا
فإن كنت مسخوراً فسخر ساخري
حتـــى يـــرق ويعطفـــنَّ عليـــا
وإلا فسد البعض عن بعض بعضه
وقـــل ذا منـــاجي مننـــا وإليـــا

القلق الإبداعي وضيق منافذ الرزق هما ما حدا بالشاعر في النهاية إلى مغادرة القناوص إلى الحديدة.

وإلى جانب الرغبة في طلب الرزق كان امناجي بالضرورة كثير الميل إلى التواصل بكبار الرعية والتجار والمشائخ والمناصب، حريصاً على حضور الأحداث أو العلم بها، وحريصاً على حضور المناسبات الكبرى والمشاركة

فيها، شاعراً ومنشداً ومادحاً وراثياً وهاجياً ومعبراً في كل الأحوال عما في نفسه كشاعر يتميز بحسٍّ الفضول والطموح، وصلاته بهذه الفئات، تتوطد أكثر إذا سكن في المدينة التي ستبعده في نفس الوقت عن أحوال القناوص العامة التي كانت تتميز بالجور والظلم والحسد والنميمة والرزايا حتى صار ترابها نجاسة، والبعد عنها حكمة وكمالاً كما يقول الشاعر في قصيدته التي أرسلها إلى صديقه محمد يحيى دهمش:

وصل الكتاب بخطه المتلالي

وقرأت ذاك الخط أشرح بالي

وفهمت معناه فذابت حشاشتي

وذكرت أياماً مضت وليالي

يا ابن يحيى الدهر غير مساعدٍ

ولكل دهر دولة ورجال

حب الوطن حق على كلِّ امرئ

ولكنني أحببت بعد وصالي

مـن جـور مـا فيهـا ، ومـن ظلـم أهلـها

فيهـــا المـــصائب والبلـــى المتـــوالي

بـــلاد تـــراب الأرض فيهـــا نجاســـة

والبعـــد عنهـــا حكمـــة وكمـــال

والحـسد فيهـــا ، والنميمـــة طبعهـــا

دار الفـــساد وأرض كـــل ضـــلال

كـــم عانـــدتني بالرزايـــا جهـــرة

وصـبرت حتـى طـال فيهـا مطـالي

وخرجـت منهـا نلـت كـل مـسرة

وحمـــدت ربـــي الواحـــد المتعـــالي

فنحن نرى كيف أن امناجي يحن إلى أصحابه وأترابه ومسقط رأسه، ولكنه مدفوع عن العودة بما ذكره من صفات سيئة تدفعه عن بلدته التي نال السرور بمجرد الخروج منها.

ثمة نص آخر لـ امناجي يدل على ضيقه بتردي أحواله في القناوص التي تتقلب الأحوال بناسها فترفع الدنيء

وتدني الرفيع.

كان في القناوص رجل يدعى شحاتة جبلي[1] وكان يعمل مساعداً لمقهوية اسمها تُقنه.. وكان أكثر عمله معها طحن القشر.. ثم اغترب هذا الرجل في جدة –كما يروي ثواب علي– فتحسنت أحواله وعاد موسراً فاشترى الأراضي وتزوج من بني الحداد، وكان بنو كحيل هم الأسرة الموسرة ذات الوجاهة في القناوص، فصار طبيعياً أن يتقرب شحاتة إليهم ويسايرهم دلالة على تغير أحواله وارتقاء مستواه الاجتماعي بعد اليسار الذي حصله من غربته.

وكان امناجي يتوقع من شحاتة أن يذكره بشيء من مال أو هدايا، أو حتى (عزومة وتخزينة) وهذا ما لم يفعله شحاتة.

وفي ظروف امناجي السيئة تلك فإنه كان يرى إهمال شحاتة له من جهة، ومسايرته لبني كحيل وتخزينه معهم كل يوم من جهة أخرى إحدى علامات تغير الزمان وتبدل محاسنه وترديه، فقال واحدة من أجمل صوره وأبدعها:

(١) أخبرني أفراد أسرة امناجي في الجلسة الأولى لمراجعة هذا الكتاب أن شحاتة مات في مدينة جدة.

زَلّ مِـنْ كُـلّ شِـي احْـسنَهْ[1]

شْحَاتَهْ امْسُبْقَهْ صَبَّحْ يُدَّعَى فُلاَنْ[2]

يْمَاشِـي كْحَيْـلْ وَابْنَـهْ

نْسِي امّقَهْوِي اللّي كَانْ يْنَافِعْ تُقْنَهْ[3]

وْيْدِينَـهْ تْكَفّـدَنْ

وْهُوْ يَطْحَنْ قِشْرُ كُلّ يَوْمْ صُدْنَهْ[4]

---

(١) زل من كل شي احسنه: ذهب من كل شيء أحسن ما فيه.

(٢) امسبقه: السبقة هو الرجل الذي حملت به أمه قبل أن يعقد أبوه عليها، فهو سابق على العقد، والعادة المعروفة أن السبقة لا تكون منزلته في المجتمع سيئة كمنزلة ولد الزنا مجهول الأب بحكم أن أباه قد تزوج أمه ونسبه إلى نفسه، ولكن السبقه مع ذلك لا يعامل معاملة الأولاد الشرعيين فالناس لا يفتؤون يعيرونه كلما اختلف مع أحد منهم. صبح يدعى فلان: أصبح ذا مكانة اجتماعية مرموقة، والناس في الكثير من مناطق اليمن يقولون للرجل إذا كان وجيها: فلان؛ تعظيماً لشأنه ودلالة على مكانته.

(٣) نسي امقهوي اللي كان ينافع تقنه: نسي نفسه عندما كان يعمل مقهوياً (صبياً في قهوة) ينافع (يساعد) المقهوية (تقنه).

(٤) ويدينه تكفدن وهو يطحن قشر كل يوم صدنه: ويداه تورمتا لكثرة ما يمسك بها آلة الطحن (الودي الذي يطحن به على الرحى المعروفة في تهامة)، والكفد: هو المجل في الفصحى - نتوءات صلبة في راحة اليد والأصابع تصيب الذين يعملون بالحراثة وبالطحن والحدادة والنجارة وقطع الحطب وغيرها من سائر الأعمال اليدوية. صدنة: الصدنة إناء يصنع من سعف الدوم، ويتخذ مائدة للطعام ووعاء للطحين سواء كان المطحون ذرة أو طيباً أو بُناً أو حناء أو غيره، وهو يتسع لحوالي كَيْلة (ثمن قدح=علبة النيدو الكبيرة تقريباً).

ومن علامات قلق امناجي - الذي كان بوصفه مبدعاً وطامحاً ونقياً ينشد بالضرورة حياة مختلفة- زواجه أكثر من مرة قبل أن تستقر حياته الزوجية:

فقد تزوج المرة الأولى وكانت زوجته من (بني تكل) إحدى أسر القناوص، واسمها (عافية)، وأنجب منها ابنه الكبير (سليمان مناجي) الذي مات قبل نهاية القرن العشرين في جدة.

وتزوج المرة الثانية بامرأة من ملحان اسمها (زرعة) وقد أنجبت له ابنتين لم تعش أي منهما، ولم يستقر إلا مع الثالثة واسمها (زهرة عبده) من ملحان أيضاً من قرية في قمة الجبل تسمى (شعبة تطل) وهي أم أولاده يحيى ومحمد ومريم، ومع زوجته الأخيرة عاش في الحديدة بعد انتقاله إليها.

انتقاله إلي الحديدة

سكن امناجي الحديدة وبدأ العمل عند رجل من بني صبري (اسمه مصطفى صبري وأسرته إحدى الأسر التركية التي بقيت في اليمن بعد خروج الأتراك منها سنة ١٩١٨م وكان يعمل مديراً للمالية وكان له صنبوقان

لـصيد الـسمك) وقـد عمـل امنـاجي وكـيلاً لـه علـى الصنبوقين، وكان للصنبوقين ناخوذتان[1] أحدهما اسمه جـابر حـبر، والثـاني حمـادي، وقـد نـشأت علاقـة ود واستلطاف بين امناجي وجابر حبر، في حين كانت تتميز علاقته بحمادي بعدم الود والقبول، فكان دائماً يمدح جابر حبر ويعلي من قدره في الوقت الذي يغض من شأن حمادي ويصغره، ومن قصائده في جابر حبر هذا الطارق الجميل:

يَا رَاكْ فِي وَادِيْ الْمُسَمَّى وَدِي رَاكْ[2]
مَـا قَـطّ يُوجَـدْ عِنْـدَنَا رَاكْ مِنُّـهْ[3]
جَـابِرْ حُبَـرْ شَـاحِنْ زَعَـابِرْ وَدِيْـرَاكْ[4]
وَارَى امْحَمَالَـهْ عِنْـدَنَا رَاكْمِنُّـهْ[5]

ومما قاله في حمادي:

(١) الناخوذة: هو الربان (قائد المركب).
(٢) يا راك: أيها الأراك (شجر الأراك المعروف). في وادي المسمى ودي راك: في الوادي الذي يسمى وادي الأراك.
(٣) ما قط يوجد عندنا راك منه: لا يوجد لدينا أراك مثله.
(٤) شاحن: مُحَمَّل. زعابر وديراك: نوعان معروفان من السمك.
(٥) وارى امحماله: وأرى الحمالين. راكمنه: قد ركموا بعضه فوق بعض.

صَـنْبُوقْ حُمَـادِي وْشَـارْ إِسْـمَهْ بُقِّـي

قَـــــادَعْ لِـــــي بْحُكْلِتَـــــيْنْ

مَا قَطِّعْ مِنَّهَا وْمَا بَقِّـي[1]

ويبـدو أن إقامـة امنـاجي عنـد مـصطفى صـبري كانـت جيدة ومريحة لنفسه، فقد اندمج في تلك الأسرة وكان — كمـا روى لـي يحيـى- إلى جانـب كونـه وكـيلاً لمـصطفى صـبري علـى الـصنبوقين يتـولى أمـور مقاضـي البيـت وحاجياتـه اليوميـة ممـا يحتاجـه المطبـخ وخلافـه، وكانـت أجرته الشهرية خمسة ريال فرانصي، قال محمد: كانت تكفيه لكل مصروف بيته حتى نهاية الشهر وزيادة، ولعل الأكثر دلالة على ارتياح امناجي لهذه الأسرة ومعاملتهم

(١) وشار: تعني الحديد (هذا تفسير يحيى مناجي.. ولكن الوشار كما فسرها لي الأستاذ عيطان إبراهيم حسن صباح الأربعاء ٢٠٠٧/٢/٢١م في التحرير بصنعاء، يعني جديد نازل من على المنزك، والمنزك: مكان صناعة وترميم القوارب).

وبقي: تعني أي كلام. قادع: جاء. والحكلتين: جملتين أو شكتين من السمك، وكانت الحكلتان تعلقان في مهب (عصا) على كتفي الصياد بعد ربطهما بالطفي (عسب الدوم)، والحكلة تساوي تقريباً خمسة عشر كيلو. ما قطع منها وما بقي: ما أقطع منها وما أترك؛ كناية عن قلة المحصول من الصيد.

الطيبة له، وهو أمر يؤكد أيضاً ما أسلفته من قدرة امناجي على الالتقاط وحسن استعداده للمغامرة الإبداعية مع كل جديد ما رواه لي ابنه يحيى من أنه كان يقول شعراً بالتركية، وقد غنى أخوه محمد ذلك الشعر بلحن تركي جميل، وقد رسمت حروفه كما سمعته منه:

١- اسكداره جندرر دم بالمنديل بلدم
منديليلي شنده لكم در در دم

٢- بينانول دي دابيل بي نا مل آناه
يا شاصين هريات عدالات يا شاصين مرات

وعندما استوثقت من ابنيه إن كان الشعر له أو إن كان قد تعلم من التركية ما يجعله يقول شعراً بها لم ألق منهما إجابة شافية، ولكن الأستاذ طاهر أحمد رجب أخبرني فيما بعد وأنا أتندر بهذا النص في مقيل بمقر جمعية الحديدة بصنعاء بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٣١م أن النص الأول منهما أغنية تركية مشهورة كانت تردد بالأسطوانات منذ الحرب العالمية الأولى وأنها اشتهرت فيما بعد على لسان مغنية أمريكية. وهذا يعني أن امناجي قد حفظ

النصين من بني صبري الذين لا بد أن يكونوا ممن يمتلكون أجهزة الفونغراف آنذاك شأن ذوي المكانة العالية من الأسر المماثلة، ولا بد أن امناجي كان يحصل على فرص للاستماع على الأسطوانات التي تبث الأغاني بالتركيةً.

ومما يدل على ارتباط امناجي بمصطفى صبري القصيدة التي قالها متأسفاً على أيامه (أيام مصطفى صبري) حين عزل من جمرك الحديدة، وهي كما يؤكد صديق صغير وأبو الغيث ثواب اللذان رويت عنهما القصيدة في جلسة مراجعة الكتاب الأولى من أوائل قصائده التي قالها عندما راح إلى الحديدة وهو يقول فيها:

كتبت إليكم والدموع سواكب

أشكو من الدهر الخؤون الكاذب

على أخي وأبي وابني وصاحبي

أعني أبو العباس نسل الأطايب

عليك سلام الله يا أشرف الملا

ويا عمدتي عند ازدحام النوائب

غـدرت بنـا الأيـام بعـد ارتحـالكم

وَصُـفَّت جيـوش الهـم فـوق المواكـب

مـــا زلـــت أداريهـــا بكـــل مذلـــة

أســعى إليهــا ماشــياً غــير راكــب

ولمـــا رأت ذلـــي وقلـــة ناصـــري

زحفــت علــيّ بجنــدها والمواكــب

وأصــبحت مأســوراً لــديها مــسلماً

يحرم على عيني الكرى في الغياهب

إلى كم أداري النفس بالعل والعسى

حتــى وهــن عظمــي وابــيض شــاربي

وأنقــذني عقلــي وسمعــي ونــاظري

أن انهض قبل أن تُلقى أسير المتاعب

فلمــا رأيــت العقــل والــسمع والبــصر

يقولــون لــي لــيس الجلــوس بواجــب

وفي أي أرض لم تكــن لــك حرفــة

فيهــا فــدعها وارتحــل يــا صــاحبي

وارحـــل إلى أرض ســـواها وانتظـــر

رزقـــاً مـــن الملـــك القـــدير الواهـــب

هـــو رازق الحيتـــان في لج بحرهـــا

والطير في الأوكار ووحش السباسب

ولا أشـــتهي مـــالاً كـــثيراً فربمـــا

سيكوى بـه وجهـي وظهـري وجـانبي

سوى اللطف من الرحمن غاية مقصدي

حتـــى تـــوارى في الـــتراب جـــوانبي

وفحوى القصيدة يقول: إن امناجي ربما يكون قد خرج من عند مصطفى صبري بعد نقل مصطفى صبري من المالية، كما يشتم منها أن مدة امناجي عند مصطفى صبري لم تكن طويلة، فهو كما يبدو من شكواه الزمن وتعبه مما يلاقي منه ما يزال قريب عهد بما تركته في نفسه أيام عيشه في القناوص من التعب والضنك وقلة ذات اليد.

وإن كان لنا دليل في نص آخر يؤكد أن امناجي قد حسنت حالته عند مصطفى صبري لدرجة أن يُقصد (ولو بالنصب والحيلة) للحصول على بعض المال، ففي يوم من

أيام عمله عند مصطفى صبري جاءه رجل من الحزر[1] اسمه المقري فبادره بشعر يقول:

أخوك اشترى فضه مع لص سارقا

وحاطت به الأقدار من حيث لا يدري

وشاعت به الأخبار إلى والي الأمر

وكان قصده أن يعطيه امناجي مالاً لينقذ به نفسه، فأعطاه امناجي خمسة ريالات فرانصي وأعطاه مصطفى صبري ريالين حق الطريق والمصروف، ثم انكشف لـ(امناجي) فيما بعد أنها كانت كذبة تكذبها الرجل ونصب بها عليه فقال:

أجاني لص سارق اسمه المقري

يسأل عن اسمي وعن مصطفى صبري

يقول أخوك اشترى فضه مع لص سارق

وحاطت به الأقدار من حيث لا يدري

وشاعت به الأخبار إلى والي الأمر

---

(١) الحزر: إحدى قرى مديرية القناوص، وهي معقل المشائخ بني القوزي مشائخ صليل، وتقع إلى الشمال الشرقي من القناوص ببضعة كيلومترات.

وخـرج منيـع الوجـه يمـشي بـسرعة

كأنــه صــدقاً صــحيحاً بــلا عــذر

عليــك يــا المقــري ثلاثــين لعنــة

عــدد ركعــات التراويــح والــوتر

تخــصك يــا كــذاب حيــاً وميتــاً

مـا دامـت الأفـلاك في بحرهـا تجـري

❖ ❖ ❖

رحلته إلي عدن

لم تكن إقامة امناجي ثواب في الحديدة إقامة متصلة فبعد تركه العمل مع مصطفى صبري قطع إقامته في الحديدة بسفرة استمرت سنة أو سنتين إلى عدن، وكنت بناء على ما ذكر لي ابنه الأكبر الشاعر يحيى أعتقد أنه ذهب إلى عدن مجاراة لطبعه في حب التعرف على العالم وارتياد موارد جديدة للرزق، خاصة وأن عدن كانت في تلك الفترة قبلة الطالبين في كل شيء، وزاد من اعتقادي تعبير ابنه يحيى بقوله: (إن والده تردد على عدن لفترات)، فكنت أفهم تعبيره بمعنى مرات متكررة، ولكن

يبدو أنه كان يقصد بقوله لفترات (فترة طويلة) ولكن يحيى كان ناسياً سبب ذهاب والده إلى عدن فقد أصيب يحيى بالحصر (وهو الحصوة التي تنمو في الكلى أو الحالب) ويقول محمد: إن إصابة يحيى بالحصر كان ناتجاً عن أن أمه كانت ترضعه وهي تعرق! ولم يكن أمام والده إلا الذهاب به إلى عدن حيث الأطباء البريطانيون والهنود، ليتم إجراء عملية جراحية له تُستأصلُ بها تلك الحصوة، قال محمد إن أباه أركب أمهما على حمار ووضعهما في صندوقين، وحملهما عدلين على الحمار كل واحد منهما في كفة، وانطلق يتبع الحمار بسوط في يده على امتداد الرحلة الطويلة من الحديدة حتى وصلوا عدن، وهناك بعد أن تم إجراء العملية الجراحية ليحيى بسلام بقي امناجي كعادته عند أحد المنشدين يتنقل معه لفترة بين عدن ولحج، يخالط المنشدين، ولا أدري إن كان اقتصر نشاطه على المنازل والمبارز والمخادر أم أن فضوله قد دفعه في لحج إلى التعرف على القمندان مثلاً.

المهم أن امناجي ظل مع أسرته في عدن لسنة أو سنتين واشتغل —كما يقول محمد- إلى جانب التقصيد قولجياً (حارس جندرمه) وسكن في صندقة حتى حدث ذات يوم

أن خُطفَ ابنه محمد، خطفته امرأة قال إنها تجابرت مع أمه (تحدثت معها) حتى نامت ثم سرقته من الحندول (الهندول = المهد) لتذهب به إلى دورية إنجليزية كانت تتهيأ بدورها لتذهب به إلى جهة ما لسرقة دمه (حسب روايته)، أما يحيى فيقول: إن سبب محاولة سرقة أخيه محمد هي ذبحه لأن هؤلاء (محمد يقول الإنجليز ويحيى يقول الإثيوبيين) كان لهم موسم في شهر نيسان يذبحون فيه الناس! ولكن رجلاً كان يشتغل في العسس هناك - وأصله من دير الحداد بلاد الزعلية- اكتشف الأمر، وجاء فأخبر امناجي، الذي رأى ابنه مع العجوز فلم يتمالك أن هجم عليها وطعنها بجنبية أو سكين (يقول محمد إنه لا يدري إن كان أباه قد أصابها مجرد إصابة فقط أو أنه قتلها).

عودته إلي الحديدة

بعد ذلك الحادث أخذ امناجي زوجته وأولاده وفر هارباً فلم يبت إلا في كرش ومنها إلى تعز ثم الحديدة ليستقر مرة أخرى بها، مواصلاً حياته فعمل قولجياً (حارس جندرمه) في جمرك الحديدة وهو العمل الذي

انتهى بسجنه ستة أشهر في القضية التي لفقها له مسعود والتي سيأتي حديثها فيما بعد، وكانت فترة إقامته في الحديدة من أجمل فترات عمره.. لولا السجن.

وبعد خروجه من السجن عمل في حرفته القديمة صائغاً، ثم عمل عند الشراعي (السيد أحمد الشراعي)[1] في جمع الخمس الذي كان يؤخذ على المحوات، ولم يقتصر

(١) لم أعثر على ترجمة له، ولكني وجدت ذكراً واسعاً لأسرته؛ فبيت الشراعي فرع من بيت الأهدل، ذكر المؤرخ العلامة إسماعيل بن محمد الوشلي في الجزء الأول من كتابه (نشر الثناء الحسن) تحقيق إبراهيم المقحفي ط١. مكتبة الإرشاد ٢٠٠٣م ص٣٠٥: أن ذكرهم قد ورد في كتب كثيرة، ثم قال: عرفت منهم السيد الجليل أحمد بن يحيى شراعي الساكن ببندر الحديدة، وقد كان والده السيد يحيى بن علي متولياً رئاسة البندر من قِبل الدولة العثمانية إلى أن توفي في عام مائتين وألف، ثم تولى بعده ابنه المذكور فعظمت منزلته عند الدولة بمفاوز عن والده، وارتفعت مرتبته عندهم وساعدته المقادير حتى ترقّى إلى الرتب المعروفة عندهم وقارب رتبة الوزارة، وشاع ذكره وبَعدَ صيته حتى كوتب وامتدح بالقصائد من البلاد الشاسعة كحماة الشام ودمشق وغيرهما، وهو ذو عقل رصين ورأي صائب، مُجالس للملوك مخالط لهم، وكثرت لديه الدنيا فبنى بيوتاً شامخات في بندر الحديدة واشترى غيرها، وله صدقات كثيرة ومحاسن شهيرة، ومع ذلك هو كثير التواضع حسن الأخلاق سهل الخطاب ليِّن الجانب مُكرم لأهل الفضل والشرف ومُحسن إليهم، مُنزل الناس منازلهم، مواظب على أداء الفرائض، وهو وقت هذا —عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف– موجود، ثم توفي ليلة الجمعة من ربيع الأول سنة (١٣٣٠هـ) على ما هو عليه، عافاه الله آمين.

ولعل أحمد الشراعي الذي عرفه امناجي كان حفيداً أو ابناً للشراعي الذي عرفه الوشلي.

عمله عند الشراعي على العمل في جمع الخمس بل كان أيضاً يقصِّد في مبرزه (منزلته- ديوانه) الذي كان من أشهر مبارز الحديدة آنذاك، وكان يقيّل فيه كبار رجالات الحديدة وأعيانها، كما كان مقصد الكثير من ذوي الفضل الوافدين إليها، وكان معظم ما يقصِّده قصائد من شعره وتلحينه يؤديها إلى جانب ما كان يختاره من شعر مشهور للآخرين، بل إنه كان يلعب دوراً كبيراً في تجميل المقيل ومسرحته من خلال مبارزاته وتحدياته ونكاته التي يدخل فيها مع الشعراء معارضاً ومتحدياً ومهاجياً، وقد ظل على تلك الحال حتى عاد إلى القناوص، ولعل فكرة العودة التي كانت مستبعدة عنده قبلاً كما عرفنا من رسالته لدهمش قد صارت مقبولة، خاصة بعد أن كبر وبعد أن بدأت شواغل الحنين تشغله، وكثر إلحاح الناس عليه حتى أن سراة القناوص -كما يروي يحيى- كانوا يبذلون له إقامة البيوت فقالوا له: تعال وعلينا بناء العرُش والعشش وحتى المصروف.

العودة القلقة إلي القناوص

ولكن رجعة امناجي لم تكن أيضاً رجعة استقرار وهدوء، ولعله لم يجد في القناوص ما كان يؤمل، خاصة وقد تعوّد على حياة المدينة والتواجد داخل مجتمع كبير مثل

مجتمع الحديدة وعدن، فتوجه إلى جيزان لزيارة أهله هناك لفترة من الوقت كما مر بنا ثم عاد عودته التي مات فيها.

ومما يدل على أن عودته تلك إلى القناوص لم تكن عودة استقرار نفسي أو مادي: مغامرة قام بها هي في نفس الوقت بمقدار ما تدل على قلق حياته وعدم استقرارها تدل أيضاً على محاولاته للبحث عن مصدر مالي.. لا تخلو الطريق التي سلكها إليه من طرافة هي من مظاهر خفة دمه وميله إلى المغامرة والتعجيب، فقد جاءه رجل من بني قيس بلا جواز ويريد الدخول إلى السعودية وأوهمه أنهما يمكن لهما أن يذهبا معاً فيدعي امناجي أن القيسي عبدٌ له فيبيعه لأحد من جهة جيزان، وكان هذا التصرف معهوداً في ذلك الوقت يقوم به كثير من الناس ممن يضيقون بسوء الحال وقلة المال أو كثرة العيال، وكانت ابنته قد خطبت تواً فأخذ مهرها واشترى حماراً وذهب ليبيع ذلك الرجل، ولكن الأمور لم تجر مجاريها كما توقع، بل تعسر حاله، وضاقت به السبل؛ فباع الحمار ولم يتمكن من بيع العبد (الرجل القيسي) الذي هرب وترك امناجي وحيداً فرجع بلا مال ولا عبد ولا حمار وليس معه مما ذهب به إلا شد (وطاف = بردعة) الحمار على ظهره.

قصته مع مسعود

بوسعنا أن نتصور سعادة امناجي بعمله في الحديدة وبتنقله بين المنازل والمقايل والمخادر محبوباً عند الوجهاء والأعيان كما هو عند سائر الناس حتى جاء مسعود لينغص عليه فيدخل بسببه السجن لمدة ستة أشهر، وكأنه قد كتب على هذا المبدع أن يتعذب في كل مواطنه التي عاش فيها.

يتعذب في القناوص بالقلق وقلة ذات اليد، وبمجتمع ضيق مليء بالجور والظلم والحسد والنميمة، والرزايا، وينغص عليه في عدن بمحاولة اختطاف ابنه حتى ليتورط في محاولة قتل أو أنه قتل بالفعل. وأخيراً ينغص عليه في الحديدة التي كانت جلسته فيها ستكون حقاً حافلة بالمسرات ونيل المراد، لولا اللئيم مسعود الذي حول حياته إلى كابوس لبعض الوقت، ولكنه —ويالمفارقة- كان سبباً أيضاً في جعل امناجي يقول أجمل ما بين أيدينا من شعره:

من رواية الشاعر يحيى مناجي الابن الأكبر لشاعرنا نعرف أن مسعوداً كان من عمال الجمرك في الحديدة، وأنه كان حمراني اللون بلطجياً نافذاً بسبب علاقات مصالح تجمعه بالنافذين من ذوي الضمائر المريضة في الميناء، أما محمد مناجي الابن الأصغر لشاعرنا فيقول إن مسعوداً هذا كان عبداً من دير كزابة (مديرية القناوص) وأنه كان يعرف بـ(مسعود كزابة).

على كل حال كان مسعود بلطجياً محتالاً يعيش على السرقات والابتزاز والاحتيال، وقد فهمت من يحيى أنه كان مدعوماً أو مرهوباً فلم تصل إليه يد السلطة ولا زجره زاجر لفترة طويلة.

وحدث أن نفذ مسعود سرقة كبيرة في جمرك الحديدة، وعند اكتشاف الأمر وبدء التحقيق فيها اتهم مسعود جماعة من العاملين في الجمرك بمشاركته في تلك الجريمة... بل وزاد فاتهمهم بالتغرير به، فعندما سأله بعض المساجين من غير أصحاب القضية: ما أدخلك هنا (يقصدون السجن)؟ قال لهم: عمر وصله، وابراهيم

احمد، وامناجي. وقد ادعى في التحقيقات أن (عمر وصلة) قد سقاه شيئاً مسكراً في كأس شاي بالحليب كما تفصح عن ذلك إحدى قصائد امناجي:

قُلْتَ امنَّاجِي عَسّ لَكْ[1]
وَابْرَاهِمَ احْمَدْ[2] كَمَانْ[3]
وْتْقُولْ عُمَرْ وِصْلَهْ تْوَسَّعْ وْدَخَّلَكْ[4]
فِي امْبَيْتْ بَيْنَ امْوْهَانْ[5]
وْشَاهِي لَبَنْ سَكَّرَكْ
وْتْقُولْ إِنَّكْ فُلاَنْ

دخل امناجي والمتهمون معه السجن، ودخل مسعود السجن أيضاً ولم يذكر الفاعلين الحقيقيين لأنهم كانوا ملتزمين بالمصاريف وغيرها لأولاده، وتمكن بشكل قوي من إحكام قرائن الاتهام والإدانة على امناجي ورفيقيه، وهنا جرد امناجي لسان شعره على مستويين:

(١) عس لك: مر بك ليأخذك.

(٢) حافظنا عليها كما تنطق في اللهجة.

(٣) كمان: أيضاً.

(٤) توسع ودخلك: جعل من بيته ملجأً أو موقعاً تدبران فيه ما تدبران.

(٥) في امبيت: في البيت. اموهان: الضوء.

الأول: شعبي يحاجج من خلاله مسعوداً ويفضحه ويشهر به.

والثاني: فصيح يخاطب به الإمام يحيى حميد الدين ونائب الإمام على الحديدة.. (العمري)[1] وسيف الإسلام (عبدالله) الذي كان نائباً قبل العمري ثم ذهب إلى مصر سفيراً لليمن هناك وعندما رجع من مصر إلى الحديدة قدّم امناجي إليه شكواه شعراً.

وهنا يتبين لنا أن محاولات امناجي كتابة قصائد

(١) لقد خانت الوالد يحيى مناجي ذاكرته فحكاه لنا هكذا (أحمد العمري) ولكن اسم نائب الإمام على الحديدة في تلك الفترة هو محمد بن الحسين بن علي العمري (١٩٠٩- ١٩٧٦م) وقد كان يعرف بالأصغر تمييزاً له عن العلامة/ محمد بن حسين بن علي العمري المتوفى سنة ١٩١٢م.

عاش في مدينة صنعاء فتلقى العلم عن أبيه وعن أخيه القاضي/ أحمد بن الحسين، وعن العلامة إسماعيل بن علي الريمي، والعلامة أحمد بن علي الكحلاني وغيرهم، كما درس في المدرسة العلمية في مدينة صنعاء.

عمل مدرساً في الجامع الكبير بصنعاء مدة، ثم تولى نيابة لواء الحديدة، ثم ولاه الإمام يحيى بن محمد حميد الدين عاملاً على بلاد حراز غربي مدينة صنعاء وأقرّه بعده ابنه الإمام أحمد على ذلك، وبعد قيام ثورة ١٩٦٢م وقيام النظام الجمهوري مكث في عمله هذا لبعض الوقت ، ثم عُين عاملاً على قضاء آنس من بلاد ذمار.

(عن موسوعة الأعلام- دكتور/ عبد الولي الشميري).

فصيحة رغم أميته كان لها نفعها في واحدة من أهم أزمات ومنعطفات حياته.. إذ لو كان لا يعرف إلا قول الشعر العامي لما كان استطاع إيصال ما في نفسه إلى سيف الإسلام بكل وضوح.

وإذا كانت روايتا ابني امناجي تقول إن مسعوداً دخل الحبس مع امناجي وبقية المتهمين فإن سياقات قصائد امناجي يفهم منها أن مسعوداً لم يدخل معهم في نفس الوقت، وأنه قد دخل بعدهم، وأن طريقة القبض عليه كانت مهينة له وكانت من دواعي تفجر سخرية امناجي الشعرية به كما سيأتي.

ولا أدري إن كان امناجي قد قال قصائد يهجو بها مسعوداً عند بداية الأزمة وصدمته بما حدث أو خلال المدة التي قضاها في الحبس قبل القبض على مسعود أم لا؟ فكل ما بين أيدينا من هذا اللون ثلاث قصائد يبدو من سياقاتها أن اثنتين منها قيلتا بعد القبض على مسعود، والثالثة قيلت بعد أن أفرج السيف عبد الله عن امناجي وتم استدعاء مسعود إلى صنعاء، ولكن بين أيدينا

نصوص من المستوى الفصيح وعددها أربعة، واحدة منها وجهها إلى الإمام يحيى حميد الدين، وأخرى في هجاء مسعود، وثالثة وجهها إلى سيف الإسلام عبد الله وبسببها خرج من السجن، مع تأكيد يحيى أن أباه قال قصائد وجهها إلى العمري نائب الإمام على الحديدة، وكان امناجي يرفقها مع أوراق شكاواه وكانت الشكوى تسمى إشارة فيقال: قدم فلان إشارة إلى نائب الإمام...

ويظهر مما رواه يحيى مناجي أن (العمري) نائب الإمام على الحديدة كان يتعنت على امناجي ويرفض الإصغاء لشكاواه وتظلماته.. فكان امناجي كلما قدم إشارة للنائب.

ردّ النائبُ : تكلم بالصدق يحسن الله المخرج..

حتى ضاق امناجي ذرعاً بتلك الردود فكتب إشارة للنائب يقول فيها: ما هو الصدق الذي تريدون أن نتكلم به..؟

فكان النائب بعد ذلك يمزق كل إشارة تقدم إليه منه.

وكانت قصائد امناجي الفصيحة.. تحمل نفس القدرة

المدهشة على التصوير لولا قصورها اللغوي والنحوي.. بسبب أمية الرجل.. وقد صوب من خلالها سهاماً نارية إلى مسعود.. من مثل قوله في قصيدة وجهها للإمام يحيى يتعجب فيها من تصديق نائب الإمام على الحديدة لمسعود وأكاذيبه.. ويربأ فيها بالإمام عن تصديق مثل تلك الأكاذيب، فاضحاً في نفس الوقت سلوكيات مسعود وانحرافاته في قصيدة ليس عندنا مع الأسف إلا هذه الأربعة الأبيات منها:

مولاي هل تسمع لمسعود دعوة

ولمثل ذاك اللص قول يسمع

مسعود ضارر بالعباد

فهل ترى في السجن كمن ثاوٍ يتوجع

مسعود خانكمُ وأنتم دولة

الجن تخشاكم ومنكم تفزعُ

مسعود قطاع الصلاة تعمداً

مسعود لله ركعة لا يركع

وقوله - ويبدو من مطلعها أنه قالها بعد انكشاف أمر

مسعود ولكنها عندنا غير كاملة وهذا ما لدينا منها:

الحمـد للّه الواحـد المعبـود كم أسدل الأستار على مسعود
فلما طغى وبغى وجار وأجرما وبلـغ مراتـب جـده نمـرودُ
زحفت بـه الأقـدار إلى الجمـرك الـذي فيـه سـباع ضـارية وأسـود
وأسـرت مـسلوب الـستار بـالرأس موجـوداً ، بـصفة فقيـد
ونطقـت يـا ابـن اللئـام تكـذباً تملـي أناسـاً في البيـوت رقـود
ترمـي أجـل النـاس يـا أرذل المـلا ترمـي بريئـاً فعلـه محمـود
فعليـك مـني لعنـة ممـدودة عـدد الحـصى والرمـل والجلمـود

وقد استطاع النص الثالث من نصوصه الفصيحة التي قالها في أزمته تلك أن يساعد على خلاصه من كربه.. وبين أيدينا منه تسعة أبيات رويتها عن ابنه الشاعر يحيى الذي أكد لي أن بعد البيت الثامن نقصاً.. نتج عن نسيانه للنص بكامله..

لقد وجه امناجي قصيدته هذه المرّة إلى سيف الإسلام عبد اللّه الذي كان وقتها قد عاد من رحلته إلى مصر.

قصد امناجي وجه سيف الإسلام بعد أن يئس من استماع العمري له.. وبعد أن أمعن في تمزيق إشاراته

المقدمة إليه — بحجة الغضب من رد امناجي القوي عليه كما أسلفنا..

يقول امناجي:

يـــا ليـــت عـــين ابـــن الإمـــام تراهـــا
قـــد أظلمـــت مـــن بعـــد صـــبح ضـــياها
العـــــدل ولّـــــى والمظـــــالم أقبلـــــت
مـــــن بعـــــد عبـــــد الله فـــــاش حماهـــــا
أيـــا فخـــري الإســـلام هـــل مـــن عـــودة
إلى الحديـــــــــدة تنتظـــــــــر أُمَرَاهَـــــــا
ضـــاع الفقـــير لا اســـتماع لمـــا شـــكى
وأنـــت المخاطـــب يـــوم جمـــع لقاهـــا
إذا أســـــجن المظلـــــوم وقـــــدم إشـــــارة
تـــــشتط[1] والله قبـــــل أن يقراهـــــا
ولـــي ســـتة أشـــهر في الـــسجن ثاويـــاً
مـــــن غـــــير ذنـــــب محتمـــــل بلواهـــــا

(١) تشتط: تُمَزَّق.

حاشـــاكمُ عـــذراً وأنـــتم نـــصرتي

وعـــدلكم كالـــشمس في دنياهـــا

إذا تتـــضح لكـــم علـــيّ قرينـــة

أضـــرم نيـــاراً[1] وألقـــني بلظاهـــا

إلى أن يقول:

مقـــدمها ابـــراهم منـــاجي لعلـــه

ينـــال بعـــد المـــر طعـــم حلاهـــا

لاحظ ذكاء امناجي الذي بدأ قصيدته بتذكير سيف الإسلام أنه كان نائباً على الحديدة وأن الحديدة لم تكن تعرف العدل إلا في زمنه.. وأنها أي الحديدة تتمنى عودته وأنه بتخليه عنها مسؤول عن ما أصاب أبناءها يوم القيامة..

ثم يشكو لنفسه ولما أصابه من ظلم.. كما يشكو من إمعان النائب في تقطيع أوراقه قبل قراءتها، مؤكداً أنه مظلوم، وأنه إذا ثبت لسيف الإسلام أنه مذنب فإنه

(١) نياراً: نيراناً.

مستعد لما يأمر به.. حتى ولو أمر بإلقائه في النار.

ويختمها بأسلوبه اللطيف:

مقـــــــدمها ابـــــــراهم منـــــــاجي لعلـــــــه

ينـــــــال بعـــــــد المـــــــر طعـــــــم حلاهـــــــا

قال لي ابنه الشاعر يحيى إن أباه قبل أن يرسلها إلى سيف الإسلام عبد الله.. أرسله بها إلى القحري الجبلي (علي محمد الجبلي) التاجر المعروف آنذاك يريد رأيه فيها..

فلما سلمها إليه وقرأها.. قال له: قل لأبيك إنك إذا أرسلت بهذه القصيدة إلى سيف الإسلام عبد الله فإن نائب الحديدة العمري سوف (يشرِّقك) (أي يصلبك في الشمس).

ولكن امناجي رغم ذلك التحذير الحاسم.. أرسل القصيدة إلى سيف الإسلام.. الذي استجاب لشكواه.. فتمّ الإفراج عنه بعد فترة بسيطة.. وقد أمر سيف الإسلام بتسليم معاشه لفترة ستة أشهر هي الأشهر التي قضاها في السجن وزاد فأكرمه بستة أقداح طعاماً، وقد

أدى امناجي شكره لعدل وإنصاف سيف الإسلام عبد الله - كما يروي محمد مناجي- بهذه القصيدة:

مـولاي عبـد الله يـا أشـرف الـورى

يـا صـاحب البرهـان يـا بحـر زاخـرا

أوليتمونـــا المجـــد والعـــز والعـــلا

وأقمـــتمُ الإســـلام بحـــد البـــواترا

وأمنـــتم الـــدنيا مـــن بعـــد خوفهـــا

وأزلـــتمُ مـــن قـــد طغـــى وتجـــبرا

فلـولاكمُ مـا كنـت أتلـو رسـالتي

ولـولاكمُ مـا خـط شـخص ولا قـرا

علـيكم صـــلاة الله ثـــم ســـلامه

يـــا نـــسل فاطمـــة البتـــول وحيـــدرا

ثـم شـفع قـصيدة شـكره لـسيف الإسـلام عبـد الله بقصيدة مدح - كما يروي يحيى مناجي- وجهها للإمام يحيـى حميـد الـدين. ولم يـستطع يحيـى منـاجي الـذي اسـتعان بأخيـه محمـد وبأبنـاء عمومتـه الـذين شـاركونا الجلسة الأولى لمراجعة هذا الكتاب بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٤م أن

يتذكر هو أو هم شيئاً من القصيدة المشار إليها، ولكنهم أجمعوا أن الإمام أجازه عليها بمال وفير.

وفي نفس الوقت الذي كان يشكر فيه سيف الإسلام عبد الله ويمدح الإمام يحيى حميد الدين كان يوجه قصيدة خامسةً لأهله في القناوص يبشرهم فيها بخروجه من الحبس، والقصيدة تفصح عن أنه كان لا يزال موجوعاً من مسعود؛ إذ راح يؤكد فيها على الظلم الذي لحق به ويتذكر دعواته التي كانت سبب إحاطة الله بمسعود، ثم يصوّر ما أصاب مسعوداً حين قبض عليه تصويراً كاريكاتورياً مضحكاً على عادته.

يقول في قصيدته:

يا راديو الأخبار أسرع مبشراً
لأخي وأصحابي وأهل بلادي
بلغهمُ مني السلام وقل لهم
الحمد لله الآن فُكّ قيادي
حبست بلا ذنب وناديت خالقي
سراً وجهراً من صميم فؤادي

ناديتـــه مـــسعود يهـــدم أساســـه

لبّـــى وصـــاح مـــن الـــسماء منـــادِ

تبـــت يـــدا مـــسعود وســـود وجهـــه

مـــسعود عبـــد الـــسوء شـــر عبـــادِ

ســـرى إلى الجمـــرك يريـــد غنيمـــة

لاقـــاه جنـــدي أضـــعف الأجنـــادِ

صـــاح عليـــه وأعطـــاه بالزنـــد ضـــربة

صـــاح الآمـــان أنـــا بغـــير رشـــاد

قد شـخّ في الأثيـاب مـن جور مـا بـه[1]

حتـــى أتـــاه ملطـــخ الأفخـــاد[2]

ثـــم الـــصلاة علـــى الـــنبي وآلـــه

مـــا حـــن رعـــد أو تـــرنم حـــادِ

❖ ❖ ❖

(١) قد شخّ في الأثياب: أي بال في ثيابه. من جور ما به: من شدة ما أصابه من فزع.

(٢) ملطخ الأفخاد: مبلل الفخذين (وهذه طريفة من طرائف امناجي، فلأن قافيته دالية استفاد من لهجة أهل الحديدة التي تقلب الذال دالاً، فأدخل الأفخاد في القافية، والذال لا ينطق دالاً في سائر تهامة مثل القناوص التي جاء منها الشاعر وإنما ينطق في المدن الساحلية مثل الحديدة والخوبة واللحية وغيرها).

ويبدو أن سيف الإسلام إثر تقديم امناجي إشارته إليه أمر بالإفراج عنه وإكرامه في نفس الوقت الذي أمر فيه بإعادة التحقيق في قضية سرقة الجمرك، كما يبدو أن أمره كان جدّياً.. إذ سرعان ما انكشف مسعود، ولا ندري إن كان المتورطون الحقيقيون قد انكشفوا معه.. أم أنه كان كبش فداء لمتنفذين لم تصل إليهم يد العدالة..

على كل حال سقط مسعود سقوطاً مدوياً وشيعته قصائد السَّخرية والشماتة.. التي كان امناجي يجعلها مشابهة إلى حدٍّ كبير.. للرسوم الكاريكاتورية التي تصور بها الصحف المصرية عادة سقوط كبار الفاسدين والمحتالين. وبين أيدينا من هذه القصائد ثلاث كلها من المستوى الشعبي..

وفي القصيدة الأولى يصور احتيالات مسعود وسقوط أقنعته وسوء فعلته التي حولته من (فلان) إلى رجل ملعون مهان.. والقصيدة من خلال خاتمتها (اللعنية) تعد نصاً لا يجارى في الهجاء والتمثيل بالخصم، يقول امناجي:

مَسْعُودْ رَبِّي يَخْذِلَكْ وْيَكْشِفَكْ يَا جَبَانْ

تَـــسْرِي ولاَ جُهْـــدْ لَـــكْ[1] وَمْـــسَيْتْ مَأْسُـــورْ مُهَـــانْ
سَـــرَى جَبَلْـــيُ يْكَلْكِلَـــكْ[2] وْبَاكُورْتَـــهْ خَيْـــزَرَانْ[3]
وَنْـتَ كَـامْعِيرْ فِـي مَاسَـرَكْ[4] وْزَرَّ لَـــكْ امْبِطَـــانْ[5]
وْرْكِبْ عَلَى ظَهْرَكْ وْقَامْ يَسْأَلَكْ[6] وْبْقِيْـتْ تَـرْبُشْ وْكَـانْ[7]
مِـــنْ ذَا الَّـــذِي جَبَّلَـــكْ[8] سَـــبَّيْتْ كَمّـــنْ فُـــلاَنْ[9]

---

(١) تسري ولا جهد لك: تسري من السرى ليلاً، وهو يشير إلى حادثة سرقة الجمرك ليلاً ويقول لمسعود إن السرى والتبييت لا يقوم به إلا الرجال ذوو القلوب القوية، وأنت لست من أهل الجهد في هذا الباب.

(٢) سرى جبلي يكلكلك: بات عسكري من أهل الجبال يضربك على جنبيك (يكلكلك: يضربك هنا وهنا في كل مكان من جسدك).

(٣) وباكورته خيزران: وعصاه من الخيزران اللين الذي يلسع الجسد لسعاً محرقاً.

(٤) ونت كامعير في ماسرك: وأنت كالحمار في مربطه.

(٥) وزرّ لك امبطان: أي شد وثاقك (البطان: حبل يربط به الشد (البردعة/الوطاف) على بطن الحمار)، وبما أنه قد شبهه بالعير في مربطه فقد عطف على التشبيه فكنى عن شد وثاقه بشد البردعة على الحمار.

(٦) وركب على ظهرك وقام يسألك: يكني عن إلقاء العسكري لمسعود أرضاً وربط وثاق يديه خلف ظهره بالركوب على الحمار. وقام يسألك: وبدأ يستجوبك.

(٧) وبقيت تربش وكان: فجعلت تهذي بكلام غير مفهوم ولا منطقي شأن كل مسيء انكشف وظهرت إساءته.

(٨) من ذا الذي جبلك: من هذا الذي سوّل لك.

(٩) سبيت كمن فلان: اتهمت بهذه المخازي أناساً ذوي مكانة اجتماعية وشخصيات اعتبارية.

قُلْـتَ امَّنَـاجِي عَـسَّ لَـكْ[1] وَبْـرَاهِمَ احْمَـدْ كَمَـانْ[2]
وْتْقُـولْ عُمَـرْ وِصْـلَهْ تْوَسَّـعْ وْدَخَّلَـكْ فِـي امْبَيْـتْ بَـيْنَ اوَّهَـانْ[3]
وْشَـاهِي لَـبَنْ سَـكَّرَكْ وتْقُـولْ إِنَّـكْ فُـلاَنْ[4]
عَلِيْـكْ نَعْلَـهْ تَنْعَلَـكْ[5] مِـنْ فُـوقْ مَلْيُـونْ لِـسَانْ
نَعْلِـهْ لْبَيْتَـكْ وْلَـكْ وْنَعْلِـهْ تْمَلِّـي امْبْكَـانْ[6]
ونَعْلَـهْ لْعِرْقَـكْ ومَفْـصَلَكْ[7] ونَعْلَـهْ لْجَـدَّكْ زَمَـانْ[8]

وفي القصيدة الثانية.. يمزج امناجي بين حلاوة الإيمان وحلاوة الشعر ومتعة الفكاهة والسخرية فيقول:

دَعَيْـتْ رَبِّـي وْجَابَنَـا وَمَّظْلُـومْ دُعَـاهْ يُـسْتَجَابْ
وْقَرَيْـتْ بَعْـدَ الـدُّعَا الإِخْـلاَصْ وْفَـتْحَ الْكِتَـابْ

---

(١) عس لك: سبق شرحه.

(٢) كمان: سبق شرحه.

(٣) سبق شرحه.

(٤) سبق شرحه. ويروي محمد مناجي هذا البيت هكذا:

شاهي لبن سكرك وسهرت لما امبيان

وامبيان: البيان، ظهور أمارات الصبح.

(٥) عليك نعله تنعلك: عليك لعنة تلعنك.

(٦) تملي امبكان: تملأ المكان.

(٧) ونعله لعرقك ومفصلك: ولعنة لأصلك وفصلك.

(٨) ونعله لجدك زمان: ولعنة لجدك البعيد.

وْقُلْـتْ مَـسْعُودْ صَـابَنَا[1] يَـا رَبّ مَـسْعُودْ يُـصَابْ
هَـبْ لَـهْ مْـصِيْبَهْ كُولِيـهْ[2] وْفَـتِّحْ لَهَـا أَلْـفْ بَـابْ
لَمَّـا أَتَـى امْـسِلْكْ يَطْلُبَـهْ[3] وَمْعَـسْكَرِي لَـهْ كَبَـابْ[4]
كَتَـفْ وْفَلَّـكْ وْزَنْجَـرَهْ وْزَرْزَرْ قُيُـودَهْ لْكَـابْ[5]
وْدَحْـنُ وْيَـا هَـزْوَرَهْ وْدَمْـعْ عَيْنَـهْ سْـكَابْ[6]
خَـرَجْ عَلَـى مَنْحَـرَهْ وَالنَّـاسْ تَنْظُـرْ سْـنَابْ[7]

---

(١) صابنا: أصابني بمصيبة.

(٢) هب له مصيبه كوليه: ابتله بمصيبة كبيرة.

(٣) لما أتى امسلك يطلبه: عندما تم استدعاؤه عبر السلك ببرقية من صنعاء.

(٤) ومعسكري له كباب: والعسكري شادٌّ عليه.

(٥) كتف: كتّفه، وفلّك: وضع له الفلقة.

وزنجره: وضع له قيداً ثقيلاً بزنجير. وزرزر قيوده لكاب: شد قيوده شداً قوياً.

(٦) ودحن ويا هزوره: الدحن الدفع، والهزورة: الأخذ والسحب بشدة. سكاب: ساكب.

ويروى هذا البيت أيضاً على هذا النحو:

ودحن ويا هزوره وشدخ بحي المهاب

الشدخ: الضرب الشديد على الرأس. بحي المهاب: بالعصي الغلاظ.

(٧) خرج على منحره: خرج مسحوباً برأسه. والناس تنظر سناب: والناس واقفة تنظر.

اللّٰهْ لاَ قَابَلَـــــــــــــهْ وْيَـشْبُكَهْ فِـي امْحَنَـابْ[1]

وْفِـي قَـصْر سَـامْ يَدْخِلَـهْ وْيْمُـوتْ جَـايِعْ وْغَـابْ[2]

وْتُقْطَـعْ أَيَادِيْـهْ وَأَرْجُلَـهْ وْيْمُـوتْ مَـوْتَ امْكِـلاَبْ[3]

أما القصيدة الثالثة فيبدو أنها كتبت بعد انتهاء الأزمة وبعد شيوع القصيدتين السابقتين وتناقل الناس لهما.. حتى صارتا فكاهة المقايل والسمرات فجاءه شاعر اسمه امدغفول (وهو كما يقول يحيى مناجي عبد أسود عرفه شخصياً لأنه كان مسجوناً مع أبيه ومسعود، وكان أبوه في الفترة الأخيرة من سجنه كثير المشاحنات مع مسعود،

(١) اللّٰه لا قابله: أدعو اللّٰه أن لا يجعل له في خروجه قبول خير. ويشبكه في امحناب: ويدخله في ما هوى أشد وأصعب مما هو فيه. والحناب: الشرك الضيق الصعب.

(٢) في قصر سام يدخله: المراد أن يسجن في صنعاء. غابّ: عاطش.

ويروى هذا البيت:

وفي قصر سام يدخله ويذوق أشد العذاب

(٣) ويروى هذا البيت على النحو التالي:

حلال فيه فن له ويموت موت امكلاب

وفن له: بمعنى لا يصلح له إلا هذا أو لا يليق بمثله إلا هذا.

وهي رواية محمد مناجي. تم تسجيلها منه في جلسة مراجعة هذا الكتاب بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٤م.

وكان امدغفول يقف معه ضد مسعود)[1] فطلب منه قصيدة بلهجة أهل الشام (لهجة عبس وما حولها) فقال:

مَسْعُودْ لِلْجُمْرُكْ غَزَا وَمْسَى مَكْتُوفْ

والنَّـاسْ تَـضْحَكْ وَالنّظَـامْ يَطْلُبُنُّـهْ[2]

---

(١) يضيف يحيى مناجي أن امدغفول كان شاعراً ولكنه شاعرٌ صغير، وقد أخبرني الأستاذ أبو القصب الشلال في مقيل بجمعية الحديدة يوم ٢٠٠٥/٩/١٣م أنه عرف امدغفول وأنه (امدغفول) قد عاش إلى نهاية السبعينيات أو بداية الثمانينيات من القرن العشرين، وقد عُمر حتى عمي، ولم يكن يخلو عرس أو مناسبة في الحديدة منه، وكان يقول الشعر ارتجالاً، وكان إذا رأى بقرب العريس رجلاً ذا هيئة حسنة وعليه دلائل اليسر سأل عنه: من هو.. وبمجرد أن يعرف اسمه يقوم ويقول فيه شعراً مرتجلاً بطريقة تشبه ما يفعله الدوشان في صنعاء، بيد أن شعره على بحر بكير، بل إنه كان يلالي على طريقته وقد ذهب حظه بعد رواج المسجلات والتبدلات التي شهدها المجتمع، وله ابن في الحديدة يعيش حتى اليوم.

كما أخبرني الأستاذ الأديب/ جابر الشراخ في أمسية مع خالد الرويشان وزير الثقافة بفندق قصر سام بصنعاء ضمن عدد كبير من المثقفين بتاريخ ٢٠٠٦/٦/٢٠م. أن امدغفول كان شاعراً شعبياً.. يرتجل .. عُرف بمدحه للعرائس .. وقد اشتهر بذلك لدرجة أنه صار كل من يكثر في مدح العرائسَ من الشعراء يلقب (دغفول) .. ويقول جابر أنه ليس متأكداً إن كان ثمة من يحفظُ له.

وأخبرني الأستاذ/ يوسف حسن الجيلاني أن الدغافلة (بني امدغفول أخدام من المنيرة) قال عرف ذلك من أهل محل امصدر بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٢٦م.

(٢) غزا: بمعنى ذهب ليسرق. والنظام يطلبنه: النظام: العسكر، يطلبنه: يطلبونه.

وفي رواية أخرى لمحمد مناجي يأتي البيت على هذا النحو:

مسعود للجمرك غزا وامسى مكتوف

والزير يضرب لأجل ما يصلبنه

والزير: المرفع. يصلبنه: يصلبونه.

خَـرَجْ وهُـوْ عَـارِي مْجـرِّدْ وْمَكْـشُوفْ

مِثْـلَ امْحِمَـارْ لَمْـسُوقْ شَـايَجْلِبُنُّهْ[1]

وَجْهُهْ كَوَجْهَ امْكَلْبْ وَمْذِقْنْ مَنْتُوفْ

حَتَّـى حَرِيْمُـهْ مِـنْ بَعِيْـدْ يَرْقُبُنُّـهْ[2]

مَسْعُودْ بَعْدَ السّتْر أَصْبَحْتْ مَكْشُوفْ

وَاللِّـي مَعُـهْ ثِنْتَـيْنْ حَـرِيْمْ يَتْعِبُنُّـهْ

جَبْرَهْ مَعَاهَا فِي الْبِلاَدْ فِعْلْ مَوْصُوفْ[3]

وَمْـضَحْوِيَهْ حَتَّـى ابْنَهَـا يَرْكَبُنُّـهْ[4]

---

(١) مجـرد: عـاري. لمسوق: إلى السوق. شايجلبنه: سيعرضونه للبيع، وكل بضاعة (خاصة الدواب) يذهب بها إلى السوق تسمى جلباً.

(٢) حتى حريمه من بعيد يرقبنه: حتى نساؤه وقفن ينظرن إليه.

(٣) معاها: معها (لها). فعل موصوف: فعل مشهور.

(٤) وامضحويه: نسبة إلى مدينة الضحي إحدى مدن تهامة التاريخية، وهـي مركز مديريـة الـضحي وتقـع في وادي سـردود إلى الـشمال الـشرقي مـن الحديـدة بحوالي (٥٠)كم. يركبنه: يركبونه.

وفي رواية ليحيى مناجي أن والده كان يستبدل قوله:

وامضحويه حتى ابنها يركبنه

بقوله: وامتركيه حتى ابنها يركبنه

لأن أهل الضحي كانوا يغضبون ويعتبون عليه كلما سمعوا قوله: وامضحويه حتى ابنها يركبنه.

وفي القصائد الثلاث تتجلى قدرات امناجي المذهلة على التوليد والتصوير الكاريكاتوري كما يتبين لنا نجاحه في تحويل آلامه إلى كوميديا رائعة زاخرة بالخيال والتفنن المشهدي والأداء اللغوي الرفيع.

وقد مات مسعود حسب رواية محمد الابن الأصغر للشاعر.. على جمل في طريق صنعاء، أثناء ذهابهم به إلى هناك ليحبس في سجن الرادع..

فهل مات مسعود ميتة عادية أم أن موته كان جراء الضرب والتعذيب الذي حدث له عند القبض عليه والذي صوره امناجي ثواب بقوله:

لَمَّا أَتَى امْسِلْكْ يَطْلُبَهْ وَمْعَسْكَرِي لَهْ كَبَابْ
كَتَفْ وْفَلَّكْ وْزَنْجَرَهْ وْزَرْزَرْ قُيُودَهْ لْكَابْ

وقوله:

خَرَجْ وهُوْ عَارِي مْجَرَّدْ وْمَكْشُوفْ
مِثْلَ امْحِمَارْ لَمْسُوقْ شَايَجْلِبُنُّهْ

وقوله:

سَـرَى جَبَلْـيُ يْكَلْكِلَـكْ وْبَاكُورْتَـــهْ خَيْـــزَرَانْ

أم أنه تم التخلص منه بالقتل قبل أن يصل إلى صنعاء مخافة أن يكشف النافذين المتورطين معه.. في تلك السرقة..

لقد حاولت البحث عن وثائق في إرشيف محافظة الحديدة بمكتبة الوثائق في صنعاء لعلَّ أن أجد فيها ما يُجيب على تساؤلاتي، ولكنَّ القاضي/ علي أحمد أبو الرجال أخبرني ألاَّ وثائق أو سجلات تتعلق بمثل هذا الشأن، إلاَّ أنه ربما نبحث في أسماء المساجين الذين كانوا مسجونين في تلك الفترة فلربما نجدُ اسم امناجي ومسعود وبقية رجال هذه القصة في وثيقة منها.. ولكنَّ ذلك يحتاج إلى وقتٍ طويل.. ولقد ذهبت إلى الحديدة نهاية عام ٢٠٠٦م وبداية عام ٢٠٠٧م بصحبة الأستاذ الأديب/ أبو القصب الشلال وسألتُ عن مسعود في كل مكان ذهبتُ إليه حتىّ وجدت خبراً عنه في مقيل عثمانً صُدام بتاريخ ١٢/يناير ٢٠٠٧م حيث علمتُ أن مسعوداً كان له وجهٌ آخر فقد كان قريباً من

نفوس الفقراء والمساكين لأنه كان يسطو على بيوت الأغنياء وعلى مرافق الدولة ويوزع ما يأخذه منها على الفقراء والمساكين.. كما أُخبرت أن موته لم يكن في الطريق إلى صنعاء بل إنه أُدخل سجن الرادع في صنعاء ورُفع أمره إلى الإمام يحيى حميد الدين فأمر بسمل عينيه، كما أُخبرت أن زوجته جبرة كانت تعمل عند أناس من بني صُدام .

وقد أكد لي الأستاذ/أبو القصب الشلال ذلك يوم ١٢/يناير ٢٠٠٧م في ورقة مكتوبة نصاً:(أما بالنسبة لمسعود كزابة فقد سمعنا ممن عاصروه من الآباء أن هذا الرجل كان يسكن في حارة اليمن بالقرب من القلعة اليمانية على شاطئ الحديدة وكان جباراً يسطو على الدولة ويستولي على أموالها وينفقها على المحتاجين.. وقد سمعنا أنه كان يملك جملاً ويسري ليلاً حتى يصل إلى جمرك الحديدة فيتسلق جدرانه ويأخذ حاجته من البضائع الخاصة بالتجار ويحملها على جمله ثم يعود بها إلى داره وكان بعض حرس الجمرك يساعدونه لكرمه

وسطوته.. ولما كثرت شكاوى التجار منه عملوا له كميناً وقُبض عليه وأمر الإمام يحيى بتسميل عينيه.

وقد علمنا أن الكثير من المساكين والفقراء من أهل الحديدة بكوا عليه لأنه كان كريماً وشجاعاً وتنالهم حسناته).

***

وساطته لذياب

قلت في ما سبق أن سجن امناجي الذي كان كابوساً عليه.. لبعض الوقت.. قد أعطانا بعضاً من أروع ما بين أيدينا من شعره وهو الشعر الذي قاله في مسعود..

بيد أن كرم فترة سجن امناجي لم تقتصر على ذلك الشعر.. بل إنها أمدتنا أيضاً بشعر آخر له كله من الشعبي الرائع هذه المرة.. وبين أيدينا منه ثلاث قصائد..

ففي فترة انسجان امناجي في الحديدة تعرف على ذياب أحد عبيد الشيخ إبراهيم بن عبد الله القوزي شيخ مشايخ صليل آنذاك..

وهو من أكثر مشايخ صليل سطوة وجبروتاً فقد كان شجاعاً مقداماً لا يخشى.. ولا يقف دون ما يريد..

وكان قد تشيخ على صليل عقب مقتل والده الشيخ عبد

الله باشا القوزي عام ١٩١٤م[1] وكان شديداً على

(١) وهو الشيخ عبد الله باشا القوزي شيخ مشائخ صليل ووالد الشيخ إبراهيم المخاطب في هذه القصيدة، وكان صاحب مكان رفيع في المنطقة بين القبائل وعند الدولة العثمانية، وقد خاض حروباً واسعة في المنطقة ضد المتمردين عليه من قبيلة صليل ومن أبناء عمومته، وكذلك ضد القبائل المجاورة لقبيلة صليل، ووصلت قوة نفوذه حد أنه أقام حداً من الحدود، فقد أمر - كما يذكر الوشلي في الجزء الرابع من (نشر الثناء الحسن) (ص٩٨) ضمن أحداث سنة ١٣٣٠هـ - يوم الخميس السادس من شهر جمادى الثانية بقطع يد سارق حداً في سوق القناوص.

وقد تشيخ عبد الله باشا قوزي بعد عزل الشيخ مبارك جبيله الذي كان شيخاً لقبيلة كشارب وشيخاً لقبيلة صليل، وقد نازع القوزي الأمر في بدايته —حسب الروايات الشفاهية- جماعة من المهادلة وجاءوا إلى القناوص فابتنوا فيها عريشاً يكون مقراً لهم يحكمون السوق منه، فحاصرهم القوزي برجاله وأحرقهم ونهب السوق، وقد ذكر الشاعر بكير هذه الحادثة فقال:

يوم الخميس طليه ناحمده واشكره مبارك جبيله عزل
الذي لصنعا طالع نازل سحبيبته كامسخل
وتا صليل العاصيه اللي الواحد مكلفه يستحل
وشيخهن اتى مقلد ينجش بقرن اموعل
باكوا على ذيلا المهادله اللي كشب امحمينيه
امعذق قوبه يغل
بانه واسعد وعنبر وبل
وبو خوافق مفالته وبو بطن كاامسدل
ياغلبي على احمد لشافنه زوارق مسعفه
تدبز بسيد امطفل =

يكيـــــه كـــــاذي خافيـــــه اللـي مـع امخـضري يطـل
يـــــاغلبي علـــــى احمـــــد ياشـــــريف ياهـــــاشمي
يـــــــــاجص مايبتحـــــــــل
احمـــــد قـــــصرته جرثمـــــه في عرقهـــــا تـــــستظل
احمـــــد ياشـــــريف ياهـــــاشمي اللـــي ســـواقه مـــساحفه
لا امـــــــرد ولاهـــــــو هبـــــــل

فإذا كان القوزي قد تشيخ في سنة تلك الحادثة أو في يومها كما يوحي مطلع قصيدة بكير فإنه يكون قد تشيخ سنة ١٣٠٢هـ أي قبل ١٢٥سنة، فقد ذكر الوشلي حادثة حرق المهادلة دون أن يذكر صلة القوزي بها فقال في صفحة(٢٩): "وفيه (أي في عام ١٣٠٢) وقعت قضية شنيعة على السادة المهادلة بسوق القناوص؛ وهي أن السيد يحيى بن أبكر مكعدل كان قد وقعت بينه وبين بعض صليل ضغائن بسبب الرئاسة فحينئذٍ تواطؤا على أن يقتلوه إذا حضر السوق، فأمهلوه حتى حضر في بيت وعنده أولاده وبنو عمه وأحاطوا بهم من كل جانب وأثاروا الحرب عليهم، فقتل السيد يحيى بن أبكر وسبعة من أولاده وبني عمه وأضرموا عليهم النار بعد القتل حتى صاروا فحماً لم يُعرفوا".

والملاحظ أن الرجل (أحمد) الذي يرثيه بكير ويتغنى بشجاعته ومكانته ليس هو يحيى بن أبكر الذي يذكره الوشلي، ولعله واحد آخر ممن كان مع يحيى بن أبكر.

الملاحظ أيضاً أن القوزي لا يذكر في تاريخ الوشلي شيخاً لصليل ولا يظهر على صفحات الأحداث إلا ابتداء من عام ١٣٢٨هـ أي بعد ٢٥سنة من حادثة حرق المهادلة في سوق القناوص.

ويبدو من السياقات والأحداث التي يرد فيها ذكره أنه قد خاض معظم حروبه إلى جانب الدولة العثمانية أو بضوء أخضر منها، وقد منحته الدولة العثمانية رتبة الباشوية.

=

مخالفيه، كما فعل بزعماء كشارب عقب توليه المشيخة بثلاثة أيام.. إذ اعترضوا على تشيخه عليهم فقبض على جماعة منهم وقتل كبيرهم.. وكما فعل أيضاً بالسيد (قوسم قحم) الذي نازعه مشيخة صليل سنة ١٩٢٠م.. وكان الشيخ إبراهيم قوزي ممن قاوم الدولة الإدريسية بعنف.. كما كان ممن مهد لدولة الإمام يحيى حميد الدين أمر الاستيلاء على تهامة الشام؛ إذ صعد إلى صنعاء وأهدى للإمام جارية من جواريه وطالبه بالإسراع في الاستيلاء على المناطق الواقعة بين الواديين (سردود ومور)، وشارك قادة الإمام قيادة القوات التي أخضعت هذه المنطقة.

وقد ذكر الوشلي حادثة مقتله في صفحة (١٣٢) من الجزء الرابع فقال: "وفي ليلة الأحد الرابع والعشرين منه (أي من شهر رمضان سنة ١٣٣٢هـ) قُتل الرجل الصالح شيخ مشايخ صليل السيد عبدالله بن إبراهيم قوزي باشا وهو في الركعة التاسعة من صلاة التراويح في مسجد قرية دير القحم، قتله رجل من بني عمه لضغائن سابقة بينهم، ثم شرد قاتله إلى السادة النعامية بقرية الغرزة من أعمال الوادي مور، مستجيراً بهم فأجاروه، وكان الشيخ المذكور قد دانت له رقاب القبائل ونفذت كلمته فيهم، فنهى وأمر وقتل وأسر ودخل الخوف منه كل جوف".

وفي أثناء حرب الزرانيق قاد تمرداً على الدولة فحاصر مدينة الزيدية، وقطع أسلاك التلغراف مما اضطر الإمام إلى إرسال قوة لمحاربته، وعندما أُجبر على الانسحاب من الزيدية انسحب وقد ارتهن مدير المال السيد أحمد بن يحيى زبارة.

وكان إلى جانب اعتماده على صليل وزعمائها في مقارعة السلطة والقبائل المجاورة، يعتمد على العبيد إلى جانب قرابته وأهل الولاء الشديد له في حكم صليل.

وكان العبيد من الشجاعة والمكانة حد أن بعضهم كان يتمرد أحياناً مما يتطلب مجهوداً كبيراً لإخضاعه، كما فعل العبد ذياب الذي تمرد على الشيخ مرتين: المرة الأولى سجن على إثرها في الزيدية ولكنه هرب وسرق بقرة للقوزي فأرسل القوزي مجموعة من العبيد على رأسهم اثنين من المشهورين بالشجاعة هما: عبد الله محمد وعبد الله هادي للقبض عليه، فتمكنوا منه نائماً في سقيفة شرق الحزر، ثم تمرد مرة أخرى وارتكب في أيام تمرده جرائر تجاوز بها الخطوط الحمراء.. إذ هرب

بإحدى جواري القوزي ولجأ بها عند السيد هادي هيج[1] شيخ مشايخ الواعظات وأشهر ملاك الأراضي الأغنياء في اليمن وقتها.. وهو غريم تقليدي للقوزي بحكم النزاعات القبلية السائدة في ذلك الحين وبحكم معارك دارت بين قبيلتي الرجلين في أوقات سابقة بسبب تضارب ولائيهما أثناء النزاع بين الدولة العثمانية والإمام الإدريسي، خاصةً عندما استمال الإدريسي الهيج وبقي القوزي موالياً للدولة

(١) هادي هيج: هو السيد هادي بن أحمد بن الزين بن هادي هيج، تولى مشيخة الواعظات سنة ١٣٢٠هـ، وكان رفيع المقام لدى الدولة العثمانية حتى أنها منحته رتبة الباشوية، وخاض إلى جانبها حروباً طاحنة ضد السيد محمد بن علي الإدريسي، وحوصر من قبل جيوش الإدريسي أكثر من شهر سنة ١٣٢٨هـ، ثم بعد أن انتصر الإدريسي على العثمانيين أعطى ولاءه للإدريسي واحتفظ بمكانته كما كان، حتى نشبت الحرب بين الإدريسي والإمام يحيى حميد الدين فخاض الحرب مقدماً لقوات الإدريسي ضد قوات الإمام يحيى في جهات ملحان وحفاش، وعندما انتصرت قوات الإمام يحيى ودانت المنطقة بالولاء له كان السيد هادي من أهم رجاله في اليمن كلها، وكان إلى جانب ثرائه الواسع ومشيخته للواعظات عاملاً لقضاء اللحية، وللسيد هادي هيج محاسن كثيرة، منها ما ذكره الوشلي أنه بنى مسجداً أضافه إلى مسجد صايم الدهر في الزيدية وأصلح منارته بعد أن خربها الترك سنة ١٣٢٧هـ، وكان السيد هادي هيج جليلاً مهاباً واسع النفوذ أديباً، اتخذ الشعراء منه مادة لمديحهم فقيل في مآثره شعر كثير، وقد توفي في النصف الأول من خمسينيات القرن العشرين.

العثمانية.

وكما حكى لي الشيخ محمد إبراهيم قوزي[1].. حفيد الشيخ إبراهيم رحمه الله.. فإن تمرد ذياب كان تحدياً للشيخ، ولكن هروبه بالجارية.. ولجوءه بها إلى السيد هادي هيج بالذات كان تحدياً أكثر من أن يصبر عليه ذلك الرجل الذي كانت حدّةُ الطباع والإقدام أهم سمات شخصيته..

وفي ليلة من الليالي شعر القوزي بنفاد الصبر فركب حصانه وارتفق اثنين من أعوانه وتوجه إلى وادي مور، وقبل دخوله إلى معقل السيد هادي هيج أوقف رفيقيه في مكان مخصوص وترك معهما حصانه، ثم ذهب ماشياً.. وبينما كان السيد هادي هيج مندمجاً في مراجعة بعض الأوراق وقد انفض من حوله الناس لتأخر الوقت فلم يبق عنده إلا بعض حرسه وخدامه فوجئ بالقوزي أمامه يلقي السلام ويضع يده على شربة[2] الماء ويرفعها إلى فمه.

---

(١) التقيته في منزلتنا بالجيلانية بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/١٥م.

(٢) الشربة: وعاء فخاري صغير، يتزود المسافر أو العامل في الأرض به ليشرب منه، كما يستعمل في البيوت؛ إذ يصب الماء فيه من الكد ويبرد ويشرب منه =

كان الحديث بين الرجلين الكبيرين مقتضباً فقد ألح السيد هادي هيج على القوزي أن يستريح ولكن القوزي قال له: لقد جئت إلى محلك تشريفاً لك وتكريماً وأريد أن تلحق بي جاريتي غداً.

فقال له السيد هادي هيج: جاريتك ستلحق بك غداً.

وقد كان ذلك.. فقبل ظهر اليوم الثاني كان رسول السيد هادي قد وصل بالجارية إلى الحزر معقل الشيخ القوزي.

(ثمة رواة يذكرون أن السيد هادي هيج تعجب لحالة الاندهاش التي أصابت حراسه وخدامه حتى أن أحداً لم ينبس ببنت شفة، وأنه بعد أن ذهب القوزي استدعاهم وسألهم ما الذي حدث حتى لم يخبرني أحدكم أن القوزي قد جاء؟

أهل البيت، كما يشرب منه المخزنون في المقايل، وقد يصنع لها حداج (حداق=سلة) من الحبال المصنوعة من الطفي وتعلق في قرقعة الكرسي (المنبر=السرير) ويوضع عليها كأس للشرب، وقد يتم تَبْخِير الشربة بالعود قبل تبريد الماء فيها خاصة إذا كان بين المقيلين ضيوف، ويتم التبخير في أغلب ليالي رمضان.

فقال الأول: أنا رحت أعمر المداعة.

وقال الثاني: أنا كنت أملأ الشربة ماء.

وقال الثالث: لقد ذهبت أقضي حاجتي.

وقال الرابع: كنت راقداً لأن لي يومين لم أنم.

وقال الخامس: لا شيء من هذا كله فقد دخل الرجل بيننا كما يدخل الذئب بين مجموعة من الشياه.

فقال له السيد هادي: أنت أعتقتك لوجه الله، وأما الآخرون فسوف أعرف كيف أعاملهم).

- عندما ذكرت هذه الرواية للشيخ امحمد علي قوزي شيخ مشايخ صليل حالياً قال لي: إن هذه كلها مبالغات لأن القوزي والسيد هادي كان بينهما رغم الحروب من المعرفة ما يجعل التواصل بينهما سهلاً لا يتطلب حجاباً ولا حرساً ولا كل هذا الذي يقال[1].

❖ ❖ ❖

(١) قال لي هذا الكلام في مكتب عدنان الصديق بشارع الدائري بصنعاء مساء الأربعاء ٢٠٠٥/٣/٩م.

بعد استعادة القوزي للجارية.. والقبض على ذياب.. قام بإرساله إلى سجن الحديدة وهناك تعرف عليه امناجي ثواب.. وتبين له أن ذياباً رغم جرائره.. رجلٌ من أهل الشجاعة والبأس الذين يُضن بهم على السجن ويستفاد من بسالتهم ومواهبهم في الحروب.. كما تبين له أن الرجل من أهل المروءة والنجدة فقد تعاطف ذياب مع قضية امناجي ووقف إلى جانبه ضد مسعود ومن معه داخل الحبس وأوقف تعدياتهم ومحاولات استضعافهم لـ(امناجي) في ذلك المكان، بل إنه حاول أكثر من مرة — كما يقول يحيى مناجي- قتل مسعود، منها مرة أدركوه بعد منتصف الليل وقد رفع قيوده ليضرب بها صدر مسعود وهو يقول لـ(امناجي): دعني أقتله.. فكفه امناجي عنه وقال له: هيقتله[1] ربي.

رق امناجي لذياب كما يقول الأستاذ/ علي الأهدل في مقدمته لقصيدتين من قصائد امناجي حول ذياب.. أرسلها لي من صامطة ضمن ما أرسله لي من مروياته

(١) سيقتله؛ وهو إخبار بمعنى الدعاء.

لعدد من الشعراء الشعبيين..

رق امناجي لذياب وتعاطف معه وشعر بالجميل الذي أولاه إياه في وقفته معه ضد مسعود؛ فقرر مخاطبة القوزي بشأنه متشفعاً له عنده.. ومعتذراً عنه، واصفاً ما أصابه من عذاب في السجن وما لحقه من عنت القيد الثقيل الذي قيد به وكان العصاة والمتمردون يقيدون بقيد يسمى مرود (المرود) يمنع حركة الساقين ويدميهما.. وقد أردف الشاعر اعتذاره لذياب وشفاعته بتذكير القوزي في القصيدة بأنه كبير يليق بمثله العفو والصفح خاصة وقد قدر..

يقول امناجي:

ابْنَ الْقَوْزْ يَا مُعْتَبَرْ يَا رَيتْ عَيْنَكْ تْحِيْدْ[1]

ذِيَابْ ذِيْبَ امْحَزَرْ[2] وهُوْ فِي الْعَذَابْ الشَّدِيْدْ

(١) يا معتبر: يا ذا الشخصية الاعتبارية والمقام الرفيع.

يا ريت عينك تحيد: يا ليت عينك ترى.

(٢) امحزر: اسم قرية الشيخ إبراهيم القوزي شيخ مشايخ صليل، وهو الذي يخاطبه الشاعر.

امْقَيِـــدْ مِثْـــلَ امَّحَـــرّ[1] زَنَـــدْ عِظَامَـــهْ زَنِيْـــدْ[2]

كَمَـهْ مِـنَ الْحَـبسْ فَـرّ[3] زَرُّوا قُيُـــودَهْ خَمِيْـــدْ[4]

سَـــاقَهْ ضْـــعِفْ وَنْكَـــسَرْ وْخُـــفّ رِجْلَـــهْ يْمِيْـــدْ[5]

ذِيَـــابْ عِنْـــدِي اعْتَـــذَرْ لْمِثْـــلَ ذَا مَـــا يْعِيْـــدْ[6]

---

(١) امقيد مثل امحر: القيد ضخم كضخامة المحر (المحر: ألة يحر بها التراب؛ وهي من خشب تربط بالحبال إلى الضماد (النير) ويجرها (ثوران) فتعمل بها الزبر.

والفنايا (سدود ترابية تتلقى مياه السيول والوديان وتحفظها).

(٢) زند عظامه زنيد: اشتدت وطأته عليه.

ويروي محمد مناجي هذا البيت:

امعمود مثل امحر زند عظامه زنيد

والعمود: هو القيد.

(٣) كمه من الحبس فر: كمه: كما أنه، وهي هنا بمعنى (لأنه). فر: هرب.

(٤) زروا قيوده خميد: شدوا قيوده بقوة (خميد: بمعنى ناضج جداً).

والبيت إضافة من شوعي عبده حنش.

(٥) ونْكسر: وانكسر.

وخف رجله يميد: وباطن قدمه يتقيح.

(٦) يروي شوعي عبده حنش هذا البيت:

ذياب عندي استقر وقلي بكل امخبر

وكثر امحكى ما يفيد

وقوله: استقر: يعني أقر واعترف. وقلي: وقال لي. كثر امحكى: كثرة الكلام.

وإِنْ عَـادْ مَـا لَـهْ مَفَـرّ وَأَنْـتْ بَطْـشَكْ شَـدِيدْ

كْمَـورْ لاَكِـدْ دَفَـرْ يْقَبِّـلْ بْحَـيَّ الرّعِيْـدْ[1]

يْـشِلَّ امْحَجَـرْ وَمْـشْجَرْ[2] وَالنَّـاسْ تَهْـرُبْ بْعِيْـدْ

بَعْـدِينْ يَرْجَـعْ يْقَـرّ وْمَـا خِـسِرْ يَـسْتَفِيدْ[3]

عَـلاَكْ بْرَاعِـي امّـصَرّ[4] اللِّـي ثْـوَفَّى شَـهِيدْ

وْبَالْعَـالْمَ اللِّـي امْحَـزَرْ[5] وْبُورِيْشْ[6] وْرَاعِي امْحَدِيدْ[1]

---

(١) كمور لا كد دفر: كمثل وادي مور إذا دفع وتدفقت سيوله.

يقبل بحي الرعيد: يأتي بدوي هائل وصوت مخيف.

(٢) يشل امحجر وامشجر: يجرف الحجارة والأشجار.

(٣) بعدين يرجع يقر: ثم يعود فيهدأ. وما خسر يستفيد: ومن خسر يستعيد ما خسره (والمقصود أن الناس تزرع ويعوضها المحصول عما جرفه السيل). والشاعر هنا يقول أن القوزي يمكن أن يؤذي خصمه ويتعبه إذا غضب منه، ولكنه يمكن بعد ذلك أن يعود فيعطف عليه ويعفو عنه ويجبر بخاطره.

وهذا البيت هو إضافة من شوعي عبده حنش.

(٤) علاك: عليك، ومعناها: أسألك. براعي امصر: بصاحب المصر، وهو الشيخ عبد الله باشا القوزي، وقد سبق التعريف به.

(٥) العالم اللي امحزر: العالم الذي في قرية الحزر، وهو الولي المشهور بالطعان (المرجع عمر كزابة).

(٦) أبو ريش: هو الولي الصالح السيد عبد الله أبو ريش المدفون بالقرية المنسوبة إليه المشهورة بدير أبو ريش من بلاد صليل (وهو في نفس الوقت أحد أديرة مديرية القناوص، ويقع بجوار دير كزابه غرب مدينة القناوص بحوالي سبعة =

ويبدو أن القوزي الذي وعد امناجي خيراً كما يفصح عن ذلك مطلع النص الثاني.. كان ممتلئ القلب جداً على ذياب.. فتوانى وتأخر عن إطلاقه بينما كان تحرق امناجي لنجاح شفاعته يلتهب، فكتب القصيدة الثانية متسائلاً هل نسي القوزي وعده بإطلاق ذياب أم توانى قصداً وعنية، ثم طفق يذكّره أن الأمور كلها بيده.. وهذا

كيلومترات تقريباً.

جاء في الجزء الأول من كتاب (نشر الثناء الحسن) للمؤرخ العلامة إسماعيل بن محمد الوشلي (ص٢٤٩) في سياق الترجمة لأبو ريش أنه كان صالحاً، ولياً أمياً لا يقرأ القرآن، ولكن كان إذا قرئ عنده القرآن وسبق لسان القارئ إلى غلط عرف ذلك فيفتح عليه، فقيل له: بما تعرف ذلك؟ فقال: أرى نوراً متصلاً بالمصحف صاعداً إلى السماء، فإذا غلط القارئ انقطع ذلك النور فأعرف أنه غلط فأنبهه. ويقال: إن سبب تلقيبه بأبو ريش أنه عندما كان صغيراً رأى ريشتين مغروستين في رأس رجل فطلبهما، فلم تسمح نفس الرجل بهما، فمسح والده على رأسه فإذا برأسه ريشتان فلقب بذلك.

ويذكر الوشلي أنه قد اشتهر بين ذرية أبو ريش أن من لم يجعل برأسه ريشتان خضراوتان من الشعر لا يعيش. ا هـ.

وقد تعرض ضريحه وهجرته إلى تعدٍّ في السنوات الأخيرة من قبل بعض المتطرفين وسط صمت مطبق سببه تجهيل الناس بمقام هذا الرجل وأمثاله.

(١) وراعي امحديد: صاحب الحديد، وهو الولي المدفون في غرب بلاد الحشابرة جنوب الزيدية (المرجع عمر كزابة).

يفهم منه أنه ربما أجيب بأن الأمر ليس في يد القوزي وإنما في يد سيف الإسلام..

وأخيراً يذكره بمكانته الكبيرة وكلمته المسموعة.. وأن ذياباً مجرد عبد من عبيده لا يسعه إلا طاعته.. وهو أي الشاعر كفيل بعودته عبداً مطيعاً منقاداً..

كل ذلك في قصيدة من أروع قصائد امناجي وهذا نصها:

ابْـــنَ الْقَـــوْزْ وَاعَـــدْتَّنَا ... وْوَعْـــدَكْ ثْمَـــادَى وْطَـــالْ
لاَ شَـــكّ إِنَّـــكْ نْـــسِيْتَنَا ... مَـــا ادْرِي ثْرَاخَـــى امّقَـــالْ
قُـمَ ارْكَـبْ سَـنَا امْزَيْدِيـهْ ... وْخَلّ امْسلُوكْ فِي اشْتِغَالْ[1]
وْرَاجْـــعَ الـــسّيفْ لَيْلِيـــهْ ... وْشَـــتّرَاخَى امْحِبَـــالْ[2]
انْـــتَ كِلْمْتَـــكْ كُولِيـــهْ ... تَـــدْوِي مْعَاهَـــا امْجِبَـــالْ[3]

(١) سنا امزيدية: إلى الزيدية. وخل امسلوك في اشتغال: وأرسل برقيات عن طريق السلك.

(٢) وراجع السيف ليليه: وكاتب سيف الإسلام كل ليلة، وراجعه في شأن ذياب. وشتراخى امحبال: وسوف تُحلحل القضية.

(٣) كوليه: كبيرة. تدوي معاها امجبال: يتردد صداها في الجبال (كناية عن سعة =

ولاَ تَعْجْبَـــكْ دُونِيـــهْ[1] انْـــتَ هَاشْـــمِي نَـــسْلْ آلْ
ذِيَـــابْ لاَ فْعِـــلْ سَـــيِّئَهْ[2] عَبْـدَكْ عَلَـى كُـلّ حَـالْ
وانْ شَـــــاتْبِيْعَهْ بِعَـــــهْ ولاّ اجْمَلَـــهْ كَامْجِمَـــالْ[3]
وَاذْبَـــــحْ إِذَا قَـــــالْ آهْ لَتْعُـــدّنَا مِـــنَ الرّجَـــالْ
يَـــا سِـــبْعْ يَـــا دَاهِيـــهْ بِـــاللّهْ افْـدَ مَالَـكْ بْمَـالْ[4]
وْطَبِيْعْتَـــكْ مُوحِـــشِهْ وْسَـــلاَكْ يُـــومْ الْقِتَـــالْ[5]
أَزْكَـى صَـلاَتِي الْمْكَـرَّرَهْ تْخُـــصّ بَـــاهِي الْجَمَـــالْ

نفوذه عند مراكز الحكم في صنعاء).

(١) ولا تعجبك دونيه: ولا ترضى بالصغائر.

(٢) لا فعل سيئة: إذا وقع في خطأ.

(٣) وان شاتبيعه بعه: إذا أردت بيعه فبعه. ولا اجمله كامجمال: أو مُره بما شئت ينقاد لك كما ينقاد الجمل للجمال بالخطام.

(٤) بالله افد مالك بمال: استنقذ ذياب حتى لو خسرت المال في سبيل ذلك فهو مال من جملة مالك، والمال يفدي المال.

(٥) وطبيعتك موحشة: أنت وعر الطباع. وسلاك يوم القتال: كناية عن شجاعة القوزي التي تجعله يبتهج وهو يخوض غمار المعارك.

وهذا البيت من تجليات امناجي الشاعر الأمي الذي يذكرنا بقول المتنبي في سيف الدولة:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاحٌ وثغرك باسم

وْعَلَـى الـصّحَابَهْ الأَرْبَعَـهْ أَهْـلَ الـسّيُوفَ الـصّقَالْ
اللّـي جَاهَـدُوا الكُفْرِيـهْ وطِلِـعْ يْـأَذِّنْ بِـلاَلْ[1]

ولكن الشيخ القوزي هذه المرة لم يعره اهتماماً ولا ألقى له بالاً؛ الأمر الذي شجّن امناجي وحزّ في نفسه.. فوجه بقصيدة ثالثة إلى القوزي يعاتبهُ فيها عتاباً مُرّاً.. ويحذره من مغبة عدم الإحسان إلى الخارجين عليه.. لأن اليأس من عطفه ومرحمته.. سيدفع بهم إلى التمادي في التمرد الذي لم يعد أمامهم سبيلٌ غيره.. وقد وضَّحَ امناجي مرارته وحزنه في أول القصيدة التي لم يبدأها بمخاطبة الشيخ مباشرة كما فعل في القصيدتين الأوليين؛ إذ بدا فيهما صديقاً محباً يخاطب الشيخ بلقب اعتاد الناس على مناداته ومناداة آبائه المشائخ به (ابن القوز) وذلك حين يستحضرون بشكل خاص بطولاتهم كما نجد عند بكير في قصيدة (الخن):

وْقَبْلَـهْ ابْـنَ الْقَـوْزْ ذَا الدَّاهْيَـهْ مِفْتَـاحْ قُفْـلَ الْـيَمَنْ

(١) اللي جاهدوا الكفرية: الذين جاهدوا الكفار. وطلع يأذن بلال: حتى رقى بلال الكعبة مؤذناً بانتصار الإسلام.

بدأ امناجي قصيدته الثالثة بمخاطبة الطير وبعد أن يصف شجاعة القوزي وقوة معاقله يبدأ بمخاطبته في القضية مرة أخرى بذلك الأسلوب المحبب (ابن القوز) ولكنه ما يلبث أن يمعن في طرح ما في نفسه بمنتهى الصراحة تقول القصيدة:

يَا طَيْرْ لَنْتَ مْسَافْرُ مْعَاكْ شَرْسِلْ جَوَابْ[1]
إِلَى الَّذِي بْزَنْدِيَهْ[2] وْيَقْرَحْ بْيَومَ الدُّؤَابْ[3]
شْتَلْقَاهْ سَنَا امْزَيْدْيَهْ ولاّ سَنَا دَيْرْ كُزَابْ[4]

(١) لنت مسافر: إذا أنت مسافر. معاك شرسل جواب: معك سأرسل رسالة.
يروي صديق صغير وشوعي علي هذا البيت على هذا النحو:
يا طير لانت مشايم معاك شرسل جواب
والمشايم: هو المتجه شمالاً؛ إذ المعروف في تهامة أن لديهم تسميات أخرى للجهات الأربع: الجنوب: يسمى يُمّنْ، الشمال: يسمى شايم، الغرب: يسمى فُرّاع، الشرق: يسمى صعّد.

(٢) إلى الذي بزندية: إلى الذي يحكم البلاد بقوة زنديه.

(٣) ويقرح بيوم الدؤاب: يفرح بيوم الحرب وتبتهج نفسه به.
ويروي بعض أفراد أسرة امناجي هذا البيت أيضاً على هذا النحو:
سنا الذي بزنديه ويفرح بيوم الدؤاب

(٤) شتلقاه سنا امزيدية: ستجده جهة الزيدية، والزيدية مدينة من أهم المدن في تهامة، وهي مركز مديرية الزيدية محافظة الحديدة، وتقع إلى الشمال من الحديدة بحوالي ٦٥كيلومترا، وهي مدينة تاريخية تحولت من قرية إلى مدينة =

شْـــتَلْقَى بْيُوتَـــهْ مْـــشَرّقَهْ كْمِثْـــلْ حُـــصْنَ الغُـــرَابْ[1]

والنَّـــاسْ تَـــدْخُلْ وْبَادْيـــهْ بْـــنَ الْقَـــوزْ مِثْـــلَ امْـــشَعَابْ[2]

ابْـــنَ الْقَـــوزْ شَـــا عَاتْبَـــكْ[3] وْمَـــا فَايْـــدِهْ فِـــي امْعِتَـــابْ

عقب خراب مدينة أبيات حسين بعد منتصف القرن التاسع الهجري، وهي تقع إلى الشمال من الزيدية ببضعة كيلومترات، ولا تزال آثارها باقية إلى اليوم، وتعد مدينة الزيدية من أهم هجر ومعاقل العلم في اليمن، وتتميز بقلعتها المشهورة.

ولا سنا دير كزاب: أو ستجده جهة دير كزابة، ودير كزابة قرية من أهم قرى صليل مديرية القناوص وأكثرها سكاناً؛ إذ يتجاوز عدد سكانها ٣٥٠٠نسمة حسب تعداد ٢٠٠٥م، وهي تقع إلى الغرب من مدينة القناوص بحوالي سبعة كيلومترات.

(١) شتلقى بيوته مشرقه: ستجد بيوته أبوابها إلى الشرق.

وحصن الغراب هو: حصن في مشهور في أحد جبال مديرية الشمايتين بمنطقة الحجرية محافظة تعز. (المصدر: عبد الوهاب عبد اللطيف، من الحجرية)، وقد يكون الحصن الذي قصده امناجي حصناً آخر غير هذا.

يروي ثواب علي هذا البيت على هذا النحو:

شتلقى بيوته مشرقه تشابه لحصن الغراب

(٢) تدخل وباديه: تدخل وتخرج. مثل امشعاب: الشعاب جمع شعب وهي مسايل الماء الواسعة، شبهه بها لكثرة الداخلين إليه والخارجين من عنده في حوائج مختلفة. (تفسير محمد مناجي)

(٣) شا عاتبك: سأعاتبك.

دَايِـمْ تْفَـسِّلْ بْـصَاحْبَكْ وتَـشْبُكَهْ فِـي امْحَنَـابْ[1]
(انْـتَ الَّـذِي وْعَـدْتَّنَا فِـي بَـابْ يْـسَمَّى الْعُقَـابْ[2]
وَنْـتَ الَّـذِي قُلْـتَ لِـي شَـلْحَقْ وْشَـخْرِجْ ذِيَـابْ[3]
يَـا شَـيْخْ يَـا دَاهِيَـهْ لْمِثْلَكَ امْكَـذْبْ عَـابْ[4])[5]
لاَ بُـدّ رَبِّـي يْعَاقْبَـكْ وْيَقْـدَرْ يْخَـرِّجْ ذْيَـابْ
ويَمْـسِي يْحَفِّـشْ مْزَارْبَـكْ ويَـسْرِي يْـسُوقْ امْـدْوَابْ[6]
وتْغِيْـرْ بْمَاشِـيكْ وْرَاكْبَـكْ وتْـصِيْرْ جَـايِعْ وْغَـابْ[7]
وتَمْـسِي تّقَـضَّمْ شَـوَارْبَكْ بَعْـدَ امْـأَكَّرْ فِـي امْـشْعَابْ[8]

---

(١) دايم تفسل بصاحبك: دائما تخذل صاحبك. وتشبكه في امحناب: وتدخله في ورطات.

(٢) العقاب: هو حوشٌ أو قبلٌ في بيت القوزي، أو مكان في مؤخرة البيت.

(٣) شلحق وشخرج ذياب: سألحق بك وسأخرج ذياباً من الحبس.

(٤) لمثلك امكذب عاب: مثلك يعيبه الكذب.

(٥) الأبيات الثلاثة المقوسة إضافة من صديق صغير وشوعي علي.

(٦) ويمسي يحفش مزاربك: ويبيت يخرب سواتر بيوتك. والمزراب: ساتر شوكي يتخذ من أغصان السدر أو السلم مع ركز من الصرب (الخشب) ويبنى حول البيوت.

ويسري يسوق امدواب: ويذهب ليلاً لسرقة دوابك.

(٧) وتغير بماشيك وراكبك: وتلحقه بخيلك ورجلك. وتصير جايع وغاب: وتطول مطاردتك له حتى تشعر بالجوع والعطش.

(٨) وتمسي تقضم شواربك: وتبيت تعض على شفاهك، كناية عن شدة الغيظ =

الْمَمْلُوكْ عَرَبْيَكْ وْصَاحْبَكْ[1] ابْـــرَاهِمْ مَنَـــاجِي ثَـــوَابْ

يقول عبده طاهر عقيلي[2]: إن امناجي ذهب بنفسه إلى القوزي وخزّن معه وأنشد قصيدته الأولى في الشفاعة لذياب بين يديه، وأن القوزي قد وعده بإخراج ذياب ولذلك قال له في القصيدة الثالثة:

انْـــتَ الَّـــذِي وْعَـــدْتَّنَا فِـــي بَـــابْ يْـسَمَّى الْعُقَـــابْ
وَنْـــتَ الَّـــذِي قُلْـــتَ لِـــي شَـــلْحَقْ وْشَـــخْرِجْ ذِيَـــابْ
يَـــا شَـــاخْ[3] يَـــا دَاهْيَـــهْ لْمِثْلَـــكَ امْكَـــذْبْ عَـــابْ

ويقول يحيى مناجي: إن ذهاب والده إلى القوزي والتخزين معه كان قبل أن يراجعه بأي قصيدة في شأن ذياب، وأن القوزي قد أكرم والده عند ذهابه إليه بخمسة ريالات فرانصي.

والحنق.

بعد امأثر في امشعاب: تتبع أثره في الشعاب.

(١) عربيك وصاحبك: تابعك وصديقك.

(٢) كتبت هذا عنه في منزلتنا بقرية الجيلانية يوم ٢٠٠٥/٤/٥م.

(٣) يا شاخ: يا شيخ. ومعظم الناس في تهامة الواقعة بين المراوعة والقناوص ينادون الشيخ: يا شاخ، بدلاً من: يا شيخ، وكذلك في بني سعد محافظة المحويت يفعلون ذلك، وقد تكون هناك مناطق أخرى تنطقها على هذا النحو.

ويبدو لي أن رواية عبده طاهر عقيلي هي الأصح، فالأبيات الثلاثة التي رواها ومضامين القصيدتين الثانية والثالثة بوجه عام تؤيد ما يقول، ولعل يحيى كان ناسياً بدليل أنه عندما روى لي القصيدة كاملة لم يرو تلك الأبيات الثلاثة في جملتها، ولعل الأستاذ علي الأهدل صاحب صامطة الذي أرسل لي بعض نصوص امناجي كان قد كتبها مروية عن يحيى فنص القصيدة كما أرسلها يتطابق تماماً مع رواية يحيى، وقد روى صديق صغير وشوعي علي هذه الثلاثة الأبيات في الجلسة الثانية لمراجعة هذا الكتاب مع أسرة امناجي بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٠م وروايتهم لها تؤكد ما يقوله عبده طاهر عقيلي.

وقد فهمت من يحيى أن أباه أرسلها إلى قريبه في القناوص علي حسين ثواب جد أبو الغيث علي صغير ثواب..

وأنه عندما أرسلها إلى قريبه لم يرسلها بوصفها نفثة من نفثاته يجب أن يعرفها أصدقاؤه وأقاربه فقط.. من دون أن تصل إلى القوزي الذي قد يغضب جراء عنف

لهجتها..

بل إنه أرسلها إلى قريبه لتصل عن طريقه إلى القوزي جرياً على عادة الشعراء آنذاك الذين كانوا يقولون ما يشعرون بضرورة قوله دون تحرج أو حسابات فيمدحون الكبار ويهجونهم.. لأنهم في موقع المسؤولية ويجب أن يحتملوا الناس ولأن الكبار دائماً عرضة للكلام عنهم سُخطاً ورضاً كما قال الشاعر القديم:

هجوتُ زهيراً ثم إني مدحته

وما زالت الأشراف تهجى وتمدحُ

ما يؤكد أنه أرسلها لتصل إلى القوزي تذييلها بما يدل على الولاء رغم قسوة العتاب:

الْمَمْلُوكْ عَرَبْيَكْ وْصَاحْبَكْ ابْرَاهِمْ مَنَاجِي ثَوَابْ[1]

أما ثواب علي فقد أكد أن امناجي كان كل حين يكتب ورقة ويطلب من محجب (وهو أحد أقاربه) أن يذهب بها إلى القوزي، وأنه عندما أرسل القصيدة الأخيرة كان

(١) يرويها بعض أفراد أسرة امناجي:

خذها من خوك وصاحبك ابراهم مناجي ثواب

غاضباً جداً مما آل إليه أمر وساطته وأنه قد وجه غضبه إلى محجب وعلي ثواب (والد ثواب علي أحد رواتنا) - بعبارة الراوية: حشش عليهم- فسريا بالقصيدة ليلاً إلى القوزي.

ثمة ملاحظة على القصيدة فيبدو أن أبياتاً قبل البيت الأخير قد سقطت من الراوي —الرواة- فالقطع واضح قبل ختام القصيدة.

والخلاصة أننا لم نكسب من تشفع امناجي لذياب متعة هذا الشعر الجميل فحسب.. بل إننا اكتشفنا هذا الجانب الإنساني الرائع من شخصيته، كذلك علمنا مقدار شجاعته التي تؤهله ليقول ما في نفسه مهما كانت صعوبة الموقف وحرجه وتعقيداته.

❖ ❖ ❖

أما مصير ذياب فثمة أكثر من رواية تتحدث عنه، منها رواية تقول: إنه فر من الحبس وعاد إلى سابق عهده.. يُبَيِّت القرى ويسرق الناس، وأنه لحقده على ما فعله القوزي به، بيت بقراً للقوزي فتحققت نبوءة امناجي

حين قال:

لاَ بُـــدّ رَبِّـــي يْعَاقْبَـــكْ ... وْيَقْـــدَرْ يْخَـــرِّجْ ذْيَـــابْ
ويَمْـسِي يْحَفِّـشْ مْزَارْبَـكْ ... ويَـسْرِي يْـسُوقْ امْـدْوَابْ
وتْغِيْـرْ بْمَاشِـيْكْ وْرَاكْبَـكْ ... وتْـصِيْرْ جَـايِعْ وْغَـابْ
وتَمْـسِي تّقَـضَّمْ شَـوَارْبَكْ ... بَعْـدَ امْـأَثَّرْ فِـي امْـشْعَابْ

أما الرواية الأخرى وهي رواية الشيخ امحمد علي القوزي والتي سجلتها عنه بصنعاء مساء الأربعاء ٢٠٠٥/٣/٩م فتقول:

إن ذياباً كان من عبيد القوزي وقد تمرد على الشيخ إبراهيم قوزي وكان يسري ليلاً فيبيت القرى ويسرق الناس حتى نهض القوزي له بحزمٍ فقبض عليه وحبسه في سجن الحديدة ورفض إطلاقه، وكان مع ذياب من ضمن المحابيس سجينٌ من الزرانيق، فَذُكِرَ القوزي ذات يومٍ بين المحابيس فسبَّهُ الزرنوقي، فلم يرقْ ذلك لذياب فقام وأخذ إبريقاً من الفخار وضرب رأس الزرنوقي به فقتله أو أصابه إصابة شديدة، وكان ذلك اليوم موعد خروج أحد المحابيس من أهل الحديدة بعد أن شهد

الواقعة، فذهب إلى القوزي (قرية الحزر) وأخبره بما حدث وبين له شدة ولاء ذياب له، فنهض القوزي إلى الحديدة لإطلاقه ولكنه وصل وقد مات ذياب.

فإذا كانت هذه الرواية صحيحة فهل يكون موت ذياب نتيجة عراك حصل بينه وبين الرجل أم نتيجة مرضٍ ألم به قبل أن يفعل بالرجل ما فعل؟

الرواية الثالثة: وهي رواية محمد مناجي في جلسة مراجعة الكتاب في تاريخ ٢٠٠٥/٤/٤م قال: بعد خروج أبي من الحبس اعتاد أن يرسلني كل يوم بالقراع (طعام الإفطار) لذياب في سجنه، وفي أحد الأيام ذهبت بالقراع وكان قرص عيش دخن مهفت[١] بسليط ومعه حوتة[٢] وقد ذهبت مبكراً وعندما وصلت إلى السجن، وكان السجانون

(١) التهفيت: هو حفر صغيرة على صدر قرص العيش (الكدر) تحدثها الخابزة بأصابعها وتصب فيها السمن أو زيت السمسم (السليط) فيتشربها القرص الساخن فيحسن طعمه وتكون له رائحة يجري لها اللعاب، ولا يهفّت العيش إلا إذا زُوّدَ به شخص بعيد، كالعمال والشقاة في المزارع، أو البناة في مكان بعيد عن البيت، أو المساجين كما في حالة ذياب.

(٢) حوتة: سمكة صغيرة.

يعرفونني ويعرفون أنني آتي لذياب بالقراع كل يوم، فبمجرد أن رأوني قالوا لي: مات.. فصرخت وقلت: كيف هذا؟! أريد أن أراه، فأبوا أن يمكنوني من ذلك وقالوا لي: مات ليلاً ودفن. فرجعت إلى أبي باكياً وحين أخبرته خرج كالمجنون يجري إلى السجن فأخبروه بما حدث.

ويؤكد محمد مناجي أن ذياباً مات في سجنه قهراً وألماً فقد كان ثقل العمود (القيد) قد آذاه.. فلأن السجانين كانوا يخافون منه وكذلك العمري نائب الإمام على الحديدة فقد ضاعفوا قيوده فقيدوه بمرود اسمه: الذيب.. ووضعوا له إلى جانبه سياراً وحلقة[1]، وقد قال له العمري بنفسه: أنت ذياب وهذا الذيب فيك إما غلبته وإما قتلك.

(١) السيّار: قيد خفيف. والحلقة: جزء من هذا السيار ويقيّد بها ذوو الخطر إلى جانب القيد الثقيل مرود. (المرجع الشيخ أحمد عبد الله مهدي الجيلاني).

امناجي وشعراء عصره

عاصر امناجي ثواب عدداً من الشعراء، فقد تفجرت موهبته في الفترة التي كان فيها الشعراء الكبار من أمثال: مبارك بكير، والنهاري حسن، وسعيد اعمى، وزربة (في القناوص)، وسي شعيب الأهدل، وعلي باري (صاحبا المراوعة)، والبكار (صاحب بيت الفقيه) قد وصلوا إلى ذروة شهرتهم، وعندما بدأت شهرته تتسع عند أول عشرينيات القرن العشرين كانت أوراق حياة أولئك الشعراء الكبار تتساقط.

ولكنه عاصر شعراء كان بعضهم يشبهه في طريقة كتابته وبعضهم يختلف عنه.

أما الذين يشبهونه فلا نعرف منهم إلا الشاعر امحمد نهاري — صاحب دير النهاري- عزلة بني مهدي —مديرية القناوص-

وقد أخبرني جماعة من دير النهاري على رأسهم أمين الدير (نهاري علي نهاري) وعمره خمسون عاماً عندما التقيت بهم في منزلتنا بقرية الجيلانية نهار الثلاثاء ٢٠٠٤/١١/٢١م أن الشاعر امحمد نهاري توفي قبل حوالي ستين سنة في دير النهاري ويعرف أبناؤه ببني الشاعر، ومن ذريته الموجودين الآن في دير النهاري: بيت حسن شاعر، وبيت علي شاعر، وبيت أحمد شاعر، وبيت أحمد عراج وهم كلهم من أحفاده وأحفاد أبنائه؛ لأن أبناءه المباشرين قد مات جميعهم، وقد سافر خامس أبنائه إلى مصوع ولم يعرف مصيره إلى الآن، ويقول نهاري علي نهاري إنه مات بعد أن جاوز الثمانين من عمره وأن والده (والد علي نهاري) الذي يبلغ من العمر اليوم حوالي مائة سنة قد عرفه ووصفه بأنه كان رجلاً مكتملاً طويل القامة أصفر اللون، ومن هذه الرواية نعرف أن امحمد نهاري كان قد مات – ربما قبل امناجي ثواب– وأنه عاصره وكان أكبر سناً منه، فقد توفي قبله وكان قد جاوز الثمانين من العمر، وتوفي امناجي كما نرجح بعده وهو في السبعين، فهناك فارق عمري بينهما لا يقل عن عشرين عاماً على

وجه التقريب؛ يؤيد ذلك أن كل أبناء النهاري حال توثيق هذه الرواية كانوا قد ماتوا في حين كان أبناء امناجي لا يزالون موجودين.

الشاعر امحمد نهاري الذي عرفنا من رواية أبناء امناجي وغيرهم من أهل القناوص أنه كان بينه وبين امناجي ثواب نقائض ومهاجاة، وقول ورد، من أمثلتها: أن النهاري اشتغل في مرحلة من عمره كيالاً (يكيل الطعام (الحب) في المحناط (سوق الحب) في سوق القناوص الذي يقام يوم الخميس من كل أسبوع وفي غيره من الأسواق..

وكان من أهل القناوص رجل اسمه الهميس يكيل في السوق أيضاً.. وذات يوم حار كان النهاري عند الهميس فشعر بالعطش فطلب ماء ليشرب وكان المحناط قريباً من بيت الهميس.

فنادى الهميس ابنة له لتأتيهم بالماء.. فجاءتهم بماء بارد في قوبة مقطرنة[1] - وكانت ابنة الهميس جميلة.. جمالاً جعل الحاضرين كلهم يصمتون عن الكلام دهشة

(١) القوبة: إناء محفورٌ من الخشب، قد يصنع له ممسك من الخشب وقد لا يصنع، تطلى بالقطران باطنها وظاهرها، ويشرب فيها الماء، فتكون له نكهة محببة.

لجمالها وانبهاراً به- فشرب النهاري وأدام النظر إلى الفتاة.. ثم قال على مسمع من أبيها والحاضرين:

صَـــنَّ امْرِيَـــالَ امْفَرَانْـــصِي[1]

فِـــي يْـــدَ امْكَيَّـــالْ امْقَنَاوْصِـــيْ[2]

وْصَـــنَّيْنَا عِـــشْرِينْ مِـــنْ صَـــنِينَهْ[3]

فبهت الهميس من تغزل النهاري بابنته على مسمع منه.. وذهب يشكوه إلى امناجي ثواب.. الذي ردّ على الفور:

قُولُـــوا لِلنَّهَـــارِي عَـــسَى نْـــسِيْ[4]

أَنَا لَمّا اسْمَعْ ذَا الْكَلَامْ يَقْلِبْ حِسِّيْ[5]

شَـــاهَبْ عِـــشْرِينْ بَمْرْزِينَـــهْ[6]

---

(١) صن: رن، امريال امفرانضي: ريال ماري تريزا.

(٢) امقناوصي: نسبة إلى القناوص.

(٣) وصنينا عشربن من صنينه: وصمتنا كلنا (عشرون رجلاً). من صنينه: من رنينه. (صن في اللهجة التهامية تأتي بمعنى رنّ كما في قوله: صن امريال امفرانصي. وتأتي بمعنى (صمت) كما قوله: وصنينا عشرين ...إلخ).

(٤) عسى نسي: هل قد نسي.

(٥) يقلب حسي: يثير غضبي ويعكر مزاجي.

(٦) شاهب: سأهب. بمرزينه: بالثقيلة.

فقولته (قولوا للنهاري عسى نسي) تعني أن بينهما أخذاً ورداً متكرراً، كما تعني أن امناجي كان ينتصر دائماً.. في معاركه الشعرية مع النهاري.. وقد بحثت كثيراً عن نصوص أخرى بينهما.. فلم أحصل إلا على بيتين قال لي محمد مناجي إن والده كان قد ردّ بهما على النهاري.. وأنه لا يحفظ قول النهاري الذي ردّ عليه والده والبيتان هما:

اتْبَعْ غَرِيْمَكْ وْمُوتُوا سْنَابْ[1]

وجُرّتَكْ مَا أَتَنْ بَابِيْ[2]

وْغَيْرِي الَّذِي فَتَّحُوا الأَسْبَابْ

وْعِرِفْتْ مَا تَبْدَأَ الاّ بِيْ

ثم إنه في جلستنا الثانية لمراجعة الكتاب في منزلة الأستاذ التربوي أحمد بهلول بالقناوص بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٠م تذكر قول النهاري الذي رد عليه والده

(١) اتبع غريمك وموتوا اسناب: اطلب خصمك وليفعل كل منكما بالآخر ما يشاء.

(٢) وجرتك ما أتن بابي: أثر الغريم الذي تبحث عنه لم ينتهِ إلى باب بيتي حتى تتهمني.

بذلك الشعر وهو:

امّـــصَاعِلَهْ[1] كُلُّهَـــا تَرْتَـــابْ
كَبَيْـــرْ وَصْـــغَيْرْ وَشُـــيَّابِ
مَتْقَـــسِّمِنْ لَـــكْ بْخَمْـــسَهْ ارْقَـــابْ
أَيْـــضَ تِّـــذَبَّحْ عَلَـــى الْبَـــابِ[2]
وْجِـــدِّي النْهَـــارِي[3] مِـــنَ الأَقْطَـــابْ
يَـــشْهَرْ[4] بْقُبَّـــهْ وَأَبْـــوَابِ

(١) امصاعله: هم الأشراف أهل صاعل ذرية الولي الكبير حسن بن امحمد المدفون بجهة وادي سردد، وعليه قبة تقع إلى الغرب من قرية الكدرا التي تقع بدورها غربي المهجم ويقيم فيها مجموعة منهم فيما تسكن مجموعة أخرى منهم في دير محمد عزلة بني مهدي، وهم الذين يقصدهم الشاعر هنا.

(٢) متقسمن لك بخمسه ارقاب: مقسمين إلا أن تُهَجِّرهم بخمسة رؤوس من الماشية تذبحها على الباب حتى يُقْبَل اعتذارك.

(٣) النهاري: هو الولي الكبير صاحب القبة الشهيرة في دير النهاري، وهو دير يقع إلى الجنوب من القناوص بحوالي خمسة كيلومترات في عزلة بني مهدي، والنهاري حسن من أبناء النهاري الكبير صاحب الرباط المشهور في ريمة، وأهل دير النهاري ومنهم الشاعر محمد النهاري معظمهم من ذرية هذا الولي.

(٤) يشهر: يشتهر.

وقد أخبرني (نهاري علي نهاري) أن عندهم من يحتفظ ببعض أشعار النهاري مدونة، كما أن إحدى بناته تحفظ بعض شعره.. فلعل بحثنا عن شعر النهاري يسفر عن الحصول على نصوص أخرى لنقائضه مع امناجي.

***

عندما قلت إن النهاري ممن يشبهون امناجي.. كنت أقصد المشابهة في نواحي الاشتغال الشعري.. وطريقة الحياة.. فإذا كان النص الذي قاله النهاري في بنت الهميس يوضح ناحية من نواحي تشابههما في طريقة قول الشعر الشعبي.. فإن نصاً آخر رواه لي أصحاب دير النهاري في لقائي معهم.. يوضح أيضاً ناحية أخرى هي التوجه إلى تثقيف لغة الشعر الشعبي وإشعار القارئ أنها لغة ترتفع قليلاً على لغة شعراء آخرين أكثر إغراقاً في عاميتهم.

وهذا سببه كثرة الاتصال بالمناصب والعلماء والمقصدين. كما أن من أسبابه الميول الشخصية أيضاً..

وهذا هو النص:

بَـارِقْ بَـرَقْ مِـنْ عَلَـى مَكّـهْ وْصَارَتْ حُجُوبَهْ[1] سَوَى تَقْطُرْ
مَـا مِـنْ بْـوَارِقْ عَلَـى مَكّـهْ وْمَـا مِـنْ زَوَاجِـرْ لَهَـا تَزْجُـرْ[2]
وْيَا سَعْدْ مِنْ كِدْ وْصِلْ مَكّهْ دَبَّـرْ وْإِلاّ فَـلاَ يَـدْبُرْ[3]
يَـدْفَنْ وْيَـسْعَدْ قَـدَا مَكّـهْ نَـالْ الْهَنَـا وَالْمُنَـى (بَـهْ سُـرّ)[4]
لِـيْ شَعْـشَعَ النُّـورْ فِـي مَكّـهْ نُورْ الْقَمَرْ فِي السَّمَا لَـهْ طُـرّ[5]
أَلْكَـاكْ لَلْمُلْـكْ فِـي مَكّـهْ الْعَقْلْ مِـنْ أَمَلاَكْهَـا يَشْطُرْ[6]

(١) حجوبه: الحجوب: الحجب، وهي الأسداف الكثيفة من المطر الساقط من السحاب الذي يظهر وكأنه حُجبٌ تسدل،

(٢) زواجر: أصوات الرعود القاصفة.

(٣) ويا سعد من كد وصل مكة: يا لسعادة من قد وصل مكة، دبر وإلا فلا يدبر: رجع أو لم يرجع.

(٤) يدفن ويسعد قدا مكه: يدفن ويسعد هناك في مكة. بَه سُرّ: سر بما نال من الهنا والمنى.

(٥) لي: الذي. له طر: لضوئه سطوع باهر.

(٦) ألكاك للملك في مكه: أي خزائن كثيرة فيها خير كثير.

يشطر: يجن أو لا يكاد يصدق.

وألكاك: جمع لك، واللك: لفظ إنجليزي Lock يعني الإقفال أو الإغلاق، وقد كان في النصف الأول من القرن العشرين يعني رقماً حسابياً يصل إلى مائة ألف ريال فرانصي (ريال ماري تريزا)، وكان الإمام إذا عرف أن تاجراً من التجار قد لكّك أي وصل رأس ماله إلى مائة ألف ريال يمنعه من التجارة =

ويمنحه مركز شيخ بندر تجار البلد، وممن عرف بهذه الصفة في مدينة الحديدة التاجر هاشم شريف الرفاعي رحمه الله، وكان رجلاً محسناً كثير الصدقات، وعرف عنه أنه اشترى مقبرة الشيخ صديق المشهورة في الحديدة عندما حاولت بعض الجهات ادعاء ملكيتها فاشتراها وأوقفها مقبرة للمسلمين.

ومن طرائف ما يروى عن الشريف الرفاعي أن مجاري الجامع كانت تمر تحت الأرض في أحواشه وكان لها بركٌ، فكان عندما يقول الناس إن الشريف الرفاعي لَكَّك وأن عنده بركاً من المال في أحواشه كان يدخلهم فيريهم المجاري ويقول لهم: عندي برك(.....).

وكان يقال: فلان لكَّكَ وفلان مُلكِّكٌ أي: وصل إلى درجة من الغنى الفاحش، ومن المجاز وصف المريض الذي يمتنع عن الأكل والشرب بأنه مُلَكِّكٌ أي مغلق أو ممنوع، كما تطلق اللفظة على المال الموضوع في تنك أو علب مغلقة بإحكام فتسمى اللكوك، ومنه وصفهم لعملية لحام ضبّة المداعة وقطبها بالتلكيك، فيقول صاحب المداعة للصانع: لَكِّكْها، ومادة اللك: مادة صمغية شمعية بنية اللون لها رائحة زكية تأتي على شكل أقراص شبيهة بالريال الفرانصي، وتستورد عادة من الهند، يتم تسخينها حتى تغلي ويلحم بها لأنها تتجمد بسرعة وبعد تجمدها تكون صلبة.

وقد يمزج اللّك مع الصمغ العربي والحِلْف، ويستعمل شراباً لمداواة الكسور.

(تم أخذ هذا التعريف من مجموعة من المثقفين الأفاضل في مقيل جمعية الحديدة بصنعاء بتاريخ ٢٠٠٥/٩/١١م وعلى رأسهم الأساتذة أبو القصب الشلال، والمهندس إبراهيم حجر، والأستاذ قاسم عواجي).

ولكنني بعد ذلك تتبعت هذه المادة فوجدت أن لفظ اللك ومادته معروفان عند العرب منذ القديم. كما أن استعمال اللفظ استعمالاً مجازياً كثير جداً جاء في مادة (لكك) في (تاج العروس) اللك صبغٌ أحمر يصبغ به جلود البقر =

للخفاق وهو صبغ يستخرج من نوع من النبات.

وجاء في (نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري) في سياق كلامه على مادة (اللك) (وزعم قوم أنه صمغٌ يلقطُ من قضبان الكروم في بلاد الهند) «ولا يسمى لكاً إلا إذا طُبِخَ واستخرج صبغه» (تاج العروس) «وشرب درهم منه نافغ للخفقان واليرقان والاستسقاء وأوجاع الكبد والمعدة، والطحال والمثانة ويهزل السمان (تاج العروس) وكذلك (نهاية الأرب) «ويركب به النصل في النصاب» (تاج العروس) «واللك الزحام واللكاك الشديدة اللحم من النوق» (تاج العروس) والْتَكّ الوِردُ ازدحم وضرب بعضهُ بعضاً وهو مجاز، والْتك العسكر تضامّ وتداخل مجاز.. واللك الخلط.. وسكران ملتك أي يابسٌ سُكراً .. واللك الضغط يقال لككته لكاً (تاج العروس).. وهو استعمال موجود خاصة في تهامة إلى اليوم فنحن نقول (لكيت فم فلان) وتهدد الأم ابنها مثلاً بقولها: (لا عاد قلت كذا أو كذا شالك ثُمَكْ)..إلخ.

وهناك نوع من اللكوك يسمى لكوك (حتاريش) وجدته في قصيدة رواها لي الوالد حسين سليمان والد الشاعر المشهور أحمد سليمان وهي لشاعر من جهة المراوعة لا يعرف اسمه ولكنه حفظ القصيدة من زملاء عمل زاملوه في السعودية إبان ستينيات القرن الماضي.. والقصيدة رثاء لشيخ كبير قُتل غيلة.. وتهييج على الأخذ بثأره.. وهي من أجود وأروع الوزبات .. والشاهد فيها قوله:

أمّا امْدِيهْ اللّي تُكْتَبْ لو ياهبُ لْكُوكْ حَتَارِيشْ
ولاّ ألفْ اوديهْ جِرَبْ أرضُ شْكِلْ وادي بَيشْ
أرضُ كُلّهَا عُلَبْ

وقد بقيت فترة أسأل وأتساءل عن معنى لكوك حتاريش .. وما اختلافها عن اللكوك التي سبق أن وصفت لي.. حتى ذكرت ذلك لأبي بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٠م =

مَا عْظَمْ ومَا فْخَرْ (سِوَى) مَكّهْ لِيْ (جَارْهَا) مَا يْمَسَّهْ ضُرّ[1]
رِيْحَهْ يْفُوحْ الْمِسْكْ فِي مَكّهْ وَكْثَرْ مِنَ الْمِسْكْ فِي الْمُشْقَرْ[2]
طُفْ بِالْمَآثِرْ جَمِيْعْ مَكّهْ خَافَكْ فِ ذَاكَ الْجَبَلْ تَحْشُرْ[3]
وْصَلاَة رَبِّي عَلَى مِنْ حَلّ فِي مَكّهْ تَغْشَاكْ بَكْوَابَهَا[4] يَا دُرّ

أما الناحية الأكثر دلالة على تشابه الشاعرين فتتمثل في محاولة النهاري وهو أمي كـ(امناجي) لا يقرأ ولا يكتب.. أن يقول شعراً فصيحاً.. وقد روى لي أهل دير النهاري من قصيدة له بعض أبيات ووعدت أن تنقل لي لأنها مسجلة عندهم..

كما وعدت أن ينقل لي غيرها..

فأخبرني أن جدي كانت له سَحَّارة سوداء (عرفتها أنا) وكان في الجيلانية يملؤها بلكوك حتاريش مملوءة بالفرانصي .. وهي أوعية من الكتان قوية مدورة بسحَّابات وتزين بكرامش.

(١) ماعظم وما فخر سوى مكة: لا عظيمة ولا فاخرة إلا مكة.
لي: بمعنى التي.

(٢) المشقر: إضمامة من النباتات والزهور العطرية، منها: الكاذي ، والبيضاء، والمغيبرا، والكردس، والواله، وعود القيصمان، والشيح، والريحان...إلخ.

(٣) خافك ف ذاك الجبل تحشر: خافك: بمعنى لعلك أو عساك، والمقصود لعلك أن تحشر في تلك البقاع الطاهرة.

(٤) بكوابها: بأكوابها.

وهذا التشابه معناه أن ينطبق على النهاري ما ذكرناه عن امناجي من الاتصال بالعلماء...إلخ.

وكان النهاري إلى جانب ذلك ذا باع في القدرة على الاستبصار وكشف المستور، وهي موهبة مقسمة على معظم الشعراء الشعبيين في تهامة.

روى محمد عبد الله علي[1] أن بعض الناس قالوا: إن النهاري امحمد لا يفتي[2]. فسمع بذلك وأسره في نفسه، وصادف أن طلب رجل عانة[3] وكان بعض من بني

(١) عمره يتجاوز الثمانين عاماً، وقد تم اللقاء به في بيته بقرية الجيلانية مساء ٢٠٠٥/٤/١٤م.

(٢) الفتوى هي: الاستبصار والقدرة على رؤية الشيء المخبأ أو الشيء البعيد الذي لا يمكن رؤيته بالعين مباشرة، وقد كان الشعراء يتعرضون للتحدي من بعض الناس فيخبئون لهم الخبيئة ويطلبون منهم معرفتها، فيقولون للشاعر: افتنا؛ أي: أفدنا عن هذا الشيء المخبأ.

(٣) العانة: المعاونة؛ والعادة أن يطلب أحد مُلاك الأرض الكبار الذين تحتاج أرضهم إلى الحرث أو المشيش (تنقية الزرع من الحشائش والنباتات الضارة)، فيجتمع له الناس من أهل قريته وغيرها من القرى المجاورة ويذهبون لمعاونته (يقولون: فلان طلب عانة)، وقد تصل العانة إلى الخمسين أو المائة أو أكثر من الشقاة الذي يعملون بفرح وجدٍ وهم يزملون ويغنون فيوفرون على طالب العانة كثيراً من الجهد والوقت والمال.

البحاري[1] قد أمسكوا بنعامة ونتفوا ريشها ووضعوه في حُقٍّ[2] ووضعه أحد المشاركين في العانة تحت حزامه، واصطفّ الناس يَمُشُّون وكان عددهم خمسين نفراً فقال أحدهم: يا نهاري هب لنا زمله[3]..

فقال:

قُولُوا هَامْ قُولُوا هَامْ نَا لْقِيْتْ رِيْشَ امْنَعَامْ[4]
أَحْمَرْ وَاصْفَرْ وَاخْضَرْ وْبَعْضُ فِيْهْ بَالدَّهَامْ[5]
قْتَلَنَّهْ امْبْحَارَهْ مَرْحَامْ[6]

---

(١) بنو البحاري: بيت من بيوت صليل، وهم من عزلة بني مهدي، يسكنون مع أفخاذ من المصاعلة والمباكرة في محل البحاري (محل البنات)، ويقع إلى الجنوب من القناوص بحوالي ثلاثة كيلومترات تقريباً.

(٢) الحق: وعاء صغير من النحاس أو الخشب.

(٣) الزملة: الزامل (شعر خفيف يناسب العمل).

(٤) قولوا هام: بمعنى احملوا حملة سريعة، تطلق هام وصفاً في اللهجة التهامية للفتك بالشيء، فيقول الواحد: كان معي عمل فقلت به هام. أي فتكت به وأكلته أكلاً وأنجزته بسرعة.
نا لقيت ريش امنعام: أنا رأيت ريش النعام.

(٥) وبعض فيه بالدهام: وبعضه أدهم اللون.

(٦) قتلنه: قتلته. امبحاره: بنو البحاري. مرحام: المساكين.

وَنْـتُنْ يَـاللِّي مْكَـذِّبِينْ[1] هُوْ فِي امْزُغْنْ فِي امْحِزَامْ[2]

ومما يروى عنه موقف تعرض له في دير محمد.. فقد تزوج رجل من بني النهاري امرأة من المصاعلة أهل دير محمد.. وعندما روّح المعرس[3] لأخذ عروسه زمل علي النمهدي (علي مهدي) المصعلي فقال:

امْحَجْبْ جَرّ امْحَجْبْ جَرّ[4] وْذَا النَّهَـــارِي يَعْـــشِي[5]

كِـيْ رَوّحْ مِـنَ الْعَـصَرْ[6] لاَ قَبْـــوَهْ وْلاَ مْـــصَرّ[1]

---

(١) وانتن ياللي مكذبين: وأنتم يا الذين تكذبونني.

(٢) هو في امزغن في امحزام: الزغن: جيب يتم عمله من طيات المقطب بعد ربط الحزام على الحقو وهو غير المعنى الذي يسميه به الناس في بعض مناطق اليمن الذين يسمون الإبط زغناً. وامحزام: الحزام.

(٣) روّح المعرس: جاء العروس.

(٤) امحجب جر: الحجب هو المطر الشديد الذي يتسادل من السحابة إلى الأرض كأنه الحجب تسدل على المكان، وجر بمعنى سحب وتحرك، والناس في تهامة عندما يخيلون المطر على مكان ما ويلحظون تحركه إلى جهة أخرى يقولون: بدأ امحجب يجر، ويقولون: امليله جرّن، ويقصد بالليلة الليلة الممطرة.

(٥) وذا النهاري: وهذا النهاري. يعشي: مصاب بالعمى الليلي (أعشى).

(٦) كي روح من العصر: قد روح (جاء) منذ العصر (يقصد أنه جاء لعروسه قبل غروب الشمس بخلاف عادة الناس الذين يطلبون العروس بعد أن يوغل الليل =

فغضب أهل دير النهاري فقال لهم امحمد نهاري: ولا كلمة.

فلما أخذوا العروس وخرج العراضة[٢] رجع النهاري إلى المصعلي وقال له: اسمع مقال[٣]:

امْحَجْبْ جَاكْ امْحَجْبْ جَاكْ[٤] اسْمَعْ كَلاَمِي لاَ يْتَاكْ[٥]

مِنَ امْبَحْرْ لَمْجَبَلْ[٦] مَا لاَ قَبِيْلِي هَاوَاكْ[٧]

إِلاّ عُقْبْةَ امّصَاعِلَه[٨]

والسبب في ذلك أنه أعشى لا يرى إذا أظلمت).

(١) لا قبوه ولا مصر: القبوة هي زهرة الكاذي. والمصر: منديل أو قطعة من القماش كان يتزين المعرس.

(٢) العراضة: لاعبو العرضة، وتسمى أيضاً الدمّة؛ وهي رقصة فيها رجولة، وتُرقص عند الختان وعندما يزفّ العروس، وعندما يستقبل الضيوف. ويغني اللاعبون شعراً جميلاً يبدعه شعراء متخصصون فيه يسمى: الدِّلْع.

(٣) مقال: ما قال.

(٤) امحجب جاك: جاءك المطر.

(٥) لا يتاك: إذا أتاك.

(٦) من امبحر لمجبل: من البحر إلى الجبل.

(٧) ما لا قبيلي هاواك: لم يعاندك أي قبيلي.

(٨) إلا عقبة امصاعله: إلا آخر المصاعله، والمقصود أن أحداً لم يعانده من الناس أو يهاجيه إلا هذا المصعلي الذي لم يتصرف كما يتصرف المصاعله الذين عهد =

❖ ❖ ❖

الغريب أن أصحاب دير النهاري أكدوا لي أن امحمد نهاري هو صاحب القصيدة.. المشهورة في رثاء الشريف حسن كبير الأشراف في الزهرة الذي قتل على أيدي السادة النعامية. وكنت قد اطّلعت قبل حوالي عشر سنوات على أبيات منها نشرها محمد بن علي العقيلي صاحب جيزان في كتابه (تاريخ المخلاف السليماني) ولست أذكر اليوم هل قال إن اسم الشاعر حسن نهاري.. أو النهاري حسن كما ذاع على ألسنة الرواة منذ وعينا.. ليس في منطقة القناوص أو ما جاورها فحسب ولكن حتى في مناطق أخرى بعيدة مثل حراز التي أكد لي بعض أبنائها من مدول أنهم يعرفون الشاعر بهذا الاسم (النهاري حسن) وهناك من يروي له من المعمرين في تلك الجهة[1]، على كل حال؛ فإن قصة الحادثة هي كما رواها الوشلي في تأريخه (نشر الثناء الحسن المنبئ ببعض حوادث الزمن) الجزء٤، ص٥٧، تحقيق إبراهيم المقحفي: (وفي عام أربع

منهم حسن تقدير الناس.

(١) أكد لي هذا الأستاذ حسن علي الزيلعي، المراجع اللغوي المعروف أثناء مراجعته المسودات الأولى من هذا الكتاب في نهاية عام٢٠٠٤م.

وعشرين ١٣٢٤هـ . جرت حروب عظيمة بين أشراف الزهرة وبين السادة النعامية منشؤها أن الشريف علي بن محمد بن يحيى من الأشراف الطوالب خرج بعد صلاة المغرب من الزهرة بعد مضي خمس ليالٍ من رمضان من السنة المذكورة ليصلح بين أناس منً أهل قرية مور والغرزة، ولما وصل قرب الغرزة ثار عليه جماعة قد كمنوا له في ذلك الموضع فقتلوه فحمل إلى الزهرة ودفن بعد صلاة الفجر فخرجت عشيرته من الأشراف بعد دفنه إلى النعامية وكانوا قد اتهموا بقتله وعضدهم جماعة من أهل الزهرة وغيرهم فاقتتلوا ذلك اليوم واليوم الذي بعده، فبلغت القتلى من الجانبين نحو ستين قتيلاً فيهم رؤساء القبيلتين فسرى الفساد إلى سائر القبائل الكائنين بجهة الوادي وكثر القتل وسالت الدماء).

وسياق القصة التاريخي يختلف قليلاً عن سياق الرواية الشعبية التي تروى دائماً قبل استظهار القصيدة، فالمقتول الذي ثارت بسببه الحرب بين الأشراف والنعامية هو (الشريف علي ابن محمد بن يحيى) بينما المقتول في القصة الشعبية هو (الشريف حسن)، ويبدو أن الشريف حسن كان أحد القتلى الذين قتلوا في المعارك التي نتجت

عن مقتل (الشريف علي)، والرواية الشعبية تذكر أيضاً أن النهاري حضر مخدرة[1] العزاء أو مخدرة الصلح بين الأشراف والنعامية إثر مقتل الشريف حسن، وكان الشريف سمياً[2] له، وفاجأ الحضور فيما هم يصطلحون بقصيدته التي ألهبت المشاعر وأججت الأحقاد فاقتتل الفريقان في عودة[3] مزروعة بالجلجلان (السّمْسِمْ) فسقط

(١) مخدرة: خيمة ضخمة تبنى على أعمدة من خشب طويل أو أعمدة من الحديد (كما يحدث اليوم) وتغطى بالخزق (اليوم تغطى بالطرابيل)، وتبطن بالبطانيات، وتُزيّن بالبَزّ الثمين، ثم تملأ بالكراسي والأسرة والقعادات، وتقام فيها الأعراس وسواها من المناسبات التي تؤمها جموع كبيرة من الناس

(٢) السَّمِي: هو من تتسمى باسمه أو العكس، وللسماية عادات وتقاليد، فيلتزم المسمَّى به أو المسمّى بها تجاه المتسمي أو المتسمية بحفلة كبيرة يدعى لها الناس، وتقدم فيها الهدايا، كما يلتزم تجاه المتسمي أو المتسمية بالمشاركة في كل المناسبات الخاصة به من زواجٍ، وولادات، ومغرمٍ وخلافه، وقد تصل درجة العلاقة في السماية حداً يشبه درجة العلاقة التي تنشأ عن المصاهرة، حتى فيما يمكن أن يحدث من خلافات وعداوات ولذلك يقول المثل: (إذا تشا العداوة ظاهر سَمَّهْ والا صاهر)؛ أي إذا أردت عداوة ظاهرة لا تتخفى وراء أي اعتبارات فصاهر أناساً أو سمِّ بهم).

(٣) العودة: وتُجمع على: معاود وعِوَدْ (لهجة)؛ وهي قطعة من الأرض تتفاوت مساحتها بين منطقة وأخرى في تهامة، فهي في مناطق خمسة وأربعون متراً في خمسة وأربعين متراً، وفي مناطق أخرى ستون متراً في ستين متراً (تساوي ستين لبنة)، وقد يقصد بالعودة قطعة من الأرض صغيرة كانت أو كبيرة من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

ثمانون رجلاً وهو رقمٌ يزيد بعشرين نفساً عن الرقم الذي أورده الوشلي.

وقوع الحادثة قبل سنة ومائة سنة من الزمان يدل على أن شاعرها غير الشاعر امحمد نهاري الذي يتوهم أهل دير النهاري أنه هو قائل القصيدة.

بقيت مسألة أخرى.. فقد جاءني من القصيدة أربعة عشر بيتاً أرسلها لي الأستاذ/ علي الأهدل من سامطة ضمن ما أرسله من مروياته لعدد من الشعراء الشعبيين وقدم لها بالسطور التالية:

(ومما ينسب للنهاري حسبما رواه عبده صغير صايغ صاحب دير محمد عندما وقعت الحرب بين السيد الحسن صاحب الرافعي وبين الأشراف أهل الزهرة في وادي مور على إثر قتل السادة النعامية لرئيس الأشراف فيقول الشاعر وكان صديقاً للسيد النعمي).

يبدو أن فيما قدم به الأهدل للقصيدة وهماً بيناً فالنهاري لم يكن صديقاً للسيد النعمي كما تذهب رواية الأهدل أو المصعلي الذي روى عنه الأهدل بل كان صديقاً

أو سمياً للشريف بدليل قوله :

يَـا لَحْـدْ يَاسَـعْ[1] حَـسَنْ وْيَـا لَحْـدْ يَـا سَـعْ شَـرِيفْ

فقد ذكر الشريف ولم يذكر السيد.

أمـا اسـتعمال الأهـدل تعـبير (ومما ينسب للنهاري حسبما رواه لي) فيفصح عن تشككه في نسبة النص من حيث المبدأ.. وهذا يخالف ما هو شائع عند الناس.

ما يؤكد أن القصيدة ليست للنهاري امحمد بل للنهاري حسن ما يلي:

١- أن القصيدة.. لا تشبه أساليب امحمد النهاري التي رويت لي والتي تشبه أساليب امناجي ثواب.

٢- أن القصيدة تشبه أساليب بكير وملفوظاته؛ أي أن أسلوبها ليس فيه علامات التثاقف والتفاصح.. بل هو أسلوب غارق في عاميته من حيث المعجم.. والصور.. والتشبيهات وذلك لأن النهاري حسن كان من سرب بكير كما كان مزامناً له، فعندما قال

(١) في رواية أخرى ستأتي: يا قبر وسْع الحسن، والمعنى واحدٌ.

هـذه القـصيدة وهـي أشـهر قـصائده كـان بكـير في ذروة شهرته.

٣- وهـذا يتفـق مـع مـا وقـر في أذهاننـا - علـى الأقل في ذهني- من أن النهاري صاحب النص كان مزامناً لبكير وأنه ربما مات قبله.. وأنه كان بعده في قوة الحضور إن لم يساوه أحياناً[1]، وقد فضلت إيراد النص هنا توثيقاً له.. وحفظاً من الضياع:

---

(١) ثمة روايات تؤكد أنه لم يتفوق شاعر على بكير مدة حياته إلا النهاري حسن الذي هزمه شعرياً في موقفٍ طريفٍ جداً، فقد روى لي علي جابر سالم بحيص من دوغان وعمره ٧٥عاماً في منزلة الشيخ عيسى كلفود بدوغان في ليل ٢٠٠٥/٤/٥م:

(أن مبارك بكير والنهاري حسن ذهبا إلى منصب المنيرة فسألهما عن الزمان القديم وما يحقان منه؟ أي ما شهدا وعرفا منه، فقال بكير:

أنـا حـق وعـاد آدم جاهـل وعـاد حـوى عزبـه
وعـاد امبجـر سـاحل وامجبـل جنـادل وخـشبه
يـوم هابـل قتـل قابـل وادفـنن امغربـه

فقال النهاري:

انا امشيت فى الأمور القديميه وفيمـا سـبق فى الـدهور
لا سـوامات مبنيـه ولا لحـوى ذكـور
والأرض كـانن تمـور
سمرهـا بالجبـال الراسـيه وحـوط علاهـا امبحـور

فغضب بكير وقام يهاوشه ويقاتله، وما هدأ إلا بعد أن زجرهما المنصب وسدّ بينهما).

وكأن مدار التفوق كان على مقدار ما يستطيع الواحد منهما أن يأتي بالعجيب والغريب، فأغرب النهاري في التصور والتخيّل والمبالغة أكثر مما فعل بكير.

الْيَـومْ يْقُـولْ بُـوْ حَـسَنْ[1] مَـا لاَ مْكَتِّـبْ مْطِيْـفْ[2]
سَـبْعَهْ خُطُـوطْ شَـايَمَنْ[3] مَـوْرِي وْزَعْلِـي وْسَـيفْ[4]
دِهْنَـهْ امْخُطُـوطْ اوْصَـلَنْ[5] صَـبْيَا وْفِـي كُـلّ جَيـفْ[6]
وَالأَرْضْ تَرْجُـفْ مْـسَنّ[7] وَمْـسَنْ ظَـلامُ تْخِيـفْ[8]
جَـافَنْ وْجَـافَنْ وْجَـيَّفَنْ[9] وْكَـمْ مْجَـافِنْ تْجِيـفْ[10]
يَـا قَبْـرْ وِسْـعَ الْحَـسَنْ وْيَـا لَحْـدْ وِسْـعَ الـشَّرِيفْ[1]

---

(١) بو حسن: أبو حسن.

(٢) ما لا مكتب مطيف: ألا يوجد كاتب يطوف علينا يوزع الكتب (الرسائل).

(٣) سبعه خطوط شايمن: سبع رسائل أو سبعة كتب أرسلت إلى الشام.

(٤) موري وزعلي وسيف: إلى مور والزعلية ودير السيف (وقد يكون المقصود بالسيف مكاناً غير دير السيف المعروف في مديرية القناوص).

(٥) دهنه: منطقة في غرب بيش.
امخطوط اوصلن: الرسائل وصلت إليها.
في اتصال هاتفي للأستاذ/ علي الأهدل من صبيا قال: إن هذا البيت يشير إلى ما كان يفعله النعامية والأشراف في تلك الحرب من استنجاد كل فريق بأهله في جهات صبيا وأبو عريش وغيرها.

(٦) صبيا: مدينة تقع في تهامة الشام (جنوب غرب المملكة العربية السعودية) وتقع إلى الشمال الشرقي من جيزان بـ ٢٥ كيلومتراً، وقد اتخذها الإدريسي عاصمة لإمارته في الربع الأول من القرن العشرين.
وفي كل جيف: وفي كل وادي (الجيف: حافة الوادي).

(٧) والأرض ترجف مسن: والأرض أمست ترتجف (كناية عن هول ما حدث).

(٨) ومسن ظلام تخيف: أمست وقد شابتها ظلمة مخيفة.

(٩) جافن وجيفن: أنتنت وتغير ريحها وانتشر بسبب مقتل الشريف.

(١٠) وكم مجافن تجيف: وكم يا جيفات انتشرت.

وَارَيْـنْ مَـا اكْفَـنْ حَـسَنْ وْلَمَّـا لِـبِصْ قُلْـتْ كَيْـفْ[٢]

حَـدَّ الـذَّكَا فِـي حَـسَنْ مِـنْ يُـومْ قَـرَا فِـي أَلِيـفْ[٣]

تَبْكِيْـهْ حَوَايَـا امْخُـزَنْ وْمُثْلِـهْ وْزَهْـبَ امْكَرِيـفْ[٤]

وْمَنَاصْـــدَهْ لاَخْلَفَـــنْ[٥] تَقْبِـلْ كَعَسْكَرْ رْدِيـفْ[١]

---

(١) يا قبر وسع الحسن ويا لحد وسع الشريف: أي قبر ضم الحسن وأي لحد اتسع له (يقصد الكناية عن علو قدره وجلال شأنه حتى أنه ليستعظم أن يضم رفاته قبر أو لحد وهو الذي كان يملأ الجهة كلها).

(٢) وارين ما اكفن حسن: وارين لم تكف كفناً لحسن. والوار : مقياس يقاس به البز.
ولما لبص قلت كيف: ولما نقص قلت كيف؛ أي مستغرباً.
(وهنا ملاحظة فالمعروف أن كفن الميت رجلاً كان أو امراة ثلاثة وار، ولا ندري لماذا استغرب الشاعر أن ينقص الكفن إلا إذا كان يقصد بقوله: وارين، شيئاً آخر).

(٣) حد الذكاء: منتهى الذكاء. من يوم قرا في أليف: من يوم بدأ تهجئة الحروف الأبجدية (كناية عن ظهور مخايل الذكاء والرياسة عليه منذ صغره).

(٤) حوايا امخزن: أسماء أراضٍ (زاهيب=حقول) كان يملكها الشريف في وادي مور.
ومثله وزهب امكريف: أسماء أراضي يمتلكها الشريف حسن في وادي مور.

(٥) ومناصدة لاخلفن: وأرضه المحصودة إذا أخلفت. (المناصد: هي المحاصد=جذور الذرة المحصودة، والخلف: بزوغ النبات مرة أخرى من تلك الجذور، ويقسم المزارعون في تهامة مراحل الزرع إلى جادة، وهي الزرع الأول الذي بذر، وخلف: وهو الزرع الذي يقوم من الحصاد الأول، وخلف الخلف: وهو الزرع الذي يقوم بعد الحصاد الثاني من جذوره، ثم تأتي العقبة والعقر، =

وْكُـــبّ مَـــا لاَ زْحَـــنْ ظُلْمَـهْ الظُّهُـرْ يَـا لَطِيـفْ[2]
مِـــنْ قَطَّعَـــكْ يَـــا حَـــسَنْ وْمِـنْ سَـهَّمَكْ ذَا الـضّعِيفْ[3]
يَـــــسْقُطْ وَإِلاّ يْجَـــــنّ حَـرَامْ مَـا اقْبَـلْ نْظِيـفْ[4]

وليست هذه التسميات في كل المناطق فثمة تسميات أخرى لهذه المراحل في مناطق مجاورة للقناوص).

(١) تقبل كعسكر رديف: يطلع زرعها متماثل النمو متقارباً كأنه جيش رديف المنظم الأسراب.

ورديف: هو القائد العثماني محمد رديف باشا، قائد الحملة العثمانية على اليمن التي استهدفت أمير السراة أحمد بن عايض الذي غزا تهامة واستباح كثيراً من قراها ومدنها، واستحل أسر نسائها والأحرار من أبنائها، وقد وصلت الحملة عام ١٢٨٨هـ)نشر الثناء الحسن للوشلي، الجزء الرابع، ص٧).

(٢) كب: اترك. ما لا زحن: ما إذا سقاها الوادي. ظلمه الظهر يا لطيف: تجدها عند الظهر مظلمة.

والمعنى أن أرض الشريف أو مناصده إذا أخلفت تكون في نظامها وجمالها وتساوي نموها وكثافتها كعسكر رديف، أما إذا ملأ حواياها الوادي بالسيل فإنها لشدة ما تنمو ويكثر خيرها يتشابك زرعها حتى يجدها الداخل فيها مظلمة والشمس في رائعة النهار، وقوله: يا لطيف، لتصوير هول ظلمتها وكناية عن حلكة هذه الظلمة.

(٣) من قطعك يا حسن ومن سهّمك ذا الضعيف

من هذا الذي تجاسر وأقدم على قتلك وتقطيع أشلائك، والمقصود بالضعيف ليس ضعيف الجسد ولكن ضعيف القدر؛ لأنه لم يعرف مقدارك فأقدم على الغدر بك.

(٤) يسقط وإلا يجن: يتم القبض عليه أو يفقد عقله. =

وَلاَ عَلَـــى الـــرَّاسْ طَـــنّ وَحْـسَنْ مْجَـدَّفْ جَـدِيفْ[1]

وزيادة على هذه الرواية كنا نحفظ:

بَـــزّ امْبْـــزَازَهْ حَـــسَنْ هَـارْ امْقَـوِي وَامْـضَعَيفْ[2]

بَعْـدَهْ لاَ مُهْـرَه تْحَـسَّكَنْ وْلاَ عَـادْ تْقَـرَّحْ أَنِيـفْ[3]

طَفُّـوا امْـسُرُجْ وَاظْلَمَـنْ مِـنْ قَايْمَـهْ لَمْـصَلِيفْ[4]

حرام ما اقبل نظيف: أقسم أني لا أقبل أبداً بغير ذلك. (والمقصود بلفظ: نظيف: التوكيد؛ فهي بمعنى قط أو بتاتاً أو أبداً).

(١) ولا على الرأس طن: ولا يمكن أن أصغي لأي رأي آخر مهما حصل. وحسن مجدف جديف: وحسن ممزق تمزيقاً.

والمقصود أنني لا أقبل ولو طن ما طن وحدث ما حدث ما دام حسن قد قتل ومزقت أوصاله بذلك الشكل.

(٢) بز امبزازه حسن: حمل المشيعون حسناً. هار امقوي وامضعيف: انهار باكياً جميع الناس يستوي في ذلك رابط الجأش ورقيق القلب (ولفظ: هار؛ ليس بعيداً عن: انهار. إلا أنه يقصد به في العامية الانتحاب الشديد).

(٣) بعده لا مهره تحسكن: من شدة الحزن عليه رفضت حتى خيله أن تأكل ما يقدم إليها من حسوك، والحسوك: هو حب الذرة أو الدخن أو الدجرة أو الشعير أو سواها من الحبوب الذي يقدم في المخلات طعاماً للخيل والبغال والحمير.

ولا عاد تقرّح أنيف: ولم يروض ثور على جر المحراث.

ولعل مقصود البيت أن الناس انقطعوا بعد موتك عن الحياة فلا اهتمام بخيل ولا بثيران ولا بزراعة، فجمال كل هذه الأشياء كان بوجودك.

(٤) طفوا امسرج واظلمن: أظلمت الدنيا وأطفأ الناس سرجهم حزنا عليك.

من قايمه لمصليف: قايمه: مدينة في جبال المحويت الغربية. =

❖ ❖ ❖

ومن الشعراء الذين عاصروا امناجي واصطدم بهم شعرياً - حسب رواية ابنه محمد مناجي- شاعر من المراوعة اسمه امقفلي (قفلة).. قال إنه كان قد تسلّط على صاحب لـ(امناجي) اسمه أبو العيس[1] يهجوه ويقلل من

أما الصليف فشبه الجزيرة المعروفة في البحر الأحمر شمال مدينة الحديدة بحوالي ٤٠كيلومتراً.

وهذا البيت إضافة من يحيى مناجي في جلسة المراجعة الثانية بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٠م.

(١) أبو العيس اليماني: كان يعيش في حارة الهنود بمدينة الحديدة، وكان راوية ومموّلاً ويشارك مع أصحاب الصهباء البحرية هو ومحمود كويك، ورجل قصير اسمه موسى كان جميل الأداء في الرقصات البحرية.

(أخذت التعريف به من الأستاذ الأديب/ جابر الشراخ في أمسية مع خالد الرويشان وزير الثقافة بفندق قصر سام بصنعاء ضمن عدد كبير من المثقفين بتاريخ ٢٠٠٦/٦/٢٠م).

وقد كتب لي الأستاذ الأديب/ أبو القصب الشلال عن معرفته لـ(أبو العيس اليماني) فقال: (عرفته شيخاً طاعناً تجاوز عمره السبعين. كان أبو العيس اليماني دلالاً في البن وأكثر جلوسه في متجر السيد حسين السقاف. وكان رجلاً طوالاً عريض المنكبين بارز الصدر قوي البنية صارم الملامح وكان من أكثر الناس حفظاً ورواية لشعر السيد شعيب. وكان سكنه في طرف سوق الهنو جوار آل فقيرة.

ذات ليلة من ليالي صيف تهامة وجدته عائداً من السوق بجوار مسجد =

قدره ونسبه.. وقد رد عليه امناجي بقوله:

لَمّقْفَلِـــــــي يَنْتَقَّـــــــدْ مَـا سَـمَّى الأَسَـدْ رُبَـاحْ[1]

أَبُـو الْعِـيسْ مَعْـرُوفَ الْجَـدّ شُـــجَاعْ حَـــاكِمْ نَـــصَّاحْ

تْـشَبِّهْ أَبُـو الْعِـيسْ بَامْعَـدّ[2] وْهُـــوْ بَطَلْهَـــا الْجَحْجَـــاحْ

ثَـــــلاَ ثُمِيـــــهْ لاَ تَعْتَـــــدّ يْبُـــوكْ لْهَـــا بَامِنْـــضَاحْ[3]

الجرشوعة وكان رحمه الله قد ضعف بصره .. وهو يصيح قائلاً .. يا أهل الخير من يدلني إلى بيتي. وكان في يده عصاً يتحسس بها طريقه.. فتقدمت منه وأخذت بعصاه وجعلت أقوده إلى منزله.

فسألني .. ابن من أنت يا ولدي؟

قلت: أنا ابن أحمد زيلعي الشلال. فرد عليَّ رحم الله والدك كان صاحبي وكذلك أعمامك عمر ومحرم أصدقائي.

ولأني أعرف أبا العيس اليماني وقد سمعته ينشد من شعر السيد شعيب طلبت منه أن يسمعني بعض القصائد.

فقال تعجبك قصائد شعيب؟

قلت: كثيراً وقد حفظت له بعض القصائد.

فتكرَّم أبو العيس وأخذ يسمعني من قصائد شعيب حتى أوصلته إلى داره).

(١) لمقفلي يتنقد ما سمى الأسد رُباح: لو كان المقفلي ينتقد نفسه ويراجعها ما اختلط عنده الأسد بالرباح.

(٢) بامعد: بالعبد.

(٣) ثلاثميه لا تعتد: ثلاثمائة أو أكثر. يبوك لها بامنضاح: يواجهها وحده بالمنضاح، والمنضاح هو: عصا غليظة هي من جملة عداة (أداة الناقة) أو خيّ =

وقد حاول الرجل تذكر قصيدة أخرى قال إن والده رد بها على امقفلي.. ولكنه لم يفلح في تذكرها.. ووعدني بتسجيلها لي إن تذكرها.. بيد أنه لم يفلح في تذكر أي شيء للمقفلي سواء مما دار بينه وبين أبيه.. أو غيره من سائر شعره..

وفي جلسة المراجعة المشار إليها سابقاً تناوب هو وأخوه يحيى وابن عمهم ثواب علي وصديق صغير تذكر المزيد من أشعار امّقفلي، ففي رد امقفلي على شعر امناجي السالف الذكر يعلق على عدم قدرة امناجي على نطق اسمه (اسم قفلة) فهو يناديه مرة قفلة وأخرى امقفلي:

فِـي إِسْـمِي تَتْعَرْكَـدْ[1] مَـا تَعْـرِفْشْ يَـا رُبَـاحْ

الجمل، حيث يكون في الخيّ منضاحان في جانبيه من خارج يبرز طرفاهما من أمام ومن خلف وبهما يحمل ويوضع على الجمل، ومن وظائف المنضاح ربط بعض ما يحمل على الجمل بالحبال إليه، وإذا ألمّ خطب بالجمَّال أو اعتدى عليه معتدٍ من بشر أو هوام انتزعه ودافع به عن نفسه، ومن الجمل التي تقال دائماً: فلان تعرض له كذا وكذا فجرّ امنضاح وقال فيهن هات.

(١) تتعركد: تتعقد، والمقصود تغلط ولا تحسن النطق (إشارة إلى أن امناجي كان ينادي قفلة مرة: قفلة، ومرة: امقفلي).

وهذا ما جعل امناجي يرد هذه المرة رداً مدوياً على هذا البحر الجميل (الشعيبي):

لاَ امَّقْفَلِـــي شَـــاعِرْ وْيَـــــتْحَكَّمْ وْلَـــــهْ سَـــــطْوَهْ فِيْـــــهْ
قُلْ لَهْ يَتْبَعَ امْشْكِيْلْ[1] وَامْزَنْجِيْـــرْ[2] وْيَـــتْحَكَّمْ عَلَـــى قَوَافِيـــهْ[3]
أَنَـــا لاَ مُـــدّ بَيْـــدِي لْـــذَا الْبَحَـــرْ شَـــــــا كَافِيـــــــهْ[4]

(١) امشكيل: الشطرتان؛ صدر البيت وعجزه، فهما أشبه بكفتي الميزان أو الشاكلين اللذين يحمل فيهما كدا الماء على الدابة، كما يشبهان حلقتي القيد اللتين توضعان في ساقي المقيد.

(٢) وامزنجير: هو حديدة فيها سلسلة مثبتة في عمود الحلقتين تكون بين ساقي المقيد وتربط إلى عنقه. وقد عرفها مطهر الإرياني في كتابه (المعجم اليمني) فقال: الزنجير: هو السِّرة أو السلسلة ذات الأطواق التي يغل بها الأسرى جماعات من أعناقهم، والجمع: زناجير، وزنجر فلان الأسرى أو المعتقلين يزنجرهم زنجرة.. فعل بهم ذلك، والكلمة تبدو دخيلة، ويقال لها في بعض اللهجات العربية الجنزير. (المعجم اليمني في اللغة والتراث، ص٤٠٢، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦م).

(٣) ويتحكم على قوافيه: ويجيد سبك القوافي.

(٤) لا مد بيدي: لو مددت يديّ. لذا البحر: إلى هذا البحر. شا كافيه: سأسكبه وأريق ما فيه من ماء (كناية عن سعة تصرفه في عالم الإبداع الشعري وقدرته على هزيمة خصمه الشاعر قفلة).

أَنَـا سَـاكِيْهْ بَالْجَمِيـلْ حَـــدْ قَلْـــبَ عَلَـــى قَـــوَى فَيـــهْ[1]

ظَنّـهْ يَحْـسِبْنَا ذَنَـا سَـفِيهْ[2]

يْهَبْنَـــــا رَبْـــــحُ يَطْلَـعَ امْنْقِيْـلْ لَكَنّهْ يْهُزّ امْقَوْدْ لاَ قَوَى فِيهْ[3]

ومن أسف أن أهل امناجي لم يتذكروا من رد امقفلي على أبيهم إلا ذلك البيت ولكن معنى قول امناجي: (يهبنا ربح يطلع امنقيل) أن امقفلي ألحّ على فكرة تشبيه امناجي بالرباح في قصيدته حتى أوغر صدره.

ويؤكد رواتنا أنه كان بينهما مراسل اسمه سالم مدوري فأرسله امناجي برسالة إلى قفلة يقول فيها:

---

(١) أنا ساكيه بالجميل: أنا ألاطفه وأربت عليه بالمعروف (لا أقسو عليه). حد قلب امناجي على قوى فيه: انظر إلى سعة صبر امناجي وقوة قلبه على تحمل من يتعرض له.

(٢) ظنه يحسبنا ذنا سفيه: كأنه يظنني سفيهاً (لا يعرف مقداري).

(٣) يهبنا ربح يطلع امنقيل: يشبهني بقرد يصعد الجبل.
لكنه يهز امقود لا قوى فيه: فلأكن ذلك القرد الذي شبهني به ولكنني أهز الجبل إذا صرخت فيه (لا أدري إن كان اللفظ الصحيح هو امقود (أو أن امناجي قال: (امطود) أما معنى كلمة قوى فهي تمسية لصوت الرباح والثعلب —الدرين أو الدّرن).

بِاللّٰه يَا سَالِمْ تَسْأَلَ الْبَلِيدَ الأَغْشَمْ[1] فِـي ذَا الـنَّظْمْ مَـا يْقُـولْ
كَلاَمِي مِثْلَ امْنَقْرْ فِي حَجَرْ صَمْ[2]
يَتْأَمَّلَ امْخَطّ وَامْحَرُوفْ وَامَّرْسَمْ[3] لاَ يَقْـــصُرْ ولاَ يْطُـــولْ
ومَـــا حَـــدْ مثْلِـــي إِذَا تْكَرْسَـــمْ[4]

ومما رووه لي في جلسة المراجعة من شعر امناجي ومناجماته[5] مع قفلة أنه حدث ذات يوم أن أرسل الشراعي صاحب الحديدة إلى قفلة وطلبه للمقيل ليجتمع بـ(امناجي) ولتكون مناسبة لمناظرة شعرية تقطع ما بينهما من احتكاكات، فدخل قفلة إلى المبرز قبل امناجي ولحقه امناجي ولم يكن يعرفه أو التقى به فقال لبعض الناس: انتموا لي (أشيروا لي) عليه، فأشاروا له إليه فما

(١) الأغشم: الغبي الذي لا يفهم، والمقصود به الشاعر قفلة.
(٢) كلامي مثل النقر في حجر صم: كلامي واضح وفصيح كأنه في قوته وبلاغته النقر في الحجر الصلب يرن صوته لصلابته الشديدة، كما أنه يبقى كما يبقى النقش على الحجر وذلك بسبب جماله الإبداعي وروعته.
(٣) يتأمل كتابته وحروفه وتقطيعات شطراته (الشكيل والزنجير والقوافي وكذلك امرسم، ويسمى الشعر الذي يطلب شاعره رداً عليه بـ(امّرسم).
(٤) وما حد مثلي إذا تكرسم: وليس ثمة أحد مثلي إذا اغتاظ واهتاجت نفسه وتفجرت كوامن غضبه (تكرسم: تنطق أيضاً: تكرصم).
(٥) المناجمة: هي المعاكسة واللدد (الجدل والملاحاة والمخالفة المستمرة للآخر).

أن وقعت العين في العين حتى قال امناجي:

ذَا هُـوْ الأُسْـتَاذْ الّـذِي أَنَـا كَلَّفْتَـهْ بْـــذَا الْمَقْـــدَعَ الْعَظِـــيمْ[1]

ثْمَنَّـــى الْيَـــومْ مِنِّـــي مَـــا طَلَبْتَـــهْ

مِنْ أَجْلَكْ ذَحِّينْ عَادَنَا امْصَحَنْ قَلَبْتَهْ بِطْنِـي كَحَـوشْ امْـصُدَامْ[2]

وْلِـــــــسْنِي امّفْتَـــــــاحْ[3]

حَـــــدُّ مِثْلَمَـــــا امْـــــشَرِيمْ شَا تَقْرَحْ قَنَابِلُ إِذَا دَكَمْتَهْ[4]

---

(١) ذا هو الأستاذ الذي أنا كلفته: هذا هو الأستاذ الذي كنت السبب في مجيئه. بذا المقدع: بهذا المجيء.

(٢) من أجلك ذحين عادنا امصحن قلبته: لأجلك هذا الحين بدأت الاستعداد، وقوله: (عادنا) معناها لم أكد، أو شرعت. وقوله: (امصحن قلبته) قريب من القول الفصيح: قلب له ظهر المجن.

بطني كحوش امصدام: كان الصدام من كبار أغنياء الحديدة، وله أحواش للبضائع يضرب بها المثل في السعة وأنواع ما يدخل فيها، فشبه عوالمه الشعرية وقدرته وسعة تصرفه بحوش الصدام وما فيه من بضائع.

(٣) ولسني امفتاح: ولساني المفتاح، والمعنى أن ما في داخلي من قدرات شعرية هائلة وما يجول بخاطري أستطيع بشكل استثنائي أن أعبر عنه بلساني شعراً، فإذا كان داخلي يشبه حوش الصدام فلساني مفتاحه.

(٤) حد مثلما امشريم: يشبه لسانه وشعره بالمحصد (المنجل) في كونه حاداً ومشرشاً.

شا تقرح قنابل إذا دكمته: سوف يثير قولي غضب وحفيظة كثيرين قولي إذا حركت لساني بكلمة. (دكمته: تعني في البيت لمسته).

فقام قفلة إليه وهو يقول: اللّه والنبي حطحنا[1] نقيِّل. وسكت ذلك اليوم ولم يقل.

ولم أسمع أحداً من أهل المراوعة يتحدث عن هذا المقفلي.. حتى الأديب عمر الضرير في كتابه (مواويل تهامية) فإنه تحدث عن علي باري وسي شعيب.. ولم يذكر امقفلي، وكان يتبادر إلى ذهني أنه ربما يقصد الشاعر محمد قفلة، ولكنني كنت أظن أن قفلة من بيت الفقيه وكل الذين أعرفهم اليوم يحملون هذا اللقب من تلك المدينة حتى التقيت بالفنان محمد الحلبي.. فسألته فأخبرني أن القفلة من المراوعة.. وأنه على الأرجح هو المقصود.. لأن المراوعة لم تعرف شاعراً اسمه امقفلي..

وهذا ما أكده لي الفنان جابر علي أحمد والأديب عبد الرحمن الأهدل أيضاً، كما أكده لي أهل امناجي في جلسة المراجعة الثانية لهذا الكتاب، وكان رد قفلة على امناجي الذي يقول له فيه:

فِـــي إِسْـــمِي تَتْعَرْكَـــدْ مَـــا تَعْـــرِفْشْ يَـــا رُبَـــاحْ

---

(١) حطحنا: دعنا أو اتركنا.

أكثر دلالة عليه.

إلى جانب محاولاتي لاستقطار نصوص قفلة التي ناكف بها امناجي أو ناظره من ذاكرات أسرة امناجي فقد حاولت الحصول على هذه النصوص أو غيرها من مظان أخرى، حاولت الحصول عليها من مدونات السيد عبد الله بلغيث الأهدل صاحب المنيرة الذي زرت منزلته قبل موته بحوالي ثلاثة أسابيع في تاريخ ٢٠٠٥/٤/٩م وأخبرني ابنه محمد أن والده لديه كثير من تلك النصوص، ووعدني بإطلاعي عليها ولكن ذلك لم يحدث، وذهبت إلى المراوعة مساء الأحد ٢٠٠٤/٤/١٦م والتقيت بالسيد يحيى محمد مقبولي الذي أخبرني أن لقفلة ابناً أعمى في حوالي السبعين من العمر وأنه موجود في المراوعة ولكنه غير متأكد من أنه يحفظ شعر والده، وحاولت في تلك الليلة الوصول إلى قفلة الابن ولكن الوقت لم يسعفني، ثم حالت الظروف دون مواصلة البحث.

وكان قد وصلني ضمن المجموعة التي أرسلها لي الأستاذ على الأهدل من صامطة نصان لقفلة..

الأول: قدم له الأستاذ علي الأهدل بقوله: (من شعر أحمد قفلة[1] (محمد قفلة) عن السيد عبده بن عبد الله

(١) هكذا جاء اسمه في رسالة الأستاذ علي الأهدل، ولكن الأستاذين عبد الباري طاهر وعبد الرحمن الأهدل أكدا لي في المركز الثقافي يوم ٢٠٠٦/٤/٢٢م أن اسمه: محمد قفلة، وأنه توفي قبل أربعين عاماً تقريباً.
ثم اطلعتُ على دراسة للأستاذ/ عبد الرحمن الأهدل نُشرت على حلقتين في ملحق الثورة الثقافي بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢٧م وتاريخ ٢٠٠٦/٣/٦م تحت عنوان (محمد قفلة شاعر الحب والحكمة) جاء فيها (أن الشاعر محمد قفلة من أبناء مدينة المراوعة ولد على وجه التقريب في العقد الأول من القرن العشرين وعاش حتى أواسط السبعينيات تقريباً وكان من أسرة موسرة ولكن الدهر جار عليه، فأصبح يعيش حالة فقر مادي غير أن ذلك الفقر لم يكسر فيه قيمة الشهامة والاعتزاز بالنفس.. وكان على المستوى الشخصي شجاعاً لا يهاب .. ومع ذلك لم يُسئ إلى أحد .. وتميز في مسلكه الشخصي بالتسامح وكانت تظهر شجاعته في المواقف الحرجة لكنها ليست عدوانية .. وكان من الأشخاص الذين يعرفون أقدار الناس وينزل كل واحد في منزلته .. وهذا ما جعل الكثير من دلالات شعره تتصف بالحكمة والتوازن الأخلاقي والاجتماعي، فلم يسرف في المدح ولم يسرف في الهجاء) وقد أورد الأهدل في تلك الدراسة نصوصاً بالغة الروعة لهذا الشاعر ذاهباً إلى أنه يعد من أكثر الشعراء الشعبيين في تهامة كلها محافظة على تقنية الوزن وجمال السياق الفني وضبط موسيقى الشعر الشعبي فليس في شعره نشاز أو خروج على الوزن .. مؤكداً أن (قفلة) لم يكن أمياً من حيث القراءة والكتابة بل كان متعلماً مجالساً للعلماء ويعرف بعض المسائل الفقهية.. لذلك فلم يكن في شعره عشوائية بل إن كل مفردة لها ضرورتها حيث أن الشاعر يعرف أين يجب أن تكون حتى مفردات القوافي التي تأتي عند بعض الشعراء كيفما اتفق للخروج من مأزق القافية فإنها عند (قفلة) ليست مأزقاً، فقد امتلك الموهبة والقدرة الفنية والذكاء والحفظ عن ظهر قلب للكثير من موروث الثقافة الشعبية .. لذا لم يضع مفردة في غير محلها، أو كانت نشازاً في السياق.. كما أنه كان =

الأهدل) ونصه:

دَهْـــرُ وْشَـــيَّبَ امْـــشَبَابْ واسْـــقَى كُـــلّ جِيْـــدْ مُـــرّ
وْشَـــيَّبَنْ فِيْـــهْ امْعُـــزَّابْ[1] وَابْتَـــاعْ فِيْـــهْ غَـــالِي الـــدُّرّ
وْضَـــرْبَ امْـــدِبْلْ بَامّهَـــابْ[2] لاَ يَنْفَـــــعْ ولاَ يْـــــضُرّ
ثْـــشَطّبَهْ بَـــهْ شِـــطَّابْ لاَ يَـــــضْمِدْ ولاَ يْحُـــــرّ[3]

يتميز بمعرفته الدقيقة لشعر من سبقوه من الشعراء الشعبيين .. لذا اختط لنفسه أسلوباً خاصاً تميز به عن غيره خاصة أبرز صوتين شعريين في تلك الجهة وهما: السيد شعيب الأهدل والسيد علي باري.. فكان لشعره سحره الخاص وفنيته الخاصة حتى أصبح تياراً تأثرت به أصوات جديدة مثل الشاعر سالم سليمان والشاعر الباقي.. اللذان سارا على نهج سياقه الفني.. مضيفاً أنه كان شاعراً عاشقاً بالدرجة الأولى ولذلك غلب الغزل على شعره .. ا هـ.

وهنا مفارقة عجيبة فالشاعر(امناجي) لم يُروَ لنا بيت شعر واحد له في الغزل لا من أبنائه ولا من غير أبنائه ولا ندري إن كان قد قال شعراً في الغزل أم أن شعره كان كله خالياً منه.. ولكثرة ما اعتدنا على كون رواة شعره لا يذكرون له شعراً في الغزل ولا يذكرون له ميلاً إلى هذا الجانب فقد فاتني تماماً التفكير فيه.. حتى لفتني أخي مهدي بعد أن اطلع على النسخة التجريبية من هذا الكتاب في أغسطس ٢٠٠٦م إلى هذا الجانب.. وضرورة السؤال عنه.. وقد فعلت ولكن ذلك كان بعد موت ابنه يحيى أهم رواتنا عنه .. أما الآخرون فلم يفيدونا بشيء.

(١) وشيبن فيه امعزاب: وشاب فيه العزاب (الشباب).

(٢) امدبل: الخسيس الذي لا يرجى خيره (المرجع عمر الضرير اتصال تلفوني في١٩/٤/٢٠٠٦م) بامهاب: بالعصيّ.

(٣) تشطبه به شطاب: تحدث في جسمه شقوقاً وعلامات بارزة. =

وَامْـدُرُنْ صَـادَنْ مَـذْيَابْ وْعَـزَّتْ الْخَـلاَ امْبُهُـرْ[1]

صَـادْ امْلَيْـثْ مِـنَ امْـشْعَابْ وَامْـسَى دَمَ امْنَمِـرْ يْخُـرْ[2]

وَامَّكْحَـلْ دَوَاهْ عَـابْ ولاَ لَـهْ مْـدَاوَاهْ تَـسْبُرْ[3]

وَامْـدَايِلْ مِـنَ امْثِيَـابْ مَـا يَرْتْقِـعْ لَـهْ لاَ طُـرْ[4]

فِي اللِّبْسْ كَدْكَدْ أَحْقَابْ رْقَاعْتَـهْ شَـيْءْ نْكُـرْ[5]

لا يضمد ولا يحر: لا يحرث ولا يحر (الحر: تسوية الأرض وعمل الزبر والفنايا.

(١) وامدرن صادن مذياب: والثعالب اصطادت الذئاب. وعزت الخلا امبهر: وعزّ الخلا على الناس بسبب الخوف الذي عم كل الأمكنة (تفسير عمر الضرير- اتصال هاتفي بتاريخ١٩/٤/٢٠٠٦م).

(٢) صاد امليث من امشعاب: اصطاد الأسد من عرينه.

وامسمى دم امنمر يخر: وبات دم النمر يسيل.

والبيتان السابقان كناية عن تبدل الأحوال وتغير القيم وارتفاع الدنيء وتدني الرفيع.

(٣) وامكحل دواه عاب ولا له مداواه تسبر: امكحل: هو الكاحل، وهو تصلب وانكماش يحدث لليد إذا انكسر عظم الساعد وضغط على الشريان فيمنع التروية عن سائر العضو. دواه عاب: لا تنفع مداواته لأنه لا يشفى (كان هذا قبل أن يتقدم الطب). تسبر: تصلح.

(٤) وامدايل من امثياب: البالي أو الخلق من الملابس.

ما يرتقع له لا طر: لا يمكن ترقيع خرقه.

(٥) في اللبس كدكد أحقاب: استعمل في اللبس أحقابا طويلة (كدكد: تعب كثيراً). =

وْرِبْـيَنْ لَمْـشُوَاهْ نِيَـابْ[1] تَهْـرُبْ مِنَّهَـا امْنُمُـرْ

وقد أخبرني السيد محمد عبد الله أبو الغيث الأهدل في المنيرة بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٩م أن القصيدة قيلت تعريضاً بتسلط السيف أحمد ابن الإمام على الزرانيق بعد هزيمتهم، فحبسه السيف حتى قال يمدحه بقصيدة مطلعها:

حَـدَّ الـسّيُوفْ مِـنْ جَنْـبُ وْذَا الـسّيْفْ حَـدَّهْ جَنْبَـيْنْ[2]

الثاني: قدم له بهذه الجملة: (مما ينسب للقفلة) ونصه:

مِمّـا شِـبْتْ يَـا غُـرَابْ وْمِمَّـا كِـذَا صِـرْتْ سَـقِيْمْ
وْمَـا صَـيَّرَ الـشَّجَرَ احْطَـابْ وَأَرْجَعَـهْ بَعْـدْ هَـشِيمْ
إِلاّ الْهَـوَى وَالإِعْجَـابْ وْمَيْلَـهْ مَـعَ امْنَـسِيْمْ
إِسْـمَعْ يَـا أَخِـي الْخِطَـابْ إِنْ كُنْـتْ لَـكْ عَقْـلْ سَـلِيْمْ
بُكْـرَهْ تَقْـرَأَ امْكِتَـابْ وْتَعْـرِفْ مَـا حَـوَى امْـرْقِيمْ

رقاعته شيء نكر: إصلاحه أو ترقيعه يبدو أمراً مستنكراً (والبيتان كناية عن محاولة تشبيب الشائخ الموغل في السن).

(١) وربين لمشواه نياب تهرب منها امنمر: ونبتت للشياه أنياب تخاف منها النمور وتهرب (كناية عن استقواء الضعيف الخامل وضعف القوي البارز).

(٢) من جنب: من جهة واحدة. وذا السيف حده جنبين: وهذا السيف له حدان. لا تخفى التورية في البيت، فقوله: (ذا السيف) المعنى القريب فيه السيف العادي، والمعنى البعيد فيه: سيف الإسلام أحمد الذي يمتدحه الشاعر.

.....[1] وَامْجَرْجَـــرَهْ وَامْتَقْـــسِيمْ[2]

***

وقد كان امناجي ثواب أكثر تجلياً ونجاحاً وأبدع صورة وهـو يـردّ علـى ابـن امحنـيش الـشاعر صـاحب الطائيـة المشهورة التي تحدى بها الشعراء ومطلعها:

رَأَيْـتُ الطَّـا عَلَـى الـشُّعَرَا مْـسلَّطْ
وَنَـا عِنْـدِي كَمَـا التَّمْـرَ الْمبَطّـا[3]
صَـدَفْتُ الْبَارْحَـهْ قَلْبِـي تْـشَطَّطْ[4]
وْمِـنْ جِـنَّ الْمَلِـيحْ يَـا نَـاسْ مْغَطَّـا[5]

---

(١) جاءني هذا الشطر في رسالة الأستاذ علي الأهدل من صامطة فارغاً هكذا؛ ولعله سقط من ذاكرة الرواة، أو لعلّ الأستاذ علي الأهدل حذفه تحرجاً من كلام رأى أنه لا يجب أن يكتب.

(٢) وامجرجره: الجرجره، وهـي الـسحب بعنـف. وامتقـسيم: التقـسيم. والمقـصود الحساب والعقـاب. وأبيـات هـذه القطعـة كلها بالغـة الوضوح والفصاحة ومليئة بالحكمة ولا تحتاج إلى تفسير.

(٣) ونا عندي كما التمر المبطا: وأنا عندي مثل التمر الناضج جداً، فيسهل عليّ القول على هـذه القافيـة كمـا يـسهل على آكل التمر الناضج مضغه. (تفسير محمد مناجي، اتصال تلفوني بتاريخ١٩/٤/٢٠٠٦م).

(٤) تشطط: تمزق وتقطع.

(٥) مغطا: مريض.

طَلَبْتُــهْ قَــاتْ جَبَّــا لِــي بْمَــرْبَطْ[1]
مَــرَابِطْ مِــنْ صَــبِرْ مَلْقُــوطْ لَقْطَــا[2]
هَبَــا كُمُّــهْ عَلَــى وَجْهُــهْ وْغَلْمَــطْ[3]
وقَــالَ اجْــزَعْ ولاَ تَكْــشِفْ مْغَطّــا[4]
وْلَمَّــا شَــافَنِي جَــزَّعْ تْعَلْمَــطْ[5]
رَبَــشْ عَقْلِــي وْشَــطّ الْقَلْــبْ شَــطّا[6]
وصَــلّى اللّه عَلَــى مَــنْ أَنْــزَلَ الْخَــطّ
محَمّــد مَــن لَــهُ الأَنْــوَارْ تَــسْطَا[7]

وهو يتحدى الشعراء بسبب صعوبة حرف الطاء إلا على المتمرسين من الشعراء.. وقد أغضب هذا التحدي شعراء.. واستفز آخرين وجرجر كثيرين للرد عليه..

(١) جبا لي بمربط: أهداني حزمة من القات.

(٢) من صبر: من جبل صبر، وهو جبل مشهور يحتضن مدينة تعز.
ملقوط لقطا: منتقى بعناية.

(٣) هبا كمه على وجهه: وضع فضلة كمه على وجهه. وغلمط: وغطى.

(٤) وقال اجزع: وقال لي مر.

(٥) ولما شافني جزع تعلمط: ولما رآني مر يلملم نفسه كأن لم يرني.

(٦) ربش عقلي وشط القلب شطا: أذهلني وأربك حالي وجنني ومزق قلبي تمزيقاً.

(٧) وصلى الله على من أنزل الخط: المراد على من جاء بالكتاب.
تسطا: تسطع وتتلألأ.

وقد قرأت ردوداً كثيرة.. على ذلك النص وأحسبه هو والنصوص التي حاولت معارضته أو مجاراته أو الرد عليه.. ليس منها ما هو من الجودة بمكان إلا رد امناجي الذي لم تصلنا منه إلا أبيات متفرقة.. آمل أن نشرها سيوفر لبعض من لا نعرفهم من الرواة الحافظين فرصة لإخراج هذه التحفة الثوابية وإمتاع محبي الإبداع الخالص بها..

يتميز رد امناجي بالتصرف الواسع في اللغة على عادته في المزج بين العامية والفصحى.. أو تثقيف القصيدة الشعبية.. كما يتميز.. بتلك القدرة البديعة على التصوير والرسم بالكلمات والحركة الواسعة للألفاظ ومدلولاتها، إضافة إلى حس النكتة.. والسخرية البارعة.. دون أن ينسى توظيف نصه لتشخيص وضع بشري نابع عن حالة الناس المتردية في الحديدة آنذاك. هكذا ردّ امناجي:

يَقُولَ ابْنَ امْحُنَيْشْ الطَّا مْسلَّطْ
عَلَى الشُّعَرَا بْهَذَا الْقَولْ أَخْطَا
إِذَا الْبَارِي عَلَى الإِنْسَانْ سَلَّطْ
وْسَلَّمْ أَمْرَهُ للّٰهْ فَقَطَّا[1]

(١) فقطا: قد يكون المقصود بها: فَقَطْ، وقد يكون المقصود بأن من سلم أمره للّٰه قطّ؛ أي قطع وأنجز ما يريد.

فَقُـلْ لاَبْـنَ امْحُنَـيشْ لاَ لاَ تَـسلْبَطْ
أَنَـا عِنْـدِي رجَـاجِي الْقَـومْ غَلْطَـا[1]
وَلَـوْ غَيْـرَ الـشَّرَاعِي كَـانْ غَـيَّطْ
بِمَـا هَـذَا الزَّمَـانُ مْعَـاهْ وَطَّـا[2]
بَنِـي الْمِحْـوَاتْ هَـذَا اشْلَطْ وْذَا املَطْ
حُفَـاةْ الْكُـلّ مَـا فِـيهُنْ مْـشَطَّا[3]
وْذَا عَـارِي وْذَا ثَوبَـهْ مْـشَطَّطْ
وْكُـلّ يَـشْتَهِي الْمَـصْرُوفْ يَلْطَـا[4]
فَقُـلْ لاَبْـنَ امْحُنَـيشْ الطَّـا ثْغَلْمَـطْ
مَنَـاجِي فِـي طَوَاطِيْطَـكْ تْـسَطَّا[5]

---

(١) لا لا تسلبط: أي لا تدعي ما ليس لك وتسطو على ما ليس لك بحق.
رجاجي القوم: القوم المرجوجون (الضعيفو العقول) غلطا: مخطئون.

(٢) غيط: صاح. معاه: معه. وطا: عمل. والمقصود لصاح مما فعل فيه الزمان.

(٣) بني المحوات: العاملون في سوق السمك. هذا اشلط وذا املط: هذا فقير وهذا مترب (أشلط واملط عاريان أجردان لا يملكان شيئاً).
حفاة الكل ما فيهن مشطا: كلهم من فقرهم يمشون حفاة ليس فيهم من يملك شاطياً (الشاطي: النعل).

(٤) مشطط: ممزق. وكل يشتهي المصروف يلطا: وجميعهم يتمنون الكفاف اليومي. (يلطا: يلتصق، ولكنه هنا بمعنى يحصل أو يكفي أو يتحقق).

(٥) تغلمط: تلخبط (تشوش واختلط).
مناجي في طواطيطك تسطا: مناجي دخل في معارضة لطاءاتك فتفوق عليها وأفسد عليك ما قلت. وكلمة (تسطا) معناها سطا وكانت له اليد العليا.

وْصَـلَّى اللّٰهْ عَلَـى مَـنْ أَنْـزَلَ الْخَـطّ
محمَّـد مَـن عَلَيـهْ جِبْرِيْـلْ هَبْطَـا[1]

كم يتمنى قارئ هذا النص لو يعثر عليه كاملاً، ويعثر أيضاً على أصدائه في مجتمع الحديدة آنذاك خاصة عند من كانوا يؤمون منزلة الشراعي الذي كان أحد رجالات الحديدة الكبار في ذلك الوقت، وكان له مبرز مشهور جنوب باب مشرف- حسب رواية ابني امناجي- .. وكانت منزلته من القشاش وقد زالت وبُدل بها بناء حديث.. ولم يعد بيت الشراعي كما كان في ذلك الزمان.

وكان السيد أحمد الشراعي - كما سلف- يتولى قبض الخمس في سوق الحديدة - خاصة خمس البحر- على عرف القبال[2].. وكان قد تقبل الخمس بمال كثير يدفعه كل عام.. ولكنه - لا ندري لضعف السوق أو لكرمه وتساهله مع الناس- لم يكن يجني منه في العام أكثر من ألف ريال فرانصي.. وهو مبلغ دون المبلغ الذي كان يدفعه قبالاً وإلى هذا يشير امناجي بقوله:

---

(١) هبطا: أي هبط ونزل.

(٢) عرف القبال: هو مال يدفع مقابل استغلال أرض أو عقار لمدة معينة.

وَلَـوْ غَيْـرَ الـشِّرَاعِي كَـانْ غَـيَّطْ

لِمَـا هَـذَا الزَّمَـانُ مْعَـاهْ وَطّـا

وقد خارجه ربنا على حد تعبير محمد مناجي ومشت أحواله بخير وبركة..

***

ومن باب معارضته لابن امحنيش كانت مجاراته للبهلول، والبهلول كما روى لي يحيى مناجي كان صوفياً صالحاً وكان له منحىً طريفاً في قول الشعر، وكان له نص مشهور كان ينشده المقصّدون، وقد جاراه امناجي بنص طويل كان ينشد أيضاً ولم يستطع يحيى تذكره كله فنذكر منه هذا المقطع:

شَاشْـــرُطْ عَـــلاَكْ افْهَمْنِـــي[1]

وانْـــتَ تَلْجَـــحْ كَـــابْلِيسْ[2]

عِنْـــدَكْ حَـــيّ التَّفْلِـــيسْ[3]

(١) شاشرط علاك افهمني: سأشترط عليك فافهمني.

(٢) وانت تلجح كابليس: وأنت تدور وتلوح كالشيطان لا تقف.

(٣) حي التفليس: يستعمل لفظ (حَي) للدلالة على عظم الشيء بمعنى أنه ضخم وكبير، فقوله: (عندك حي التفليس) يعني أنك مفلس إفلاساً كبيراً.

أَبْـــيَضْ مِثْـــلَ امْـــصِينِي[1]
مِـــنْ فَـــضْلَكْ يَـــا رَبِّـــي
عَـــنْ خَلْقَـــكْ تُغْنِينِـــي

ومنها ما أضافه لي ابنه يحيى في جلسة المراجعة الثانية للكتاب بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٠م:

أَمْـسَيتْ سَـاهِرْ وْطَـارَ الْمَنَـامْ
مِـنْ ضُـعْفْ حَـالِي وْسِـعْرَ الطَّعَـامْ
لاَ دُنْيَـا تَنْفَعْنِـي أَوْ شَـيْئاً مِـنْ دِينِـي
مِنْ فَضْلَكْ يَا رَبِّي عَنْ خَلْقَكْ تغْنِيْنِي

***

كذلك كان بين امناجي والشاعر هلهل ممازحات شعرية كانت على الأرجح قبل انتقال امناجي إلى الحديدة؛ لأن يحيى الإبن الأكبر للشاعر يقول إن هلهل مات قبل والده بزمن طويل..

(١) امصيني: الصيني هو الإناء أو الكوب المصنوع من الخزف، وقوله: (أبيض مثل امصيني) كناية عن نظافة جيبه لشدة إفلاسه فليس فيه شيء فهو نظيف نظافة الصيني الذي لا يلتصق به شيء.

وكان هلهل موصوفاً بكونه من الشعراء (المتنعين) على حد تعبير (يحيى) مفردها تنعة.. وجمعها تنع (لهجة) والمعنى أنه من الشعراء الذين تسلك أشعارهم مسلك النكتة المتأتية من غباء صاحبها وانعدام المنطق والفن فيما يقول..

فلم يكن هلهل بالشاعر المجيد..

ويروي لنا (يحيى)أن أباه حضر عرس محمد علي دراويش في حارة شرقي القناوص، وكان شاعر العرس هو هلهل وسمعه امناجي ينشد فيما ينشد:

اسْمَعْ يَا بَلاَ مَسْمَعِهْ
ارْشُقْ يَا بَلاَ مَرْشَقَهْ[1]
الْهِدْ يَا بَلاَ مَلْهِدَهْ[2]
افْهَمْ يَا بَلاَ مَفْهِمِهْ

(١) ارشق يا بلا مرشقه: معناه اهدأ يا عديم الهدوء. وكلمة (ارشق) تقال للشخص الكثير الحركة فيقال له: ارشق أي اهدأ. وللشديد البطر أو المندفع للتعدي على الغير بالسب أو الضرب فيقال له: ارشق أي تعقل.

(٢) الهد يا بلا ملهده: معناها قريب من معنى ارشق ولكن ليس بنفس التعدد، ويتحدد معناها أكثر في طلب السكون.

عَـــــسَى امْحَجَـــــرْ كَامْـــــشْجَرْ[1]

ولاّ امْهَلـــــــــجْ كَامْـــــــــضَبَرْ[2]

ولاَ امْعَـــــــــسَلْ كَـــــــــامْحُمَرْ[3]

فبادره بشعر يتلاعب فيه باسمه (هلهل) على هذا النحو:

يَـــا جَـــانِيَ امْفُـــلّ هُـــلّ هُـــلّ[4]

لاَ قَـــالْ لَـــكْ غَيْـــرِي هُـــلّ لاَ تْهُـــلّ

إِلاّ أَنَـــا إِذَا قُلْـــتَ لَـــكْ تْهُـــلّ هُـــلّ

وطلب منه أن يرد على هذا الشعر بشعر من جنسه

---

(١) عسى: هل. امحجر كامشجر: الحجر كالشجر. والمعنى هل تظنون أن الحجر كالشجر.

(٢) ولا امهلج كامضبر: وهل تظنون أن الهلج يشبه الضبر. والهلج شجر شوكي يكثر في الحواز وفي الجبال المطلة عليها في تهامة.
أما الضبر فشجر ضخم معمر كثيف الظل وله ثمرة حلوة تسمى: (امّسأ) كروية الشكل ولها قشرة ترابية اللون ولبها أحمر لذيذ الطعم، وهو يكثر في حواز تهامة والجبال المطلة عليها.

(٣) ولا امعسل كامحمر: أو تظنون أن طعم العسل الحلو مثل طعم الحمر (التمر الهندي) الحامض.

(٤) هلّ هلّ: تساقط تساقط أو أقبل أقبل.

ولكن (هلهل) انقطع ولم يقدر على ذلك..

أضاف صغير ثواب أن (هلهل) قال لـ(امناجي): ذاك طرح الله علاك[1] حطحنا نقيل.

ومن أسفٍ أنه ليس بين أيدينا مما حدث بين امناجي وهلهل إلا هذا النموذج.

والشاعر يوسف هلهل أصله من بني عويدان، والصورة المرسومة له في أذهاننا هي صورة لشاعرٍ هازلٍ متهافت الشعر (متنع)، وقد ارتسمت تلك الصورة لهلهل من خلال مجموعة من الروايات التي يمكن أن نضيفها إلى رواية يحيى مناجي التي أسلفناها عن منحى هلهل الشعري (التتنيع) حسب توصيف يحي مناجي.. تؤكدها عدت روايات يتندر بها أهل الجيلانية لأنها حدثت في محاضر[2] عندهم..

الأولى: سمعتها مراراً من والدي الشيخ أحمد عبدالله مهدي الجيلاني ومن غيره أن (هلهل) حضر عرس عبده

(١) ذاك طرح الله علاك: عبارة يقصد بها الحجر، ومعناها: أحجرك بالله أو أسألك بالله.

علاك: عليك. حطحنا: اتركنا. والمقصود: أحجرك بالله أن تتركنا نقيّل.

(٢) محاضر: أعراس.

عبد..ولكن شعره لم يعجب أحد أقارب المعرس فقال لهلهل: قل غير هذا الكلام.. فغضب هلهل وقال له:

كَلْـــبَ بْـــنَ الْكَلْـــبْ

ظَهْـرَكْ كَامْكَـدّ امّـصْلِبْ[1]

اسْـــكُتْ مَـــا شِـــي وَاللّه[2]

لاَ قُـــومْ ادْبُـــجْ بَـــكْ[3]

لَمَّـــا اكْـــسِرْ ظَهْـــرَكْ

فمات الناس من الضحك لأن هذا مجرد كلام عادي وليس فيه من الشعر شيء.

---

(١) ظهرك كامكد امصلب: ظهرك كالكد الجاف المتصلب، يشبه ظهر الرجل المحدودب اليابس بالكد الذي جففته الشمس وصلبته. والكد هو قلة أو إناء للماء يصنع من الفخار، وهو مشهور في تهامة (وعادة ما يكون الكد ممتلئاً بالماء ندّاحاً /نضاحاً بالماء رطباً تشوب حمرته أو بياضه خضرة بسبب نمو الطحلب الخفيف عليه ولكن بمرور الزمن وتعرضه الدائم للشمس يتصلب وتنسد مسامه فيجف رغم امتلائه بالماء ويبقى ظاهره أملساً لا تنمو عليه الطلاحب ويَغْبَرّ لونه.

(٢) ما شي والله: بمعنى وإلا والله.

(٣) لا قوم ادبج بك: لأقومن وأضرب بك الأرض. الفعل (دبج) في اللهجة يعني ضرب بشدة.

الثانية: روى محمد عبدالله علي[1] قال:

حضر هلهل محضر[2] علي محمد حرد في الجيلانية فسكت طويلاً فقيل له: ما لك ما تقول؟

فقال: كبونا جمع وبعدين هقول[3]..!

الثالثة: وروى محمد عبد الله علي[4] أيضاً أن هلهل كان يقول:

هُلْهُـــلْ جَـــبَ امْبُرْدُقَـــانْ[5]
هُلْهُـــلْ حَمَـــولَ امْعَتَـــانْ[6]

---

(١) تم اللقاء به في بيته بقرية الجيلانية مساء ٢٠٠٥/٤/٤م.

(٢) محضر: عُرس.

(٣) كبونا: اتركوني أو دعوني. جَمِّعْ: أستجمع أمري وأستحضر بديهتي. وبعدين هقول: وفيما بعد سأقول.

(٤) التقيت به في نفس المكان والتاريخ المشار إليه سابقاً.

(٥) جب امبردقان: وعاء الشمة، والجب وعاء يصنع من الطفي (سعف الدوم أو سعف النخيل)، البردقان أو الشمة: مادة معروفة تطحن من التنباك طحناً دقيقاً ويتناولها المعتادون عليها سفاً حيث توضع في الفم بين الشفة السفلى والأسنان أو تحت اللسان .

(٦) حمول امعتان: حمار الحمل (في تهامة يسمون الحمار الذكر: حمول، وتسمى الأتان (الأنثى) حاملة).

حَمُولْتَـــــــهْ لاَ نْقَـــــــصَنْ[1]
كَـــــدَّيْنْ وَارْبَـــــعْ جِمَـــــانْ[2]
وْشَـــدَّهْ إِلَـــى كِـــي انْقَطَـــعْ[3]
هَـــــزَرْزِرْ لَبُـــــوهْ امْبْطَـــــانْ[4]

الرابعة: ويرويها نفس الراوية أيضاً: أنه حضر في محضر عبدالله حسن بالجيلانية.. فجاء وسود معمى قد بدأ السارية والناس متحلقين حوله..وكان سود شاباً آنذاك وهلهل قد كبر.. فقال لسود: القط عجالتك وبك شخطط لك في امرون.. قادع راعي امثيره لي تناكع

(١) لانقصن: إذا نقصت.

(٢) كدّين واربع جمان: الكد سبق التعريف به، والجمان: أوعية خفيفة للماء، ولها أحجام مختلفة ولكن سعة الجمنة مهما كبر حجمها لا يتعدى ربع الكد، وعادة ما تتخذ الجمان بعد تحديجها (وضعها في سلال تحمل بها) للماء الذي يتزود به العاملون في الحقول أو المسافرون، كما أنها تكون معلقة في قرقعة (عمود) المنبر الذي يتكئ عليه المُخَزّن وعليها كأس أو فنجان للشرب.

(٣) وشده إلى كي انقطع: الشد: هو الوطاف أو البردعة التي توضع على الحمار، إلى كي انقطع: إذا قد انقطع.
(ملحوظة: أهل تهامة يطلقون تسمية البردعة على الكيس أو البطانة التي توضع على ظهر الحمار أولاً قبل أن يوضع عليها الشد).

(٤) هزرزر: سأشد شداً وثيقاً. لبوه: لأبيه. امبطان: حبل يربط في أسفل الشد من جهة ويربط على بطن الحمار إلى الجهة الثانية من الشد.

امكدر، وتضمد امعسر، وتقلب امحجر

والمعنى أن شاعرية سود أو أسلوبه الشعري أشبه بالحراثة على عجول صغيرة السن بمحاريث ضعيفة لا تنفع لحراثة طين الحواز المشعون بالردح والحجارة والطين الصلب، وأن هذا الأسلوب الشعري الضعيف الهش.. سطحي لا يغوص على المعاني العميقة ولا يستخرج كمائن التجارب الإنسانية.. ولا يستكنه لواعج القلوب.. وليست فيه الصور العجيبة المدهشة.. فهو تماماً كمحراث صغير ضعيف يجره عجلان صغيران في أرض رونه (رملية) هشة يكتفي المحراث بشق سطحها فحسب.

أما أسلوبه هو (هلهل) فهو كحراثة طين الحواز الصلب بثيران ومحاريث قوية قادرة على شق الأرض وقلع وتكسير كتل الطين (الكدر).. وتقليب الحجارة التي جاءت بها السيول ودفنتها في الرداح..

فقال له سود: ثيرتك تناكع امكدر، وتضمد امعسر، وتقلب امحجر.. لكن تلومتك تهب صرع واحد بس، أما نا غل عنك نا حصل شب، وحصل حمرا، وحصل دخن،

وحصل زعقا، وحصل صقيل، وحصل قطن، وذراتي تخلف ودخني يشول..

ومعنى الرد أن (سود) يعترف لهلهل بقوة الشاعرية وطول التجربة.. ولكنه يرى أن نفسه قصير، ومعناه الذي يطرقه واحد، وأسلوبه لا يتغير (تلومتك تاهب صرع واحد بس) والصرع هو الحصاد الواحد من الذرة.. تموت بعده الجذور لقلة الماء والرواء.. وعدم إشباع المطر لها.. فلا يقوم خلفها.. ناهيك عن كونها زرعاً واحداً.

فيما أسلوبه هو (سود) واسع التنوع، كثير المعاني (أنا غلّ عنك = غلتي أكثر من غلتك) وهو يُشَبِّهُ تنوع غنائه بتنوع الرقصات التي يغني على إيقاعاتها (الزير والشرجي والدمه.. والشنب والسيددوم والمخدمي.. والزيفه.. والفدايه) بتنوع المحاصيل الزراعية من ذرة (شب وحمرا) و(دخن) وزعقا (حبحب) وصقيل (دجرا —لوبيا- وقطن) ويشير إلى ثراء معانيه وقدرته على التوليد منها بقوله: (وذراتي تخلف ودخني يشول)...

فصاح الناس بصوت واحد: ياه قال ياه قال ياه..

إعجاباً برد سود يشجعونه ويشدون من أزره.. فسكت هلهل ولم يقل كلمة واحدة.

غير أن (سود) كان كريم الخصومة؛ إذ سرعان ما تألق مغنياً هذا الزير[1] الذي ينصف فيه غريمه ويعلي من قدره فيجعله شيخاً للشعراء دون أن ينسى نفسه وقدره الشعري:

دَوِّرْ وَرَا امْسُودْ صَبْحَهْ[2]
الدُّنْيَا عَلَيَّا[3] ظَلَامْ
وْلَا نَا بُدِهْ لَقَّطَ امْسُودْ
شَا قُولْ فِيهُنْ غُمَامْ[4]

(١) الزير: غناء ورقصة على الطبول لها لحن مخصوص وإيقاع معروف.

(٢) دور ورا امسود صبحه: أبحث عن السود بعد ارتفاع النهار (المقصود بالسود النساء الخضراوات) وصبحه: وقت من التاسعة صباحاً إلى الحادية عشرة قبل الظهر تقريباً.

(٣) عليّا: عليّ.

(٤) ولانا بده لقط امسود: ولو أنني أمتلك قدرة البده على استلال أرواح ذوي الجمال لاستللت أرواح السود ولقلت إن فيهن غماماً (الغمام: انسداد الأنفاس بسبب الزكام الشديد).

والبده أسطورة من أساطير الموروث الشعبي في معظم مناطق اليمن ولكنها أكثر عمقاً واشتهاراً في تهامة، فالبدة امرأة مهجورة شريرة النفس يقوم بينها وبين شيخ الجان اتصال جنسي تستطيع بعده استلال أرواح ذوي الجمال من الرجال والنساء لتقوى بها، بل إن الأسطورة لتقول: إنها تحول بعض الناس =

وْمَـــا رِدّ شِـــي مْـــنَ امْحَـــسَنْيهْ
لَتْخَـــــــالَفْ نْـــــــسَامْ[1]
هَبُـــــوكْ لَمّـــــا امْحَـــــسَنْيهْ
فِيْهَـــــا بَنَـــــاتُ زْخَـــــامُ[2]
أَحْمِـــي عَلَـــى امْـــشَبّ جَهْـــدِي
لَمّـــــا كِدَنّـــــهْ طْعَـــــامُ[3]
لاَ مُـــــتّ بِـــــاللّهْ ادْفِنُونَـــــا

إلى حمير تركبها، ويستطيع بعض ذوي القدرات الروحية الخارقة طرد وإخراج البدة من جسد المصاب وهو ما يسمى بالتنجيف، فيقال: فلان نجّف فلاناً من البده، فهو منجّف، ويتم طرد البدة وتنجيف المصاب عن طريق الاستحمال وهو حالة من الهياج الغير العادي تحدث للمُنَجِّفْ فيقفز قفزات في الهواء ويصرخ وينتفض جسده ويضرب المصاب ضرباً شديداً في الوقت الذي يصيح فيه المصاب ليس بصوته ولكن بصوت البده، وقد لا يشعر المصاب بالضرب الذي يصل أحياناً إلى الطعن، وقد تخرج البدة هاربة لا يراها الناس فيما يراها المنجف الذي يطاردها في الشوارع.

(١) وما رد شي من امحسنيه: لا أرجع عن الذهاب إلى الحسنيه (قرية من قرى ربع القحم مديرية المنيرة محافظة الحديدة).
لتخالف نسام: ولو ذهبت في سبيل ذهابي نفوس وأرواح.

(٢) هبوك لما امحسنيه: سأذهب إلى الحسنيه. فيها بنات زخام: جميلات.

(٣) احمي: بمعنى أذود. وعلى بمعنى عن: وامشب: نوع من أنواع الذرة البيضاء. وجهدي: قدر استطاعتي. لما كدنه طعام: حتى ينضج (وكدنه: تعني قد إنه). والشب كناية عن البنات الجميلات.

وْهَبَـــــوا عَلَيَّـــــا مْقَـــــامُ[1]

ويْـــسُفْ هُـــوْ شَـــاخْ امْـــشَعَارَهْ

وْسُـــــودْ هَيْجِـــــهْ عَـــــرَامُ[2]

كل تلك الروايات التي جاء معظمها من الجيلانية وحدها.. إضافة إلى رواية الشاعر يحيى مناجي.. والتي تظهر (هلهل) شاعراً هازلاً تنقصه الشاعرية المحلقة والدفق والبديهة.. فهو ينكسر أمام امناجي وينهزم له في محضر علي دراويش بالقناوص.. وهو يعجز عن القول.. في محضر علي حرد حتى يطالبه الناس بالقول فيعتذر بأنه لا بد أن يجمع شاعريته.. في مجتمع عوده شعراؤه على سرعة البديهة والارتجال في كل موقف.. وهو في موقف ثالث (محضر عبده عبد) يُنتقد لأنه يقول أي

(١) لا مت بالله ادفنونا وهبوا عليا مقام: إذا مت فبالله عليكم ادفنوني وابنوا عليّ ضريحاً (والمقام أيضاً هو طقس من الطقوس التي اعتاد الناس عليها بعد دفن الميت وفيه تذبح الذبائح وتوزع على الفقراء ويقرأ القرآن والمولد ترحماً على الميت).

(٢) ويسف هو شاخ امشعاره: ويوسف (يوسف هلهل) هو شيخ الشعراء.
وسود هيجه عرام: وسود (سود معمى) مثل الهيجة (الغابة) الكثيفة في تعدد عالمه الشعري، فكما أن الهيجة (العرام) —شديدة النمو والالتفاف- يصعب دخولها كذلك عوالم سود الشعرية يصعب مجاراته فيها.

كلام.. فيرد على منتقديه بكلام هو أقل من أي كلام..

وهو في موقف ثالث (محضر عبد الله حسن) يتورط في السخرية من سود معمى الشاعر الكبير الذي كان آنذاك في بدايته.. فيرد عليه سود رداً يفحمه، بل ويخرج من الموقف وهو أكرم منه بعدما أشاد به وبشاعريته..

وهو في موقف رابع لعله عرس في الجيلانية.. يسخر من نفسه على ذلك النحو الذي أسلفناه.. فهذه كلها شواهد على شاعر لا وصف أدل على شخصيته ومنحاه الشعري من وصف يحيى مناجي (شاعر متنع).

مقابل ذلك نجد روايات عن وجه آخر في شخصية وشعر هلهل تقدمه شاعراً ذا مكانة.. وإن كان بعضها منقوصاً أو متنازعاً فيه، من ذلك:

١- عندما قرأت رواية يحيى مناجي ورواية والدي عن هلهل لعبد الله محمد عويدان[1] استنكر أن يكون ذلك (هلهل).. مؤكداً أن يوسف هلهل.. من بني

(١) تم اللقاء به في مكتب عدنان الصديق بشارع الدائري في صنعاء مساء الأربعاء ٢٠٠٥/٣/٩م.

عويدان كان شاعراً كبيراً، وكان يشعر على طريقة بكير.. ولكن بدون قصبة (ناي)، مضيفاً أنه وإن لم يستبعد ما حصل بينه وبين امناجي ثواب ما دام امناجي يذكره في نصه بالاسم.. فإنه يستبعد أن يكون هلهل هو الشاعر الذي حدث الموقف المشار إليه في محضر عبده عبد في قرية الجيلانية.. ذاهباً إلى أن ذلك الموقف أليق بشاعر مزامن لهلهل كان اسمه الشامي وكان من عادته عندما يشعر في المخادر أن يقف على قعادة[1] وقد اصطدم بهلهل أكثر من مرة.. منها مرة قال لهلهل:

وَا كَبْشْ وَا بَرْبَرِي هَذْبَحَكْ هَا كُلَّكْ[2]

فقال له هلهل:

وَا كَدّ شَامِي هَنْدُفَكْ هَكْسِرَكْ[3]

وعندما قرأت كلام عبد الله محمد عويدان .. في

---

(١) القعادة: نوع من الأسرة مصنوع من الخشب.

(٢) وا كبش وا بربري: أيها الكبش البربري. هذبحك ها كلك: سأذبحك وآكل لحمك.

(٣) هندفك هكسرك: سأضربك حتى أكسرك (الندف هو الضرب بشدة).

الجلسة الثانية لمراجعة هذا الكتاب مع أسرة امناجي.. قال محمد مناجي ويحيى مناجي: إن الموقف المشار إليه لم يحدث بين هلهل والشامي وإنما بين بكير والشامي.. وكانت بينهما مناكفة بسبب هجاء كان بكير قد وجهه للشامي وجماعته.. فقال الشامي لبكير:

وَا كَـــبْشْ وَا بَرْبَـــرِي هَـــذْبْحَكْ هَـــا كُلَّـــكْ
تْقُـــولْ لِـــي ذَا الْكَـــلاَمْ وَانَـــا عَلَـــى مَحْفَلَـــكْ[1]
وَاللّٰهْ لَ اسْـــرِي عَـــلاَكْ لَ ازْبْطَـــكْ لَ انْـــدُلَكْ[2]

فرد بكير بقصيدة ليس محفوظاً منها إلا قوله:

وَا كَـــدّ شَـــامِي هَنْـــدُفَكْ هَكْـــسِرَكْ

والكد هو قُلَّة الماء المعروفة في تهامة، وتُجمع على (كُدّان).. وقوله: (وا كد شامي) كناية عن انتسابه إلى وادي مور حيث يميل لون الكد هناك إلى الاحمرار بخلاف الكد الصليلي الذي يميل إلى البياض.

ثم جرى بينهما عتاب.. فعاتبه الشامي على هجائه

(١) وانا على محفلك: وأنا في بلادك.

(٢) واللّٰه لـ اسري علاك: واللّٰه لأقومن لك. لـ ازبطك لـ اندلك: لأركلنك حتى أفتح بطنك (الندل: الثقب).

لهم.. فاعتذر بكير بأن ذلك كان من زمن بعيد، وقال:

ذَا زَمَـانْ وْعَـادْ آدَمْ جَاهِـلُ وْعَـــادْ حَـــوَّى اعْزَبَـــهْ[1]

مِـنْ يَـومْ مَـا هَابِـلْ قَتَـلْ قَابْـلُ وتْهَاوَشَـــــنْ مَغْرْبِـــــهْ[2]

وكلام عبد الله محمد عويدان لا ينقضه توضيح ابني امناجي فحسب، ولكن تنقضه الروايات الأخرى التي سجلت مواقف (هلهل) في محضري علي محمد حرد وعبد الله حسن في الجيلانية.. والنص الذي يصف به نفسه.

ومما يزيدنا يقيناً أن (هلهل) كان هلهلاً واحداً تسمية سود له باسمه الأول (يسف) يوسف في القصيدة التي قالها إثر الموقف الذي حدث بينهما في محضر عبد الله حسن بالجيلانية، وفي ذلك رد على من قال إنه ربما كان

---

(١) ذا زمان وعاد آدم جاهل وعاد حوى اعزبه: هذا حدث قديما عندما كان آدم طفلاً وحوى لم تزل عازبة.

(٢) وتهاوشن مغربه: واقتتل الغربان (ويروى هذا الشطر: وادفّنن مغربه) وهو الأكثر شيوعاً، ولكننا حافظنا على رواية يحيى مناجي كما هي.

ويبدو أن بكيراً عندما قال هذين البيتين كان يقولهما بوصفهما شاهد حالٍ؛ لأن مناسبة قوله للبيتين مختلفة، وقد وردت في سياق حديثنا عن النهاري حسن، وقد ظل الناس حتى اليوم يستحضرون البيتين لمن ألحّ على تذكيرهم بشيء لا يريدون تذكره خاصة إذا كان قديم العهد.

هناك أكثر من (هلهل) واحد.

٢- روى علي جابر سالم بحيص.. أن (هلهل) قال في وقعة القحم مع القوزي:

سَرَى الْبَرْقْ وْعَيْنِي تْخَيَّلَهْ ... مِنْ فَوقْ وَادِي جَبَرْ[١]
وْفَجَّرْ فَنَايَا امْزَبَّرَهْ ... وْقَادَعْ بْسِيْدَ امْقُصَرْ[٢]
قُوْسُمْ جِنْدِلِهْ صَامِلَهْ ... قُوْسُمْ كْوَلْبَ امْعَسَرْ[٣]
ثِيْرْتَهْ مِنْ جَامُوسْ مْوَسَّرَهْ ... مَا تْجُرَّهَا الاّ امْبْكَرْ[٤]

---

(١) تخيله: تنظره من بعيد وتتوقع أين ينزل مطره. وادي جبر: جبر: قرية شرق المرواغ، والوادي هو وادي مور، وقد نسب الوادي إلى القرية لأن المقصود أن المطر ينزل على وادي مور قرب قرية جَبَرْ.

(٢) وفجر فنايا مزبره: جرف السيل سدوداً ترابية قوية (الفنية: سد ترابي، والزُّبُرْ –بضم الزاي وتشديده وضم بالباء: جمع زبير؛ سدود ترابية صغيرة، والزَّبْر- بتشديد الزاي وفتحه وتسكين الباء: هو عمل الزبر بالمحر الذي يسحبه ثوران).

وقادع بسيد امقصر: وجاء السيل بأشجار كبيرة نادرة جلبها من الجبال.

(٣) قوسم جندله صامله: قوسم رجل شجاع قوي القلب كصخرة صلبة. كولب امعسر: كالمحراث القوي الذي يشق الأرض الطينية الصلبة.

(٤) ثيرته من جاموس موسره: أي أن ثيرانه قوية لا يتم ربطها إلا بعرك (عرق) الجاموس. ما تجرها الا امبكر: لا يمكن جرها إلا بالآلات لقوتها.

قَـالَ يْـتَنْ كُتُـبُ وْمْعَـايَرَهْ وْكُلّـي فِـي بَيْتَـهْ مْكَـرْ[1]
احْمَـدْ سُـوِيْدْ وْجَمَاعْتَـهْ هَـرَبْ وْجَـوّى نْفَـرْ[2]
مَـا عْلِمْـشْ مْحَـلّ مَـوْجَرَهْ مْحَـلّ عَابِـدْ وْجَـرْ[3]
اذْكُرْ مَقْعَدْ بُوجِلْهِمِهْ كُولْيَهْ اللّـي مْحَلّـهْ فِنِـي وَانْـدَمَرْ[4]

---

(١) قال يتن كتب ومعايره: قال جاءت كتب تعيّر قوسم قحم لعدم قيامه بأمر مشيخة صليل. وكلي في بيته مكر: وكلٌ قعد في بيته ولم يخرج.

(٢) هرب وجوى نفر: فر مسرعاً كأنه الطير.

(٣) ما علمش محل موجره: ارتج عليه فنسي بيته الذي يبيت فيه كل يوم. محل عابد وجر: نام في محل عابد (والمقصود أنه التجأ إلى السادة المناصب بني عابد الذين يلجأ إليهم الناس عند الخوف والنوازل فيأمنون؛ ومحل عابد محل من محلات عزلة كشارب مديرية القناوص وهو يقع إلى الجنوب الغربي من القناوص بحوالي سبعة كيلومترات).

(٤) اذكر مقعد بوجلهمه كوليه: الأقعد رجل من دير الأقعد كان بيته ميداناً للمعركة الشهيرة التي دارت سنة ١٣٣٩هـ بين قبيلة صليل بعضهم بعضاً أهل الحازة وعلى رأسم شيخ صليل السيد إبراهيم ابن عبد الله قوزي وأهل الخبت وعلى رأسهم قاسم بن محمد قحم، وكانت الفتنة في محل الأقعد غربي سوق القناوص فقتل بها السيد قاسم (قوسم) بن محمد قحم وقتل الأقعد وأولاده وجرح جملة منهم، وكان ذلك في عهد الإدريسي، وقد جرّت هذه الحادثة كثيراً من القصائد التي تغنت بشجاعة القحم وبسالته ومنها هذه القصيدة التي نشرحها.

بوجلهمه كوليه: ذو الجثة الضخمة.

اللي محله فني واندمر: الذي محله (الذي أسرته فنيت عن آخرها).

يَكِّيْهْ مَوْزَرَهْ اللِّي حَلاَّهْ وْشَنْبَرَهْ وْوَطَّى امْنْجَمْ وَامْقَمَرْ[1]
وَهَبّ رِيْحُ عَاصْفُ خَاضْ امْبَحَرْ وَامْغَرَهْ[2]
وْلاَحْ امْدْقَلْ وَاكْتَسَرْ[3]

وهي الواقعة التي خلدها بكير بقصيدته الشهيرة:

يَومْ الْخَمِيسْ طَلّيَهْ فَرْعَ امْقَنَاوِصْ دَكَمْ

وهذا الشعر يدل فعلاً على وجود هذا الوجه الآخر لشخصية وشعر هلهل... ونستطيع أن ندعمه بشاهدين آخرين..

الأول: روى لي سود عفيف الأقعش[4].. أن شوعي حاج وهو من النجاري تمرد فكان يطمع وينهب.. واتخذ من بلاد بني عويدان معقلاً له فجرد القوزي حملة للقبض عليه.. فترك شوعي حاج بلاد بني عويدان وتوجه إلى

(١) يكيه موزره اللي حلاه وشنبره: يبكيه سلاحه (الموزر) الذي كان قد حلاّه بالفضة وشنبره بالحلق والنقوش. ووطى امنجمر وامقمر: ونقش عليه نجمات وقمراً.

(٢) امبحر: البحر، وامغره: عكَّره.

(٣) ولاح امدقل واكتسر: ترنح الدقل وانكسر.

(٤) سود عفيف الأقعش تجاوز السبعين من العمر، التقيت به في بيت الفقيه الفاضل أحمد علي الخشمي بالمضبار بلاد المقاعشة يوم الإثنين ٢٠٠٥/٤/٤م.

محل شوك حيث كان له سمي هناك اسمه محمد صغير، وبينما كانت سميته تحنيه[1].. حاصره القوزي برجاله.. فلما رأى الحصار قال لسميه: بعتنا يا محمد[2]..

فقال سميه: والله ما بعتك.

فقال لأهل البيت: شَطِّروا[3] عني. فَشَطَّروا عنه.. فكان كلما لاح أحد مقابل باب العشة[4] رماه.. حتى أخافهم ولم يقدروا على اقتحام العشة ولكنهم ظلوا محاصرين له حتى أرسل له القوزي بخمسة معابر[5].. مع رسالة تقول له: هذا أمانك.. فخرج معهم.. فمضوا به حتى وصلوا إلى محل الهندي[6].. وفجأة وجه أحد عبيد القوزي فوهة بندقيته إلى شوعي حاج فأرداه قتيلاً، فقال بكير:

---

(١) تحنيه: تمسح (تُمرخ) جسمه بالحناء الذي يُمزج بالماء حتى يكون خفيفاً، ثم يمرخ به الجسم جميعه وبعد أن يجف يغتسل المرء فتكون لجسمه رائحة طيبة.

(٢) بعتنا يا محمد: بعتني يا محمد.

(٣) شطروا: تنحوا جانباً.

(٤) العشة: بناء من القش والخشب معروف في تهامة.

(٥) المعابر جمع معبر، والمعبر هو: القذيفة الواحدة من الرصاص.

(٦) محل من محلات عزلة كشارب، يقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة القناوص بحوالي أربعة كيلومتر تقريباً، ويسكنه جماعة من ذوي الأصول الهندية مع بيوت من بني عابد، وبني الشيبة وبني مهدي.

حَـــثَّ الْبَـــرْقْ ونَـــا خَوّلَـــهْ ذَا الْبَـــرْقْ شَـــقَّ امْنَظَـــرْ[1]
فَـــوقْ امْحَـــزُزْ مَعْلِيـــهْ يْجُـــودْ لَمَّـــا فْجَـــرْ[2]
شُوعِي كَمْ لِي اوْصِيكْ وَازْكِنَكْ مِـنْ مَقْيَلَـكْ فِـي امْـضَبَرْ[3]
وْقَتْلَتَـــــكْ هَامْيـــــهْ مِـنْ تَحْـتْ قَـوْزِي امْحَـزَرْ[4]
يَـــا جِنْدِلِـــهْ صَـــامِلَهْ وْيَـا هَـيْجْ يَـا بُـو عُمَـرْ[5]
لاَ سَـــرَيْتْ فِـــي امّرْحَلَـــهْ تَمْـــسِي ثْهُـــزَّ امْغُتَـــرْ[6]

.... ثمة نقص في الرواية هنا.

(١) حث: اشتد. ونا خوّله: وأنا أنظر إليه من بعيد وأقدر أين يقع مطره.
ذا البرق شق امنظر: هذا البرق يكاد يسلب العين نورها لشدة لمعانه وتوهجه.

(٢) فوق امْحُزُزْ معليه: الحزز: جمع حازة وهي الأرض التي تقع في سفوح وأحضان الجبال مما يلي تهامة. معليه: عالية.
يجود لما فجر: ينزل بغزارة حتى جرف سيله الفنايا والزبر.

(٣) شوعي كم لي اوصيك وازكنك: شوعي كم لي أوصيك وأنصحك وألح عليك.
من مقيلك في امضبر: من اتخاذك الضبر ملجأ تلجأ إليه (والضبر كناية عن الحواز؛ لأن شوعي من النجاري وهي تقع في أول الخبت).

(٤) هاميه: غامضة. من تحت قوزي امحزر: بأمر القوزي صاحب الحزر.

(٥) جندله صامله: صخرة صلبة. ويا هيج: أيها الرجل الضخم الشجاع الذي يشبه الجمل البازل الهائج.

(٦) لا سريت في امرحله: السرى السفر ليلاً، والمرحلة بالمقاييس القديمة تساوي: شدة، تقطعها الجمال يوماً ثم تُعرّس؛ أي تبيت، والشدة تساوي: أربعين كيلومتراً تقريباً. تمسي تهز امغتر: أي تسير سيراً حثيثاً تهتز له العمامة، وقد يكون أصل الكلام: تمسي تهز امغبر؛ أي تثير الغبار بمشيتك السريعة.

إلى أن يقول:

تَـــابِعْ فُـــرُوضْ الـــصَّلاَهْ وَاخْـــشَى عَـــذَابْ الْقَبَـــرْ
فِـــي يُـــومْ لاَ حَـــدّ لَـــهَ وَلاَ تْفِيْـــدَكْ عُـــذَرْ[1]
وْيَـــدُّوكْ[2] كِتَابَـــكْ يَمِـــينْ تَمْـــسِي تْقُـــصَّهْ نَظَـــرْ[3]
وَاهْـــلَ الْحِـــسَابْ جَالْـــسِينْ أَهْـــلَ امْحَدِيْـــدْ وَامْزُبَـــرْ
وْصَـــلُّوا عَلَـــى الْمُـــصْطَفَى صَـــلُّوا بْـــسِيْدَ الْبَـــشَرْ

وعندما قرأت هذه الرواية لأهل النجاري[4] مستغرباً أني لم أسمعها منهم من قبل.. وكان سبب استغرابي هو.. نسيانهم لحادثة قال فيها بكير شعراً.. لأن الحوادث التي يقول فيها بكير تؤرخ ولا تنسى.

أجابوا باستهانة وبما يشبه الإجماع أن هذه حادثة متأخرة، وأن قائل الشعر قد يكون (هلهل)..

وفي تعليقهم ذاك نستطيع أن نقرأ.. أولاً: أن (هلهل) هو

---

(١) في يوم لا حد له: في يوم لا نهاية له (يقصد يوم القيامة).
ولا تفيدك عذر: ولا تنفعك الأعذار.

(٢) ويدوك: ويعطونك.

(٣) تقصه نظر: تقرأه عياناً من المكتوب.

(٤) في منزلة السيد يحيى خطيب الأهدل يوم ٢٠٠٥/٤/١٨م.

المرجح لقول القصيدة.. وهذا تأكيد على الوجه الآخر له.. وثانياً: على أن بعض شعره قد يلتبس عند بعض الرواة غير المحققين بشعر بكير..

كما نقرأ في استهانتهم.. مقدار تأكدهم ويقينهم من أن الحادثة كانت بعد زمن بكير بوقت طويل..

الثاني: ما جاء في شعر سود معمى الذي قاله في محضر عبد الله حسن بالجيلانية عقب الموقف الذي حدث بينه وبين (هلهل).. وهو الشعر الذي أشاد فيه سود بهلهل ومكانته الشعرية حين قال:

ويْسُفْ هُوْ شَاخْ امْشَعَارَهْ وْسَودْ هَيْجَهْ عَرَامْ

فحتى لو كان ما قاله سود في (هلهل) من باب تسلية الخاطر.. بعد أن أفحمه واستقطب تأييد الناس دونه.. فإنه سيبقى في كلامه مقدار من الحقيقة.... ولكنه ليس بالمقدار الذي يجعل (هلهل) في مصاف بكير أو النهاري وأمثالهما.. وإنما هو مقدار يجعل (هلهل) من الشعراء الوسط على أكثر تقدير.. يدل على ذلك حظه من الرواية.. وهو حظ بسيط وإن كنا لا نستطيع الحكم إلا

بعد طلب شعره في قرى أخرى.. الأكثر دلالة على مكانته الشعرية المتواضعة هو حظه من التقدير والذكر عند الناس.. وهو ليس بالحظ الكبير.... ومع ذلك سنظل متحفظين إزاء هذه الأحكام لمزيد من البحث والاستقصاء..

***

لم يكن امناجي في ممازحته لهذا النوع من الشعراء يقصد مجرد الممازحة فحسب، بل كان كما يؤكد ابنه يحيى إذا حضر عرساً فيه شعراء.. يحب أن (يبيّن نفسه) أي يختبر نفسه ويجرب قدراته.. ويروي يحيى أنه قد روى له من هم أكبر سناً منه.. أن الناس قديماً كانوا معتادين في محاضرهم (أعراسهم) أن يأتوا بشعراء.. وكان الشاعر يقف وسط المخدرة ويقول.. وأحياناً كانوا يجيئون بأكثر من شاعر يتناوبون القول بأصوات جهورية لأنه لم تكن هناك مكبرات صوت في تلك الأيام.

وفي أحد المحاضر التي يقول يحيى إنه لا يذكر إن كان قد أقيم في القناوص أو في دير كزابة، فيما يؤكد ثواب

علي أن الموقف حصل في وادي الرصاص[1] جاء شاعران من جهات عبس.. وكانا عبدين ضخمين وبعد أن قال كل واحدٍ منهما ما عنده قام والده وقال لهما هذا اللغز:

أَسَـــــرْتْ مَأسُـــــورْ مِـــنْ أَسِـــيْرِ الأَسْـــرَى
عَـــسَى مَـــنْ أَسَـــرْ أَسِـــيرْ اسْتَأسَـــــــــــرْ
عَـــــصَاةْ امْأُسَـــــارَى عَـــــصَاةْ عِـــشْرِينْ[2]

وطلب منهما أن يردا بجواب شعري على ما قال يفسرانه فيه.. ولكنهما بعد أن أجالا فكريهما في كلامه.. صرحا أن لا جواب عندهما.. وطلبا منه هو أن يرد على نفسه. ففكر بعض الوقت وقال:

إِنْ كُنْـــتْ مَأسُـــورْ بَعْـــدْ عُـــسْرَكْ يُـــسَرَى
أَسْـــــــرَ الْعُـــــــسْرْ بَالْيَـــــــسِيرْ
رْصَـــاصْ امْنْـــصَارَى امْدَسْـــتْ عِـــشْرِينْ[3]

(١) وادي الرصاص: هو منطقة في مديرية اللحية قرب الناشرية (والوادي هو وادي مور نسبه الراوي إلى القرية لمروره قربها ولكون الحدث وقع هناك).

(٢) عصاة امأسارى عصاة عشرين: هذا هو اللغز.

(٣) رصاص امنصارى امدست عشرين: الدست: هو الدزينة بعشرين رصاصة، وهو حل اللغز.

فلما سمعا جوابه قالا له: نحن لهجتنا تختلف (يقصدان طريقة القول ولون الشعر) (هب لنا على دلبتنا)[1] أي على أسلوبنا فقال:

قُلْ لأَهْلَ الشِّعْرْ يُسْرًا لَ امْأَسِيْرِ[2]
امْعَبْدْ وَامْعَرْبِي[3] إِذَا هُمْ أَهْلْ أَيْرِي
يْبِيْتْ وَاحِدْهُمْ فَرِيدْ
أَمَّا أَجَابُونِي عَلَى مَا فِي ضَمِيْرِي
وْالاّ مَمْنُوعْ امْجَلاَزْ[4]
حَتَّى انْتْشَارَعْ عِنْدْ عَبْدَ اللّٰهْ الْوَزِيْرِ[5]

وكان الوزير ذلك الوقت نائباً على الحديدة[6].. وقوله:

---

(١) الدلبة: هي اللحن المخصوص برقصة معينة.

(٢) يسرا لـ امأسير: قد يسرنا للأسير.

(٣) امعبد وامعربي: العبد والقبيلي.

(٤) امجلاز: الأجرة.

(٥) انتشارع: نحتكم. عند عبد الله الوزير: إلى عبد الله الوزير نائب الإمام على الحديدة.

(٦) قول الراوي: (وكان الوزير ذلك الوقت نائباً على الحديدة) قد لا يكون دقيقاً، فذكره عبد الله الوزير ربما يدل على أنه قال هذا النص قبل انتقاله إلى الحديدة، فقد كان عبد الله الوزير حاضراً بشدة في تهامة لمهمات مختلفة منذ =

(ممنوع امجلاز) يقصد به أنه يمنع عليهما الأجر المستحق لهما على شعرهما حتى يردا..

وقوله (امعبد وامعربي) دليل على أن الشاعرين لم يكونا كلاهما من العبيد. وأن أحدهما كان عبداً والثاني من العرب.

***

كان يشغلني أمر اتصال امناجي ببكير.. الشاعر الشعبي الأسطوري.. الذي من البديهي أن يكون قد مات حين كان امناجي شاباً قد جاوز الثلاثين أو في حدودها، وعندما سألت ولديه عما إذا كان والدهما قد التقى بكيراً وعرفه.. قال لي محمد مناجي: إن أبي كان ينشد لنا من

نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، ثم كان نائباً على الحديدة منذ نهاية العشرينيات حتى منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين، ولعل امناجي قال ذلك الدِّلْعْ في فترة تولي الوزير مهام حربية في تهامة عند مطلع العشرينيات، ويكون الأمر قد اختلط على يحيى مناجي فحسب أنها قيلت في الفترة التي كان فيها الوزير نائباً على الحديدة؛ لأن سياق الأحداث ومنطقها وما رواه هو وأخوه وأبناء عمومته عن سيرة امناجي وحياته مما سبق تناوله مفصلاً في بداية هذا الكتاب يؤكد أن امناجي كان في الحديدة منقطعاً عن القناوص وما جاورها إبان الفترة التي كان فيها الوزير نائباً على الحديدة.

شعر بكير، ويحكي لنا من أخباره، وكان يتفرج على كلامه وعلى حالته (أي يتعجب من شعره وأساليبه.. الفنية وتصرفاته الحياتية) ولكنه لم يقل لنا إنه عرفه أو التقاه أو حضر سارية من سواريه.. ربما يكون ذلك قد حدث ولكنه لم يقل لنا.. كما أنه لم يكن يتعاند هو وإياه (أي لم تكن بينهما نقائض ومهاجاة).

وعندما قلت له: هل كان السبب أن أسلوب بكير يختلف عن أسلوب والدك.. بمعنى أن والدك كان مثقفاً وبكير كان شعبياً..؟

أجاب: أيوه.. أبي كان ثقافي..!!

فهل فعلاً كان امناجي يترفع عن مقارعة بكير أو معارضته لميوله الثقافية وإغراق بكير في شعبيته..؟ أم لأن امناجي كان شاباً في أول طريقه الشعري فيما كان بكير أسطورة لا يقاربها مقارب..؟

لعلَّ في تساؤلاتي تمحكاً زائداً.. وتكبيراً للموضوع.. فقد يكون التداخل مع بكير ليس هماً من هموم امناجي بالمرة.. آنذاك.

شعر امناجي
بين خيانات الذاكرة والتفريط في المكتوب..

ما بين أيدينا من شعر امناجي ثواب..

ربما لا يمثل عشرة في المائة من مجموع ما قاله.. خلال رحلته الحياتية التي امتدت إلى ما يقارب السبعين عاماً أو أكثر..

بالأحرى خلال رحلته الشعرية التي امتدت حوالي خمسة وأربعين عاماً.. إذا قلنا إن موهبته الشعرية بدأت تنضج وهو في العشرينيات من عمره كما هي العادة عند معظم الشعراء..

إن ما لدينا من نصوص امناجي لا يتجاوز سبعة وعشرين نصاً.. لا يكاد نص منها يخلو من سقط.. تسببت به خيانات الذاكرة وفسولاتها.. بما في ذلك بعض

النصوص التي نظن ظناً أنها مكتملة خاصة بعد أن أضافت لها المراجعات المتكررة أبياتاً أخرى تذكَّرَها رواتها الذين أخذناها عنهم أولاً، أو أضافها رواة آخرون، أعني نصوصه الشعبية التي قالها في قضيته مع مسعود، وكذلك نصوصه الشعبية التي قالها في وساطته لذياب.. أيضاً نصه الذي قاله في هجاء وادي سهام.

أما النصوص التي نكاد نكون متأكدين من اكتمالها فهي ثمانية؛ ستة منها حفظت وشاعت بسبب طرافتها وقصرها وارتباطها بقصص معروفة في القناوص، وهي تندرج فيما يتندَّرُ به الناس ويتنادمون؛ أعني النص الذي رد به على النهاري، والنص الذي هجا به شحاتة، والنص الذي داعب به (هلهل)، والنصوص الثلاثة التي تحدى بها الشاعرين الشاميين[1].

أما النصان الأخيران من النصوص الثمانية.. وهما النصّان اللذان قالهما في جابر حُبر وحمادي فقد تذكرهما ابنا امناجي في جلسة المراجعة الأولى لهذا الكتاب، ونحن

(١) شاعران من جهات عبس، لم يستطع الرواة تذكّر اسميهما، لعلنا نستطيع مستقبلاً البحث عنهما في سياق بحثنا عن تراثنا الشعبي وشعرائه.

متأكدون من اكتمالهما؛ لأن بنية كل منهما لا تسمح بالزيادة أو النقصان.

أما النصوص الأخرى فهي تنقسم إلى قسمين: نصوص فصيحة، وأخرى شعبية. فالفصيحة عشرة.. خمسة منها قالها في قضية الجمرك التي لفَّقَها له مسعود وسجن ظلماً بسببها.. والنص الذي أرسله لصديقه محمد يحيى دهمش عندما دعاه للعودة إلى القناوص، ثم نصه في التضرع إلى الله بعد أن ضاق ذرعاً بفقره وقلة حيلته، ونصه في التأسي لنقل راعيه مصطفى صبري من المالية، ونصه في هجاء المقري..

وأخيراً النشيد المدرسي الذي كتبهُ لطلبة المدارس..

أما النصوص الشعبية فعددها سبعة نصوص:

نص في الرد على ابن الحنيش، وأربعة نصوص في الرّد على امقفلي (قفلة) ومهاجاته.. وأخيراً بيتان من ردٍّ له على النهاري، ومقطعان من معارضته للبهلول.

تسعة عشر نصاً من النصوص السبعة والعشرين هي خلاصة استقطار متكرر لذاكرتي ولدي امناجي: الشاعر يحيى مناجي، وأخيه محمد مناجي، وكذلك الصديق العزيز أحمد سعد الله المتزوج من حفيدة شاعرنا الكبير.. إضافة إلى نص التضرع، والقصيدتين الأولى والثانية من القصائد التي تشفَّع بها لذياب والتي تفضل الأستاذ/ علي الأهدل بإرسالها إليّ من صامطة..

أما النصوص الثمانية الأخرى فقد كان الفضل في الحصول عليها يعود لحلقات الكتابة الأولى لهذا الكتاب التي نشرتها على صفحات صحيفة الثورة في شهري فبراير ومارس عام ٢٠٠٥م، فقد استفز واستثار نشرها أسرة امناجي ثواب، فتواصلت معهم واتفقنا على عقد جلسات لمراجعة الكتاب وتصحيح معلوماته وقد كان ذلك، فعقدنا جلستين في منزلة الأستاذ التربوي أحمد بهلول بالقناوص الأولى مساء الإثنين ٢٠٠٥/٤/٤م والثانية مساء الأحد ٢٠٠٥/٤/١٠م، فكنت أقرأ من نسخة الكتاب المطبوع على الكمبيوتر فيما ذاكرات ابنيه يحيى ومحمد

وابن عمهم ثواب علي وكذلك صديق صغير وأبو الغيث ثواب وعلي شوعي حنش تفيض وتتفجر مصوبة بعض المعلومات ومضيفة معلومات أخرى، وقد ساعد تجمعهم في مكان واحد على تذكر المزيد من المواقف والنصوص، والاتفاق على معلومات في سيرة امناجي وحياته كان قد رواها لي محمد ويحيى كل على حدة واتضح عدم دقتها فتم تصويبها، وكان أجمل ما في جلسات المراجعة الحصول على النصوص الثمانية الجديدة التي برزت من خلالها شخصية امناجي الشعرية، كما تبينت واتضحت صورة شاعريته أكثر من ذي قبل، فقد أوضحت لنا تلك النصوص - خاصة الشق الشعبي منها- قدرات امناجي الفائقة على القول في لون (الشعيبي)[1]، كذلك فوجئنا بنص من لون (الطارق) وهو وإن كان نصاً وحيداً فإن قوة إجادته وإتقانه وحلاوة صوره تدل على أن امناجي كان ذا

(١) هو لون من ألوان الشعر الشعبي في تهامة، نسبه بعض موثّقي التراث الشعبي إلى السيد شعيب الأهدل - صاحب المراوعة الذي توفي في عشرينيات القرن العشرين تقريباً- تجوزاً، وإلا فهو لون متوارث بدليل قول بعض الشعراء الشعبيين ممن سبقوا شعيباً إلى الموت؛ مثل امبارك بكير شعراً فيه.

باع طويل في هذا اللون، والنصوص الجديدة التي حصلنا عليها تعد إضافة حقيقية حتى وإن كان بعضها - شأن سابقاتها - يشكو من النقص والسقط وذلك هو دأب الذاكرة التي تحولها الأحداث وكرّات السنين إلى منخل تَسّاقَطُ الأشياء من ثقوبه كلما اهتز أو تحرك..

أما المؤسف حقاً فهو أن لا نعثر على ما كُتب من شعره، فالشاعر يحيى مناجي وأخوه محمد مناجي يؤكدان أن محمد عقيلي وعلي صغير ثواب - رحمهما الله - كانا يدونان من شعره..

وعندهما أو عند كلّ منهما دفترٌ له، ويؤكدان أيضاً أنه كان في الحديدة يعتمد على كاتب يدون له قصائده اسمه عاصم كويك[1]، وأنه كان يرسل الأوراق إلى علي صغير ثواب وغيره ويقول لهم: اسألكم بالله احفظوها وخلوا

(١)عاصم كويك : كان شاعراً وأديباً من وجهاء الحديدة وقد مات في حادث سيارة في طريق صنعاء في بداية الثورة وله شعر فصيح موجود.
(أخذت التعريف به من الأستاذ الأديب/ جابر الشراخ في أمسية مع خالد الرويشان وزير الثقافة بفندق قصر سام بصنعاء ضمن عدد كبير من المثقفين بتاريخ ٢٠٠٦/٦/٢٠م).

امزقي (الأولاد) يكتبوها عاده (أتوقع= لا بد) سيتأرخ قولي كقول عبد الرحيم[1]، وكانت الأوراق تملأ تنكة[2] في بيت علي صغير ثواب ولكنها ضاعت أو سرقت أو ذهبت في الحريق؛ وكانت فترة الحرائق[3] تتسبب في ضياع الأوراق.

(١) الشيخ العالم، الشاعر البليغ الشهير، عبد الرحيم بن علي المهاجري البرعي اليمني، وبلده النيابتين في جبل برع، وكان يسكنها إلى أن توفي، قرأ النحو والفقه على جماعة من علماء وقته، فلما تأهل للتدريس والفتوى أتاه الطلبة من كل جانب، فدرّس وأفتى، واشتهر بالعلم والعمل، وله مدائح في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الشاعر الوحيد في العصر الرسولي الذي لم يقصد الملوك والرؤساء لمدحهم، ولم يتكسب بشعره في أغلب الأحيان، رغم أنه مدح جماعة من أعيان العلماء والصوفية، وربما احتاج إلى المال فمال بشعره إلى بعض الأثرياء من غير المتصلين بالدولة، لذلك نجده في شعره يصرح بعائلته الكبيرة وفقره، ويعلن عن إفلاسه، وقيل إنه أصيب بكثرة الأولاد في آخر عمره، وكان رحمه الله صاحب استقامة خلقية جعلته ينزل إلى الفقر والإفلاس بعيداً عن التزلف للحكام، وكان شاعراً مجيداً، وغالب شعره في التصوف والإلهيات، وقد ذاع صيته واشتهر شعره حتى مصر وبلاد الشام، توفي عام٨٠٣هـ/١٤٠٠م. (روائع شعر النشيد الصنعاني، علي محسن الأكوع، ص٣، ط١، ٢٠٠٤م).

(٢) التنكة: هي وعاء معدني أسطواني أو مكعب تحفظ فيه الأوراق المهمة كالحجج الخاصة بالأرض أو فصول الإرث أو الأنساب أو وثائق قطع الشجار بين المتخاصمين...إلخ.

(٣) فترة الحرائق: يقصد بها الزمن السابق على نهاية سبعينيات القرن العشرين؛ أي قبل أن يعتمد الناس -في قرى تهامة وأديرتها ومحلاتها ومدنها الصغيرة- البناء بالإسمنت والطوب والحجر بدلاً من الخشب والقش، فقد =

وإذا كان العقيلي لم يبقَ من يمت بصلة إليه سوى ابنة له في جدة لا ندري إن كانت تحتفظ بذلك الدفتر أم لا.. فإن دفترَ أو أوراق علي صغير ثواب الذي تقول الرواية السابقة إنها ضاعت أو سرقت كانت لدى ابنه الصديق أبو الغيث - الذي أحالني الجميع إليه- حتى فترة قريبة.. فإني لأذكر عام ١٩٨٥م عندما كنا أنا وأبو الغيث نتزامل في إعدادية الفتح بالقناوص.. وكنا آنذاك في بداية التعامل مع الشعر.. أن جاءني أبو الغيث ذات يوم بدفتر قديم - أو ربما.. لا أذكر جيداً- أوراقاً قديمة مضمومة..

كانت كل المدن والقرى معرضة خاصة في فترات الصيف الحار واشتداد هبوب سُهيل إلى الحرائق التي لا يستطيع الناس السيطرة عليها فتأتي على كل شيء، وقد تعرضت القناوص للحريق أكثر من مرّة في القرن العشرين.

ومن طرائف أهل بيت امناجي الذين يتميزون جميعاً بخفة الظل والفُكاهة ما حدث عندما كان محمد مناجي يذكر في سياق روايته أن الحرائق كانت تتسبب في تلف الأوراق، فقد سألته: متى كان آخر حريق تعرضت له القناوص؟ فقال: سنة ١٩٦٩م، ثم تابع: وكان الواقف عند بيتي في الجزء الشمالي الغربي من القناوص يرى المقبرة التي تجاور المدينة من الجنوب؛ إذ أن الحريق أتى على كل الحارات كما أتى على السوق كله. فسألته: من أين بدأ الحريق؟ فأجاب —خجلاً وهو يضحك: ... من أين؟ ... هاه ... من بيتي. فغرق كل الحاضرين في الضحك.

وقرأنا معاً فيها قصائد لجده امناجي ثواب..

وكنت أقول لنفسي: إن لم تكن تلك الأوراق أو ذلك الدفتر رهن الضياع.. فإن إخراجها اليوم سيساعد على تكملة القصائد الناقصة.. وقد يمدنا بقصائد جديدة يكتمل بها إلى حد ما العالم الشعري الذي أبدعه ذلك الشاعر المهم..

لقد التقيت بـ(أبو الغيث ثواب) مرتين أو أكثر شتاء عام ٢٠٠١م.. وشتاء عام ٢٠٠٣م وحدثته مراراً عن ضرورة إخراج ذلك الدفتر أو تلك الأوراق.. ولكن تردده أوهمني أن ما بحوزته ربما يكون قد ضاع.. ولكن (أبو الغيث) قطع كل تخميناتي وظنوني فأخبرني في جلسة المراجعة الثانية لهذا الكتاب أن تلك الأوراق كانت تضم قصائد فصيحة وشعبية، وكانت في بيتهم في حُقّ أسطواني من تلك الأحقاق التي توضع فيها الحجج[1]، وعندما حجت الأسرة سنة ١٩٨٧م سُرق ذلك الحُقّ ولم يستطيعوا استرجاعه، ومن الطريف أني كنت ثاني اليوم الذي أخبرني فيه أبو

(١) الحجج: البصائر أو الوثائق.

الغيث ذلك الخبر في دكان يحيى عزي في قلب سوق القناوص أتحدث مع أحد أهل القناوص المهتمين بـ(امناجي) وضرورة توثيق شعره، فأخبرته بما قاله لي أبو الغيث فقال لي: تعرف فلان (واحد من أهل القناوص)؟ قلت: نعم، فقال: هو الذي سرق الحُقّ وكلنا نعرف ذلك، ولكن لا دليل لنا عليه، ولا نستطيع استرجاعه منه، فقد سرقه من المنزلة - وكان في الرف- حين قام الناس لصلاة المغرب، وقد طرحت على بعض الأصدقاء فكرة التواصل مع ذلك الشخص وإقناعه بإخراج ما بحوزته من شعر امناجي فقال لي: إنك إذا طلبته منه سينكر إنكاراً تاماً؛ إذ أن إخراجه للأوراق سيكون سبباً في فضيحة كبيرة له، فسكتُّ متعجباً من هذا المصير المؤسف الذي آل إليه أمر تلك الأوراق ولم أجد بداً من الركون إلى أن المستقبل قد يقيض لها الخروج إلى العلن بأي شكل من الأشكال.

***

فإذا جزمنا أن نصوص امناجي التي قالها في هجاء شحاتة، والرد على النهاري.. وممازحة هلهل، وتحدي الشاعرين الشاميين هي من إنتاج الفترة التي قضاها في القناوص قبل رحيله عنها.. فإن شعر الأربعين سنة الأولى من شعره يكون قد ضاع ضياعاً محزناً.. أما إذا كانت النصوص المشار إليها مما قاله بعد عودته إلى القناوص.. فإن ضياع نتاج الأربعين سنة الأولى من إبداع امناجي يكون كارثة حقيقية.. وهذا يؤكد على:

أولاً: أن شعر امناجي في التصوف والتضرع إلى الله ومدائحه للمناصب والأولياء.. وما قاله من شعر ديني عامة .. قد ضاع.. وهو لاشك شعر كثير.. فكما نعلم أن امناجي كان مقصّداً له صوت حلو. وأنه إلى جانب ما ينشده للآخرين.. كان يلحن شعره وينشده، وهذا ما سيدعوه دائماً إلى إبداع قصائد جديدة استجابة لطبعه، واستجابة لما تفرضه المناسبات المختلفة..

ثانياً: بوسعنا أن نجزم أن الأحداث العامة. المتغيرات الاجتماعية.. والحالات الإنسانية.. كانت من أهم بواعث

القـول عنـد هـذا الـشاعر.. وهـو المتـصل بـسراة النـاس، الـشغوف بـأحوالهم ووقـائعهم.. وأحـداث حيـاتهم.. مـن أعـــراس ومـــآتم وولادات ومقاتـــل.. ومـــشاكل وظـــواهر اجتماعية وسياسية وحتى طبيعية.. نقول جازمين - قياساً على ما توفر من شعره الذي قاله عندما كان في الحديدة:

- فقد عبر عن ذاته.. وناضل في أزمته التي تسبب بها مسعود بقصائد.. مختلفة.
- كما عبر عن موقف من أحداث المجتمع والمنطقة بشفاعاته لذياب..
- وقال في الإخوانيات — كما في قصيدته التي أرسلها إلى صديقه محمد يحيى دهمش.
- وشارك في المثاقفات برده على ابن الحنيش..
- ووثق لكارثة تأريخية هي كارثة فيضان وادي سهام...
- ومدح بعض سراة المجتمع..

وكانت له اهتمامات وطنية نتبينها من النشيد المدرسي الذي أنشأه عندما كان أبناؤه في المدرسة بالحديدة.. وقد وفق فيه إلى درجة لا تصدق حيث يقول:

سمونا فخاراً بأعلى النسب حميد المساعي رضيع الرتب
إمام البرايا عماد العلى سلالة طه خيار العرب
عليه الصلاة بعد الحصى فإن سلامي عليه وجب
علوم الشريعة أحيا لنا وأحيا لنا من فنون الأدب
ولولاه كنا على جهلنا وما كان شخصٌ قرا أو كتب
جزاه الإله بخير الجزا وأعطاه من فضله ما أحب
فطوبى لمن كان في طوعه وتبت يدا كل عاصٍ وتب
فمن طاعه نال كل المنى ومن مال عنه ينال التعب

هذا إلى جانب القصائد التي كان يناقض بها معاصريه ويتحداهم.

وكلها قصائد تنبئ عن طول باعه في الشعر وقدرته على تصريف الكلام وعدم تفويته لفرص القول على اختلافها..

- ولا بد من القول إن ما بين أيدينا من شعر امناجي ثواب يعود الفضل فيه لابنيه (يحيى) و(محمد) وكذلك لابن عمهم (ثواب علي) و(صديق صغير)

و(أبو الغيث ثواب) وتالياً.. أحمد سعد الله.. الذي حفظ من يحيى ومن محمد ومعهم الأستاذ الكبير/ علي الأهدل الذي أظن أنه حفظ عن الشاعر يحيى مناجي، ومعنى هذا أن ما بين أيدينا من شعر امناجي.. هو ما قاله بعد أن كبر أولاده - يحيى بالذات.. الذي كان لصيقاً بأبيه وشبيهاً به في بعض النواحي ومنها قول الشعر والتقصيد حتى أنه كان يشلّ[1] معه عندما كان صغيراً- فيحيى ومحمد يحفظان.. قصائد.. أو مقاطع مما قاله أبوهما.. في قضية سجنه.. وفي وساطته لذياب..

وفي اعتذاره عن العودة إلى القناوص.. وفي هجاء وادي سهام.. والرد على ابن امحنيش.. ومهاجاته لقفلة.. وتبقى المقاطع الصغيرة الطريفة التي كانت بينه وبين هلهل والنهاري أو هجائه لشحاتة.. فيجوز أنه كان يحكيها لأبنائه فحفظوها.. ويجوز أيضاً أن يكون قد قالها بعد

(١) يشل: (الشلة) طريقة جماعية في الإنشاد، والشلالون: مجموعة من المنشدين (كورس) يرددون أبياتاً بعينها إلى جانب المنشد.

عودته إلى القناوص، وبعضها حفظها ابنه يحيى من رواة وليس من أبيه كما يقول.. مثل ممازحته للشاعرين الشاميين.. وهذا يعني أن الممازحة قد تكون حدثت قبل هجرة الشاعر إلى الحديدة.

بمعنى آخر.. فإن ما بين أيدينا اليوم من شعر هذا الشاعر.. هو ما أسلمته الذاكرة من خياناتها واحتفظت به لنا..

ولقد كان امناجي واعياً لقيمة شعره الفنية والتوثيقية التاريخية، وعارفاً بقيمة نفسه شاعراً مجيداً، ووجوداً إنسانياً لطيفاً، وأن ما يقوله من شعر يستحق البقاء والتسجيل، ولذلك كان يحرص على تدوين شعره وإرسال نسخ منه لأكثر من شخص في أسرته كما عرفنا وربما لغيرهم خارجها، مؤكداً على ضرورة حفظ ذلك الشعر، متنبئاً بأنه سيأتي من يكتبه ويوثقه وينشره، وإني لأشعر بالسعادة أن تم ما أمّله ذلك الشاعر الرائع على يدي بعد ما يزيد على خمسة عقود من رحيله.

وهذا التوثيق بمقدار ما يسرنا أنه سيحفظ هذه البقية

من شعر امناجي.. كما سيحفظ خطوط سيرته وتأريخه واضحة إلى حد كبير.. فإنه أيضاً.. باعث على الحزن العميق.. لضياع ما ضاع.. من ذلك الشعر، ومن معالم تلك السيرة.

كما أنه توثيق يطمح أن يكون وخزة تحفز كلّ المحبين لتراثنا من أجل المسارعة إلى توثيق ما تبقى منه قبل أن يلحق بما ذهب..

من خصائص شعر امناجي

١- تعدد الألوان الشعرية

يعد امناجي ثواب من الشعراء الشعبيين الذين لم يتميزوا بطريقة واحدة في القول..

كما أنه لم يقل معظم شعره على طريقة واحدة، فهو ليس مثل بكير الذي أبدع معظم ما بين أيدينا من شعره على منوال واحد.. وبحر متشابه.. إلى حدّ كبير..

مثل قوله:

حَـثّ الْبَـرْقْ وْلَـهْ مَـاطِرُ يْجُـودْ مِـنْ جَـانْبَينْ

وقوله:

يَـومْ الْخَمِـيسْ طَلّيَـهْ فَـرْعَ امْقَنَـاوِصْ دَكَـمْ

وقوله:

الْخَـنْ عُـودُ وَاحْـدُ لَمَـا وْقِـدْ شِـي دْخَـنْ[٣٣٩]

(٣٣٩) الخن: اسم رجل. لما وقد شي دخن: إذا لم يشتعل ارتفع دخانه. والمقصود أن الخن رجل شجاع له فعال كبيرة ومشهورة إذا لم ير الناس أفعاله سمعوا =

وقوله:

يَـــا أَرْضْ يَـــا غَرُورِيْـــهْ كَمَّـــا ثْـــشِنْ لَفْلِفِـــي[٣٤٠]

وقوله:

عَيْنِـــي ثْخِيْـــلْ مَـــاطِرُ عَلَـــى دِمَـــشْقْ الْعِـــرَاقْ

وغيرها.. مما يمكننا أن نقول إن بكيراً.. كان محكوماً بالنغم الصوتي (التطويح)[٣٤١] الذي كان يقول من خلاله شعره.. فمن المعروف أن بكيراً كان يغني شعره في طقوس أسطورية غريبة[٣٤٢] وعلى صوت الناي (القصبة).. وهذا

بها.

(٣٤٠) غروريه: غرارة. كما تشن لفلفي: اقبري وابتلعي من خيار الناس كما يحلو لك.

(٣٤١) التطويح: عزفٌ على الناي يعزفه الرعاة، ويُعْزف لبعض المغنين الشفاهيين مثل امبارك بكير، والرامي ممن يتهيجون بالموسيقى فيرتجلون الشعر، ويستبصرون المغيبات، ويتنبأون في طقوس أسطورية غريبة.

(٣٤٢) كان بكير في أكثر ما يروى عنه يهيئ نفسه للشعر بعزف مخصوص (تطويح) على القصبة يعزف له، وكان الناس يتحلقون حوله فيما يدور هو حول القصاب أو يدور في المكان متكئاً على عصا أو يدور على عمود كبير من الخشب مغروس في الأرض إن كان في مخدرة أو يدور حول جذع شجرة، وتذكر الروايات حالات من الانفعال كانت تنتابه حين يغني ، منها أنه كان بين =

يفسر زيادة الشطرات الموزونة غير المقفاة التي ربما كانت ناتجة عن التصرفات الصوتية والنغمية.. إذ المعروف أن المغني قد يعوض الكلام بلوازم صوتية، فقد كان بكير يكرر لازمة الملالاه بشكل مستمر:

وولاه ولاه وولاه
ووولاه والاه لاه

وهي تؤدي نفس الغرض الذي تؤديه:

وونـــــــا ونـــــــا آه وانـــــــا
وونـــــــا ونـــــــا آه وانـــــــا

التي اشتهر بها سود معمى الذي ينشد فيما أصابعه توقع على تنكة.

إلى جانب ذلك نلاحظ.. أن بعض الأبيات تطول أحياناً.. أو تقصر، وهذا سببه الارتجال والبحث عن الكلام، وهذا ما سنفهمه جيداً حين نمعن في الاستماع إلى شعراء حفظت لنا الأشرطة غناءهم.. مثل سود معمى، ويوسف خبش.. مع الاختلاف طبعاً..

الفينة والأخرى يتبردق (يتناول البردقان/الشمة) ويزفر ويبصق إلى آخره.

قال امناجي ثواب بعض شعره على نفس النفس والإيقاع والطريقة التي عرفناها عند بكير (المطوح).. خاصة في قصائده.. التي تشفع بها للعبد ذياب:

ابْنَ الْقَوْزْ يَا مُعْتَبَرْ يَا رَيتْ عَيْنَكْ تْحِيْدْ
ذِيَابْ ذِيْبَ امْحَزَرْ وهُوْ فِي الْعَذَابْ الشَّدِيْدْ

وكذلك:

ابْنَ الْقَوْزْ وَاعَدْتَّنَا وْوَعْدَكْ ثْمَادَى وْطَالْ
لاَ شَكّ إِنَّكْ نْسِيْتَنَا مَا ادْرِي ثْرَاخَى امّقَالْ

وكذلك:

يَا طَيْرْ لَنْتَ مْسَافْرُ مْعَاكْ شَرْسِلْ جَوَابْ
إِلَى الَّذِي بْزَنْدِيَهْ وْيَقْرَحْ بْيَومَ الدُّؤَابْ

فبإمكان القارئ أن يقرأ تلك النماذج ويقرأ معها.. قول بكير:

شَيْبِهْ وْذَا الضُّرْ يَفْعَلَهْ لاَ حَيّ مِنْ ذَا الْمَرَضْ[٣٤٣]
وَانْقَطَعَ الْمِشْي وَالْمْيَاسَرَهْ وَلاَ صَلِيْحَ اعْتَرَضْ[٣٤٤]

(٣٤٣) شيبه وذا الضر يفعله: رجل شائب ويفعل مثل هذه الفعال الضارة. لا حي من ذا المرض: لا شُفِي من مرضه.

(٣٤٤) وانقطع المشي والمياسره: انقطعت العلاقة ما بيني وبينه. =

الفارق بين امناجي وبكير هو أن قصائد امناجي تسلم من طول بعض الأبيات وقصر بعض آخر، وتسلم من وجود الشطرات الموزونة الغير مقفاة[٣٤٥].. كما تسلم مما يفعله بكير وغيره من الشعراء المغنين الذين قد يستعملون الأحرف المتقاربة المخارج في القافية الواحدة؛ مثل قول بكير:

سُبْحَانْ مَا امْعَقْيِلِي اللّه اطْلَعَهْ[٣٤٦]

يَاذَا عَلَى ذَا قِدِرْ[٣٤٧]

نَنْظُرْ سَنَا امْسَوْدِيْهْ[٣٤٨]

كُلّ مَا حِدْنَا ذَنَا نَايْطَهْ[٣٤٩]

ولا صليح اعترض: ولا أرضى لأحد أن يصلح ما بيننا.

(٣٤٥) يروي شوعي عبده حنش القصيدة الأولى من قصائد امناجي في الشفاعة لذياب، فيورد فيها بيتاً بشطرة زائدة ولكنها مقفاة بقافية صدر البيت، وهي:

ذياب عندي استقر وقلي بكل امخبر

وكثر امحكى ما يفيد

ولم يأتِ بهذه الرواية أحد غيره، ولعلها وهمٌ من الراوية أو ممن روى له.

(٣٤٦) سبحان ما امعقيلي اللّه اطلعه: سبحان اللّه الذي أعاد العقيلي سالماً.

(٣٤٧) ياذا على ذا قدر: كيف قدر هذا الضعيف على ذلك المتمرد الجبار.

(٣٤٨) سنا امسوديه: إلى السوديه (أرض إلى الشرق من القناوص).

(٣٤٩) كل ما حدنا ذنا نايطه: كل ما رأينا دابة تتحرك.

قُلْنَـــــــا امْعَقِيْلِـــــــي وْصِـــــــلْ

حيث نلاحظ أن البيت الثاني أطول من الأول.. إذ زاد الشاعر بعد الشطرة الأولى شطرة غير مقفاة قبل أن يأتي بعجز البيت، كما نلاحظ أن قافية البيت الأول (الراء) فيما قافية البيت الثاني هي (اللام). ومثل هذا كثير عند سود معمى ويوسف خبش. كما أنه موجود أيضاً عند شعراء آخرين مثل سي شعيب الأهدل، وعلي باري.. وهو يوجد عندهم.. لأن الغناء والتنغيم ومد الصوت والارتجال.. تؤدي إلى طول بيتٍ أو قصر بيت، كما أن الأمية الشديدة هي سبب الخلط بين الحروف في القوافي، إضافة إلى أن تقارب المخارج يجعلها مستساغة ومقبولة. وهذا ليس موجوداً عند امناجي؛ لأنه (مثقف) وإن كان أمياً، فهو لا يخلط بين الحروف.. كما أنه لهذا السبب ولحاجته إلى الإلقاء.. يحافظ على أوزانه سليمة.

مثل قصائد.. الشفاعة لذياب.. نجد قصيدتين من القصائد التي قالها في هجاء مسعود.. وفضح نذالاته وجرائمه.. منسوجتين على بحر بكير المشار إليه سلفاً،

وهما القصيدتان اللتان بدأهما.. بقوله:

مَـــسْعُودْ رَبِّـــي يَخْـــذِلَكْ وْيَكْـــشِفَكْ يَـــا جَبَـــانْ

وقوله:

دَعَيْـــتْ رَبِّـــي وْجَابَنَـــا امَّظْلُـــومْ دُعَـــاهْ يُـــسْتَجَابْ

أما القصيدة الثالثة التي قالها على لهجة أو طريقة أصحاب عبس فيتغير وزنها وبحرها، وكذلك نفسها، فهي من بحر ووزن الطارق ولكنها ليست طارقاً؛ فهي تخلو من التجنيس اللفظي والمعنوي الذي يميز الطارق، كما أنها ليست طَرْقاً ورداً يجري على العادة المعروفة في الطارق[٣٥٠]، وهو لاشك جارى بها نماذج كان يحفظها من شعر تلك المنطقة..

❖ ❖ ❖

(٣٥٠) يعد الطارق من أهم ألوان الشعر الشعبي (الشفاهي) في تهامة، ومناطقه: تهامة الشام من القناوص والصليف في محافظة الحديدة حتى حلي بن يعقوب شمال جيزان وجزر فرسان في البحر الأحمر. والطارق: فن غنائي شفاهي يرتجله الجمّالة والسامرون، ويقال في المناسبات، وقد يصحبه عزفٌ على الناي أو المزمار وقد لا يصحبه، ويتميز الطارق بالتجنيس اللفظي والمعنوي في الطرق (البدء) والرد (الجواب).

إضافة إلى هذين اللونين كتب أيضاً.. في اللون المشهور بالشعيبي.. وذلك في خمسة نصوص: النص الذي هجا به شحاتة، والنص الذي تندر به على حمادي، وثلاثة من نصوصه التي هاجا بها قفلة.. وفيها يظهر تمكن امناجي من القول في هذا اللون، وتفوقه فيه؛ يدل على ذلك ذكره بعض مصطلحاته التي لم ترد في شعر غيره ولا أوردها الموثقون على حد علمي، مثل الشّكِيل؛ والمقصود به الشطرتان اللتان تمثلان صدر البيت وعجزه، ويتوسطهما الزنجير. وهو يدرك جيداً مقدار إجادته هذا اللون فيقول في مطلع قصيدة تحدّى بها القفلة:

لاَ امَّقْفَلِـــي شَـــاعِرْ وْيَـــتْحَكَّمْ وْلَـــهْ سَـــطْوَهْ فِيْـــهْ
قُلْ لَهْ يَتْبَعَ امْشْكِيْلْ وَامْزَنْجِيْـــرْ وْيَـــتْحَكَّمْ عَلَـــى قَوَافِيـــهْ

كما يؤكد على قوة إبداعه ومدى انضباط أوزانه وقوافيه وشطراته فيقول في قصيدة أخرى أرسلها مع سالم مدوري إلى القفلة متحدياً:

بِاللّه يَا سَالِمْ تَسْأَلَ الْبَلِيدَ الأَغْشَمْ فِـي ذَا الـنَّظْمْ مَـا يْقُـولْ
كَلاَمِي مِثْلَ امْنَقْرْ فِي حَجَرْ صَمْ
يَتْأَمَّـلَ امْخَـطّ وَامْحَـرُوفْ وَامَّرْسَـمْ لاَ يَقْـــصُرْ ولاَ يْطُـــولْ

ومَـــا حَـــدْ مثْلِـــي إِذَا تْكَرْسَـــمْ

❖ ❖ ❖

وفي الوزبة كما يسميها أهل يُمِّنْ من تهامة أو الزملة كما تُسمى في الشام من تهامة.. قال امناجي نصين من نصوصه التي بين أيدينا هما.. النص الذي هجا به وادي سهام حين فاض واجتاحت سيوله مدينة المراوعة[٣٥١]، وفيه يقول:

خَيَّلْـــتْ بَـــارِقْ أَرْعَـــدْ ... يَلْمَـــعْ وَاقْـــدَهْ وْقِيْـــدْ[٣٥٢]

لَمَّـــا لَمَحْـــتَ امَّرْعَـــدْ ... هَـــزَّ الأَرْضْ بَامْرِعِيْـــدْ[٣٥٣]

قُلْـــتْ وو رَبِّ اشْـــهَدْ ... سَـــهَامْ نَـــاوِيْ يْزِيْـــدْ[٣٥٤]

سَـــهَامْ جَـــاوَزْتَ الْحَـــدّ ... عَـــسَى جَـــالْسُ عَنِيْـــدْ[٣٥٥]

تَهْجُـــمْ بِـــلاَدْ الأَمْجَـــدْ ... الأَهْـــدَلِيّ الـــصِّنْدِيدْ[٣٥٦]

---

(٣٥١) لعله السيل الذي حدث في أربعينيات القرن العشرين.

(٣٥٢) واقده وقيد: وهجه وهجٌ شديد.

(٣٥٣) امرعد: الرعد. بامرعيد: بالصوت القوي القاصف الذي يهز الأرض.

(٣٥٤) ناوي: عازم.

(٣٥٥) عسى جالس عنيد: أما زلت على عنادك.

(٣٥٦) بلاد الأمجد: يقصد مدينة المراوعة. والأهدلي: يقصد به الولي الكبير أبو =

وَلاَ تْأَسِّـــفْ مِـــنْ حَـــدْ ودَّفِّـــنْ بِـــلاَ لْحِيْـــدْ[٣٥٧]

مْكَـنَّكْشْ مَـورْ الأَسْـعَدْ اللِّـــي زَايْـــدَهْ يزِيـــدْ[٣٥٨]

فِـي أَرضْ هَـادِي بْـنَ احْمَـدْ يَـــدْفَعْ يَومْيِـــهْ جِدِيـــدْ[٣٥٩]

وْسَـــرْدُودْ كَـــامْبَحْرْ وْمَـــدّ اسْـــأَلْ دَحْمَـــانْ وَامْعَبِيـــدْ[٣٦٠]

اللِّـــي امْظُـــرُوفْ مَـــا تَعْتَـــدّ وَاخْـضَرْ يَومْيِـهْ امْنَـصِيدْ[٣٦١]

الحسن علي بن عمر الأهدل، المتوفى في النصف الأول من القرن السادس الهجري.

(٣٥٧) ولا تأسف من حد: ولا تعير اهتماماً لأحد. ودّفن بلا لحيد: وتجرف الناس فتقتلهم وتدفنهم بلا قبور ولا لحود ولا شعائر دفن.

(٣٥٨) مكنكش مور الأسعد: ألا تقتدي بوادي مور السعيد (مكنكش: كأنك لا تشبه). اللي زايده يزيد: الذي يزداد كل يوم قوة في سيله.

(٣٥٩) في أرض هادي بن أحمد: يقصد بلاد الواعظات والزهرة وما جاورهما في وادي مور. يدفع يوميه جديد: يسيل كل يوم سيلاً جديداً. وهادي بن أحمد هو: هادي هيج، وقد تقدمت ترجمته.

(٣٦٠) وسردود كامبحر مد: ووادي سردود بسعة البحر بل هو أكبر من البحر. اسأل دحمان وامعبيد: دحمان: لعله أحد الملاك الكبار في وادي سردود إبان النصف الأول من القرن العشرين. وامعبيد: هم العبيد الذين يعملون معه.

(٣٦١) اللي امظروف ما تعتد: الذين لا يمكن عدّ الظروف التي يملؤونها حباً من محصول أرضهم في وادي سردود. واخضر يوميه امنصيد: والعجور الأخضر متوفر يحصد كل يوم على مدار العام.

شَاكْتُبْ سنَا السّيفَ احْمَدْ يْكَلِّفْ سْكَكْ حَدِيدْ[٣٦٢]

وْعَلَى سْهَامْ يَجْرِي الْحَدّ صَبْحَهْ وَالْمَلاَ تْحِيدْ[٣٦٣]

ويْرِدّ سَيْلَكْ صَعَّدْ لَمَّا مْدِينْةَ الْعَبَيْدْ[٣٦٤]

عَلاَكْ نَعْلَهْ مُؤْبَدْ وْنَعْلَهْ ثَانْيَهْ تْزِيدْ[٣٦٥]

مَا دَامْتَ اللَّعْنْ يْجَدْ تَلْعَنْ يَومْيَهْ جْدِيدْ[٣٦٦]

وإيقاع النص المنضبط.. واكتمال بنائه من حيث الملفوظ والصورة ، وروح امناجي وقدرته على التشخيص تجعلنا نأسف لعدم وجود نصوص أخرى له في هذا اللون سوى النص الناقص الذي ردّ به على (قفلة) صاحب

(٣٦٢) شاكتب سنا السيف احمد: سأكتب إلى سيف الإسلام أحمد (ولي عهد اليمن آنذاك).

يكلف سكك حديد: يأمر ببناء سدود حديدية تحصر مجرى وادي سهام.

(٣٦٣) وعلى سهام يجري الحد: ويقيم الحد الشرعي على سهام لما فعله بالمراوعة. صبحه والملا تحيد: في وضح النهار وأمام الملأ.

(٣٦٤) ويرد سيلك صعد: ويرجع سيلك إلى الوراء شرقاً.

لما مدينة امعبيد: إلى مدينة العبيد (مدينة الشرق) وهي مدينة في آنس محافظة ذمار.

(٣٦٥) علاك نعله معبد: عليك لعنة أبدية. ونعله ثانية تزيد: ولعنة أخرى زائدة عليها.

(٣٦٦) ما دامت اللعن يجد: ما دام اللعن موجوداً.

تلعن يوميه جديد: تلعن كل يوم لعناً جديداً.

المراوعة، ومنه:

لَمّقْفَلِـــــــي يَتْقَّـــــــدْ مَـــا سَـــمَّى الأَسَـــدْ رُبَـــاحْ

❖ ❖ ❖

أما اللون الذي انقال فيه شعره وشعر النهاري عندما اشتبكا بسبب ابنة الهميس:

صَـــــنَّ امْرِيَـــــالَ امْفَرَانْـــــصِي
فِـــي يْـــدَ امْكَيَّـــالْ امْقَنَاوْصِـــيْ
وْصَـــنَّيْنَا عِـــشْرِينْ مِـــنْ صَـــنِينَهْ

ومثله الشعر الذي قاله يتحدى به الشاعرين الشاميين:

أَسَـــــــرْتْ مَأْسُـــــــورْ مِـــنْ أَسِـــيْرِ الأَسْـــرَى
عَـــسَى مَـــنْ أَسَـــرْ أَسِـــيرْ اسْتَأْسَـــــــــــرْ
عَـــــصَاةْ امْأُسَـــــارَى عَـــــصَاةْ عِـــــشْرِينْ

والرد الذي قاله هو أيضاً حين عجز الشاعران الشاميان عنه:

إِنْ كُنْـــتْ مَأْسُـــورْ بَعْـــدْ عُـــسْرَكْ يُـــسَرَى
أَسْـــــــرَ الْعُـــــــسْرْ بَالْيَـــــــسِيرْ
رْصَـــاصْ امْنْـــصَارَى امْدَسْـــتْ عِـــشْرِينْ

فأحتاج إلى البحث عن نماذج تعين على تصنيفه.. وتسميته، ويبدوا أنهما - أي امناجي والنهاري- كانا يقولانه كثيراً في مناجماتهما..

وإن كنت أحفظ مما دونته للشاعر المدهش صغير ماطر صاحب كعيدنة[٣٦٧]، والذي توفي بعد منتصف الستينيات من القرن العشرين.. برواية علي إبراهيم العبد[٣٦٨] من دوغان شعراً على هذا الوزن.. من مثل قوله:

جْهَيْلْ بَيَّنَا مَا ثْمَنَّيتْ[٣٦٩]
لْتَامِسْ عَلَى ضْحَايَةَ امْقُرَيْشِي هَنَّيتْ[٣٧٠]
يْتَيتْ لَمْتْجَارْ مَقْصِينْ[٣٧١]

---

(٣٦٧) كعيدنة: مديرية من مديريات حجة، تقع بين التهائم والجبال، غربها مديرية عبس، وجنوبها مديرية بني قيس، ومن شمالها مديرية أسلم، ومن الشمال الشرقي مديرية القفل، ومن الشرق مديرية الشاهل.

(٣٦٨) علي إبراهيم العبد: من دوغان، عمره يتجاوز السبعين عاماً، تم التوثيق في بيتنا بالجيلانية يوم ٢٠٠٤/١٢/١٠م.

(٣٦٩) جهيل بينا ما تمنيت: أيها الفتى أخبرني ما تمنيت.

(٣٧٠) لتامس: ليلة أمس. على ضحاية امقريشي: بستان القريشي (الفل) أو المكان الذي يجلب إليه القريشي. هنيت: ذهبت أنظر.

(٣٧١) يتيت: أتيت؛ والمقصود هنا وجدت. لمتجار: إلا والتجار. مقصين: مُغلين (يبيعونه غالياً).

وو رَاعْـيَ امْطَـرِي يْحِـينْ جَنَيـتْ[٣٧٢]
إلاّ وا كَـاذِي شُـبَاطْ بَعْـدَكْ جَنّيـتْ[٣٧٣]
هَبَيْتْ فِـي امْقِطْفَـهْ ميـا وْخَمْسِينْ[٣٧٤]

---

(٣٧٢) وو راعي امطري: يا صاحب الطري (الطري: المقطوف في حينه). يحين جنيت: متى جنيت زهورك.

(٣٧٣) إلا وا كاذي شباط بعدك جنيت: يا لك من كاذٍ. بعدك جنيت: جننت بك. (والكاذي هو: شجر لا ينمو إلا في الوديان الدافئة أو الحارة، ويبلغ أحياناً مبلغ الدوح، وساقه الأساسية —أي الجذع- لا تكون طويلة، بل تتفرع منها الفروع من قرب الأرض وتطول عارية كجذوع النخل، وتتفرع من أعلى فروعاً مورقة بأوراق طويلة تبلغ أكثر من ذراع، فيشبه كل فرع النخلة الصغيرة. ورغم حسبانه من الفصيلة النخلية إلا أن أوراقه أغلظ وأقسى، وهي مدحجة بشوك قوي على حوافها وفي العمود الذي يتوسط كل ورقة.
وهو شجر عطري لا يزرع الآن إلا من أجل غرره (عذوقه) التي تكون في وسط فروعه، وهي غرر مستطيلة على شكل كوز الذرة الشامية إلا أنها أطول، تكون مشكلة من أوراق مضاعفة متضامة في قلبها سنبلة من الطلع مثل سنبلة الذرة البلدية الخالية من الحب، وتسمى هذه الغرة (القبوة —قبوة الكاذي-) وهي الغاية من استزراعه، والناس يطلبونها على مشقة الوصول إليها بسبب الشوك والخفاء، ففيها تتجمع الرائحة العطرية الزكية التي يحبها الناس، وهي من المشاقر المحببة عند رجال القبائل والأرياف، كما توضع القبوة في صندوق الملابس أو بين الثياب أينما كانت فتكسبها رائحة جميلة، وتجف الأوراق فينزعونها عن الطلع الذي تظل رائحته فواحة لمدة إضافية أطول. وهكذا تظل القبوة ثم طلعها فواحة على الملابس بعطرها لمدة عام إذا كانت في صندوق مقفل، وفي الماضي كان يستخرج من الكاذي بعض أنواع العطور والدهون المفيدة. وللناس فيها مقولات وأغان، وتُشبّه الفتاة الجميلة عطرية الأنفاس صعبة المنال بقبوة الكاذي)، (المعجم اليمني في اللغة والتراث، مطهر الإرياني، ص٧٦٦، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦م).

(٣٧٤) هبيت: دفعت. في امقطفه: القطفة هي ورقة من أوراق زهرة الكاذي =

ومثل قوله:

وو فَـارْقَ الحُـبّ مَـا ابْعَـدَكْ[٣٧٥]

لَتْغَرّبَ امْجِبَالْ بْكَـانِي بَعْدَكْ[٣٧٦]

خَـلاَصْ ذَاكْ نَـا وَرَاكْ تُبْـتْ[٣٧٧]

❖ ❖ ❖

أما الدِّلْعْ فلا أشك أن امناجي كان ذا باعٍ طويل فيه وإن كانت ذاكرات الرواة لم تحفظ لنا غير دِلْعِهِ الذي قاله يتحدّى به الشاعرين الشاميين حين قالا له - بعد أن تحداهما بشعر لم يستطيعا الرد عليه: (هب لنا على دَلْبتنا)؛ أي على أسلوبنا، فقال:

قُـلْ لأَهْـلَ الـشِّعْرْ يُـسْرَا لَامْأَسِـيْرِ

صفراء اللون، وقوله هنا في امقطفة من باب ذكر الجزء والمراد الكل. ميا وخمسين: مائة وخمسون.

(٣٧٥) وو فارق الحب ما ابعدك: يا من فارقت حِبَّكَ (من يحبك) ما الذي أبعدك.

(٣٧٦) لتغرب امجبال مكاني بعدك: لو ذهبت حتى آخر الجبال سأظل أتبعك (غرّب الشيء: اجتازه).

(٣٧٧) خلاص ذاك نا وراك تبت: كما ترى فأنا وراءك لا شغل لي سواك.

امْعَبْـــــدْ وَامْعَرْبِـــــي إِذَا هُـــمْ أَهْـــلْ أَيْـــرِي
يْبِيْـــتْ وَاحِـــدْهُمْ فَرِيـــدْ
أَمّـــــا أَجَـــــابُونِي عَلَـى مَـا فِـي ضَـمِيْرِي
وْالاّ مَمْنُـــــــــوعْ امْجَـــــــــــلاَزْ
حَتَّـــــى انْثْـــــشَارَعْ عِنْـــدْ عَبْـــدَ اللّٰهْ الْـــوَزِيْرِ

والمعروف أن الدّلْع من أجمل ألوان الشعر الشعبي في تهامة، وشعراء القناوص عادة ما يجيدون هذا الفن، ولعلّ آخرهم الشاعر محمد ناصر عقيلي (الأقطع)[٣٧٨] الذي ما

(٣٧٨) محمد ناصر عقيلي: شاعر من القناوص كان مقطوع اليد وكان دائماً يدمّ في المحاضر والمناسبات ويبدع أجمل الدلوع. واشتغل منذ الثمانينيات مراسلاً أو ساعياً في محافظة الحديدة ولعله ما يزال إلى اليوم.
ومن الحكايات الطريفة التي تتعلق بدلوعه ذلك الدلع الذي قاله عند قيام الثورة حين وصل الجايفي إلى القناوص يقود جيشاً متجهاً إلى الحدود الشمالية، فوقف تحت عرج لبني كحيل، ولعب الناس أمامه يقودهم محمد ناصر عقيلي وهو يقول:

نـــابتي والجـــايفي يـــسحب لـــشايم
يـــسحب القـــوات يـــسحب امكـــاين
واملاقـــــه بـــــو عـــــريش
والـــسعودي تالـــسنه لا بـــد منـــه

وبعد عشرين عاماً دخل رجل من القناوص شديد السمرة إلى السعودية أيام كان الناس يدخلون بمرور، ثم يحصلون من هناك على الجواز والإقامة، وكان =

الجايفي قنصلاً أو سفيراً هناك، فدخل ذلك الرجل يريد جوازاً، فقال له الجايفي: ما يدريني أنك يمني ربما كنت سودانياً أو حبشياً؟

فقال للجايفي: أنا سوداني أو حبشي؟! نسيت وقفتك في القناوص تحت عرج بني كحيل وأنا ألعب ومحمد ناصر عقيلي الأقطع يعرض أمامك ويقول:

نـــابتي والجـــايفي يـــسحب لـــشايم

فقال الجايفي لموظفيه: اعطوه بدل الجواز جوازين.

ومن دلوع محمد ناصر عقيلي:

بعـــد ضـــرب الهـــون ناجتنـــا صـــوارخ
قمـــت نـــص الليـــل واتـــسمع قـــوارح
هـــــــام عقلـــــــي وافتكـــــــر
نزلـــوا القـــوات مـــن مـــصر الجديـــده

وقوله:

خيّلـــت براقـــاً علـــى مطـــار ســـاقي
مـــن علـــى صـــنعاء يـــساقي بـــالعراقي
مـــن يـــشا امـــساقي يمنـــع في زبـــيره

وقوله:

نـــابتي وامـــذيب يـــشكي مـــن غليبـــه
ويقـــول لـــي والله لاجـــبي لـــك مـــصيبه
واعـــــدمك مـــــن تـــــا الـــــبلاد
وتـــــشب النـــــار وتقـــــوم القيامـــــه

وقوله:

نـــابتي الـــسلال مثـــل امـــذيب يعـــدي
هـــدّد المـــدفع وقـــام الجـــيش بعـــدي

=

يـزال علـى قيـد الحيـاة يعمـل مراسـلاً في إدارة محافظـة الحديدة.

❖ ❖ ❖

كما كتب امناجي على إيقاع الشامية، وليس لدينا من شعره في هذا اللون إلا البيتان اللذان قالهما في الرد على النهاري:

اتْبَـــعْ غَرِيْمَـــكْ وْمُوتُـــوا سْـــنَابْ
وجُرّتَـــــكْ مَـــــا أَتَـــــنْ بَـــــابِيْ
وْغَيْـــرِي الَّـــذِي فَتَّحُـــوا الأَسْـــبَابْ
وْعِرِفْـــتْ مَـــا تَبْـــدَأَ الاّ بِـــيْ

اهجمـــــــــــوا دار الإمـــــــــــام
تـــا الـــسنه للبـــدر لازم قطـــع راســـه

وقوله من دلع ناقص عند الراوية:

قـــوم يـــا ســـلال وارفـــع مـــن تهامـــه
قبـــل مـــا يجيلـــك هنـــا جـــيش الإمامـــه

(المعلومـات مـن عبـده طـاهر عقيلـي، التقيتـه في منزلتنـا بالجيلانيـة بتـاريخ ٢٠٠٥/٤/٥م).

والشامية فن شعري، وفن من فنون الرقص، والشاعر يغني شعره غناءً مرتجلاً على إيقاعاتٍ وطبول، وفيها رسم وردٌّ (بدءٌ وجواب)، شأنها شأن الطارق إلا أن الشاعر فيها قد يلتزم بالتجنيس وقد لا يلتزم.

وموطن الشامية الأجمل شعراً والأثرى إبداعاً وادي مور، ومن أشهر شعرائها الشيخ امحمد عمير[٣٧٩]، ومصلح هادي[٣٨٠]، ويحيى الجوهري[٣٨١]، وبوعشن[٣٨٢]، ولهم نصوص أبدعوها في مواقف مشتركة بينهم لا أروع منها

---

(٣٧٩) امحمد عمير شامي من (امقنمه)، وأسرته من الجراديه؛ المناطق المجاورة لصامطة ولكن جده قَتَل هناك قتيلاً وهرب إلى مور قبل ثلاثمائة سنة، واليوم أكثر أفراد قبيلته في القسم التهامي الذي تحكمه السعودية. وكان امحمد عمير شجاعاً مهاباً، حتى أنه كان إذا غضب فإن شعر رأسه يقف فيرمي الكوفية عنه.

وكان إلى ذلك شاعراً كبيراً يقول في عدة فنون شعرية على رأسها الشامية، توفي في ستينيات القرن العشرين.

(٣٨٠) مصلح هادي عمير شامي ابن عم الشيخ امحمد عمير شامي من (امقنمه) غرب الزهرة، توفي تقريباً عام ١٩٦٤م بين السبعين والثمانين من عمره تقريباً، وكان متيناً، مربوعاً، أحمر اللون، لا يلبس على رأسه أي شيء، ولا يلبس الحباطه (الحزام)، وكل أراضيه وثرواته كان يتمتع بها؛ يتزوج ويخزِّن.

(٣٨١) يحيى محمد جوهري شامي (ابن عم مصلح هادي) وقد توفي سنة١٩٩٠م.

(٣٨٢) بو عشن: من شمال (الناشريه) تاريخ وفاته غير معروف.

ولا أجمل[٣٨٣].

❖ ❖ ❖

(٣٨٣) وهذا مثال لما قالوه:

عمير:

جرمـــــل نـــــزل طبعـــــه همـــــداني
بـــــو مقـــــصبين مـــــا افْرُقُـــــه أبْـــــداً

مصلح:

مـــــا قـــــصر مـــــن بيتهـــــا دانـــــي
ولا يـــــــشبه القـــــــاهره سَـــــــعْدَنْ

بو عشن:

أمـــــــشي توكـــــــا بعيـــــــداني
فَتْقـــــاطعن بـــــي امنمـــــورا عْـــــدَنْ

عمير:

مـــــا خـــــافْ مِـــــنْ كَـــــانْ يعـــــداني
ضـــــباط مـــــن تركيـــــا هـــــدّنْ

مصلح:

وضـــــابط مـــــن امقـــــصر نـــــاداني
بـــــدي صـــــله خيمتـــــه بعـــــدن

بو عشن:

ومنظمـــــــه بـــــــلاف مردانـــــــي
خـــــرّج بهـــــا العـــــصر قومنـــــدن

كـذلك قـال امنـاجي شـعراً علـى لـون الطـارق، ومنـه البيتان اللذان قالهما في مدح الناخوذة جابر حُبَرْ:

الطرق:

يَـا رَاكْ فِـي وَادِيْ الْمُـسَمَّى وَدِي رَاكْ
مَـا قَـطّ يُوجَـدْ عِنْـدَنَا رَاكْ مِنُّـهْ

الرد:

جَـابِرْ حُبَـرْ شَـاحِنْ زَعَـابِرْ وَدِيْـرَاكْ
وَارَى امْحَمَالَـهْ عِنْـدَنَا رَاكْمِنُّـهْ

❖ ❖ ❖

أما قصيدة امناجي في الرد على ابن امحنيش فقد جاءت من بحر الوافر.. وقد تقصّد امناجي مجاراة ابن الحنيش في بحره كما هي طبيعة القول في هذه الأحوال المتعلقة —خاصة- بالردود والمعارضات.

❖ ❖ ❖

والخلاصة أن امناجي الذي تميز بالخلط بين العامية والفصحى.. وكان عنده طموح في تثقيف لغة قصيدته.. قد فعل ما يفعله اليوم الشعراء الشعبيون.. من خريجي الجامعات.. من حيث تعدد الخيارات، والكتابة في أكثر من

لون شعبي.

أليس هذا ما يفعله الشاعر الأكثر شهرة اليوم على مستوى اليمن كلها.. أقصد الشاعر أحمد سليمان.. الذي صارت اختياراته من الألوان الشعرية واللهجات المختلفة ميزة.. جعلت طريقته تُقلّد، وتصير لوناً له ملامحه الخاصة.. هو اللون السليماني؟؟

❖ ❖ ❖

٢- القدرة المدهشة على التصوير

إلى جانب السمات السابقة التي تميز بها شعر امناجي ثواب.. تستلفتنا في شعره قوة التصوير التي توحي كما قدمنا غير مرة بقوة الموهبة كما تعبر عن قدرة هائلة على السخرية.. والرسم الكاريكاتوري، ولعلّ أهم ملمح بلاغي يتكرر في قصائده ويفجر دِلالاتها وإيحاءاتها.. ما يسمى في علم البديع.. بالجمع والتقسيم.. وكذلك ما يسمى في علم البديع أيضاً.. بتعليق الشرط..

والمقصود بالجمع والتقسيم.. هو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، كقول المتنبي في سيف الدولة:

حتــى أقــام علــى أربــاض خرشــنة

تــشقى بــه الــروم والــصلبان والبيــع

للسبي مـا نكحوا، والقتل مـا ولـدوا

والنهـب مـا جمعـوا والنـار مـا زرعـوا

فقـد جمـع في البيـت الأول شـقاء الـروم بالممـدوح علـى سبيل الإجمـال؛ حيـث قـال: تـشقى بـه الـروم، ثـم قـسم في البيت الثاني وفصل ألوان شقائهم به..

وعلى هذا المنـوال مـن الجمـع ثـم التقسيم قـال امنـاجي في هجاء مسعود:

عَلَيْـــكْ نَعْلَـــهْ تَتْعَلَـــكْ مِـــنْ فُـــوقْ مَلْيُـــونْ لِـــسَانْ

نَعْلِـــهْ لْبَيْتَـــكْ وْلَـــكْ وْنَعْلِـــهْ تْمَلِّـــي امْبْكَـــانْ

ونَعْلَـــهْ لْعِرْقَـــكْ ومَفْـــصَلَكْ ونَعْلَـــهْ لْجَـــدَّكْ زَمَـــانْ

فقـد جمـع في البيـت الأول لعـن مهجـوّه بمليـون لـسان.. على سبيل الإجمال.. ثم قسم اللعنات في البيتين التاليين.. للمهجو ولبيته، والمقصود به زوجته وأولاده، وللمكان الـذي يعيش فيه.. وعرقه ومفصله.. وجده القديم أيضاً..

وهو أسلوب في اللعن لم يتفنن فيه أحدٌ على حد علمي

كما تفنن امناجي ثواب..

حتى البهاء زهير الذي تندر الناس زمناً ببيتيه المشهورين:

لعن الله صاعداً وأباه فصاعدا

وبنيه فتازلاً واحداً ثمّ واحدا

فإنه دون امناجي في سخريته وتصرفه وخفة دمه.. وكاريكاتوريته..

وقد استعرضت في الموسوعة الشعرية أكثر من مائة وثمانية شعراء، عاشوا في أزمنة مختلفة؛ تمتد من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع عشر، وكان أكثرهم جمالاً وظرفاً وطرافة.. ابن الرومي الذي يقول:

لعن الله خالدا بادئاً ثم عائدا

وابن دريد الأزدي الذي يقول:

لعن الله حيث ظل وأمسى لعنة عبؤها محطوط

وكذلك ابن كمونة في قوله:

عليه من إله الناس لعن وبيل ما حوى البيداء ركبُ

وقوله:

لعـــــن الله يزيـــــداً والـــــدعي ابـــــن زيـــــاد
وابـــن ســـعد وابـــن هنـــد وأولـــي البـــأس الـــشداد
لعنـــة تبقـــى مـــدى الـــدهر إلى يـــوم المعـــاد

وأديب التقى الذي قال:

لعنـــة الله علـــى شـــيبتها وأثـاب الله فيهـا مـن لعـن

والسيد الحميري في قوله:

لعـــــن الله حوشـــــباً وخراشـــــاً ومزيـــــدا
ويزيـــــــداً فإنـــــه كـــان أعتـــى وأعتـــدا
ألـــف ألـــف وألـــف ألـــف مـــن اللعـــن ســـرمدا

وعباس القرشي في قوله:

لقـد بـاد لـؤم جميـع الأنـام ولـؤم سـعيد أبـى أن يبيـدا
ألا لعـــن الله ذاك اللئـــيم وآبـــاء ذاك اللئـــام العبيـــدا

حتى فتيان الشاغوري أكثرهم إضحاكاً حين يقول:

لعـن الله جُـرجُس القنياطـا وسـقى قبره خـرىً وضـراطا

فإن لعنته - مع ذلك- ولعنات بقية الشعراء الذين مثلنا

لهم.. تبقى دون جمال لعنة امناجي وحلاوتها:

ويبدو أن هذه اللعنة لم تكن الوحيدة في شعره..

فحلاوة وقعها.. التي كانت تميت الناس من الضحك، فيطالبونه دائماً بإلقائها- كما يقول ابنه الشاعر (يحيى): جعلته يكررها في غير مكان[٣٨٤].. فهو يختم قصيدته في هجاء وادي سهام بعد أن فعل ما فعل بالمراوعة بقوله:

عَـــلاَكْ نَعْلَـــهْ مُؤْبَـــدْ وَنَعْلَـــهْ ثَانْيَـــهْ تْزِيـــدْ
مَـــا دَامْـــتَ اللَّعْـــنْ يْجَـــدْ تَلْعَـــنْ يَومْيَـــهْ جْدِيـــدْ

فإصرار امناجي هنا على لعن الوادي بهذا الشكل المفصّل أفادت كثيراً في أنسنته.. وإقناعنا بمخاطبته.. كوجود حي.. يسمع ويعي ويتألم..

بلاغة الجمع ثم التقسيم.. لا تقف عند شواهد اللعن

---

(٣٨٤) روى لي يحيى مناجي أن كثيرين من سراة الناس ممن عرفوا والده وامتدت حياتهم بعده وعلى رأسهم السيد عبد الباري مكعدل صاحب دير القحم التاجر المشهور الذي توفي سنة ١٩٩٢م كانوا يطلبونها دائماً منه (من يحيى)، وكانوا عندما يسمعون أبيات اللعن هذه يغرقون في الضحك إلى حد بعيد.

في شعر امناجي ثواب.. فهو يستعملها في الدعاء.. على أعدائه.. مثل قوله:

وْقُلْتْ مَسْعُودْ صَابَنَا يَا رَبّ مَسْعُودْ يُصَابْ
هَبْ لَهْ مْصِيْبَهْ كُولِيهْ وْفَتِّحْ لَهَا أَلْفْ بَابْ

كما يستعملها في تصوير حالة مسعود حين القبض عليه بعد انكشاف أمره:

لَمَّا أَتَى امْسِلْكْ يَطْلُبَهْ وَمْعَسْكَرِي لَهْ كَبَابْ
كَتَفْ وْفَلَّكْ وْزَنْجَرَهْ وْزَرّ بَطْنَهْ لْكَابْ
وْدَحْنُ وْيَا هَزْوَرَهْ وْدَمْعْ عَيْنَهْ سْكَابْ

وإلى جانب بلاغة الجمع ثم التقسيم.. يبرع امناجي في بلاغة تعليق الشرط؛ وهو أن يعلق المتكلم مقصوده على شرط يلزم نفسه بتعليقه مبالغة في تأكيد المعنى..

مثل قول أبي تمام:

فإن أنا لم يحمدك عني صاغراً
عدوك فاعلم أنني غير حامد

وكشأنه دائماً يجيء تصرف امناجي في صورته أبسط وأجمل وقعاً في النفس.. خاصة حين يقول مخاطباً الشيخ

إبراهيم بن عبد الله القوزي في شأن العبد ذياب:

ذِيَـــابْ لاَ فْعِـــلْ سَـــيِّئَهْ عَبْـدَكْ عَلَـى كُـلّ حَـالْ
وانْ شَـــــاثْبِيْعَهْ بِعَـــــهْ ولاّ اجْمَلَـــهْ كَامْجِمَـــالْ
وَاذْبَـــــحْ إِذَا قَـــــالْ آهْ لَتْعُـــدّنَا مِـــنَ الرّجَـــالْ

فاشتراطه على نفسه عدم تأوه ذياب، وتعليقه الشرط ليس بسقوط رجولة ذياب بل بسقوط رجولته هو (امناجي).. هو أسلوب بلاغي يتم من خلاله المبالغة في تأمين التعّهد..

وقد استعمله الشاعر.. في قصيدة أخرى من القصائد الخاصة بذياب.. وإن كان لم يعلق الشرط بنفسه هذه المرة بل بعزيمة الشيخ:

ذِيَـــابْ عِنْـــدِي اعْتَـــذَرْ لْمِثْـــلَ ذَا مَـــا يْعِيْـــدْ
وإِنْ عَـــادْ مَـــا لَـــهْ مَفَـــرّ وَأَنْـــتْ عَزْمَـــكْ شَـــدِيدْ

ومن الطريف هنا أن علق الشرط — شرط ألا يعود ذياب إلى العصيان.. بعزيمة الشيخ وذلك في قصيدته الأولى.. عندما كان راكناً مدلاً عليه..

أما في الشاهد الأسبق.. فقد علق الشرط بنفسه وكأن

ذلك من باب الضمان الشخصي على ذياب..

وامنـاجي في هـذه الاسـتعمالات البلاغيـة الطريفـة والذكية أيضاً يبدو شاعراً كبيراً بكل جدارة واستحقاق.

ومن ملامح روعة الصورة وقوتها عند امناجي قدرته المذهلة على توليد الصورة في سياقات تتنامى وتتعدد فيها المشاهد التي تخلقها الكنايات والتشابيه حتى تصل إلى ذروة بالغة مدهشة كما في قوله يخاطب قفلة:

مِنْ أَجْلَكْ ذَحِّينْ عَادَنَا امْصَحَنْ قَلَبْتَهْ بِطْنِي كْحَوشْ امْصُدَامْ
وْلِسْنِي امّفْتَاحْ
حَدُّ مِثْلَمَا امْشَرِيمْ شَا تَقْرَحْ قَنَابِلُ إِذَا دَكَمْتَهْ

فالكنايات والتشابيه تتلاحق وتتداخل فيما الصورة تتضخم وتكبر وتتعدد مشاهد التمثيل لها وتصويرها حتى تبلغ ذروتها فتنفجر عند النهاية في قوله:

شَا تَقْرَحْ قَنَابِلُ إِذَا دَكَمْتَهْ

ولعل أبلغ دليل على نجاح الصورة إبداعياً، ونجاح المقصود منها هو الأثر الذي تركته على نفس الْمُخاطب (قفلة) وإرباكه وشلّ قدراته على الرد والمصاولة؛ إذ يقول الرواة: إنه انهزم وقام إلى امناجي وقال له: اللّه والنبي

حطحنا نقيِّل. وسكت ذلك اليوم ولم يقل.

٣- التصرف في الألفاظ

ثمة ناحية ألمحنا لها أكثر من مرة في سياقات سابقة؛ وهي تتعلق بقدرة امناجي على التلاعب بالألفاظ..

مثلما فعل في مداعبته لهلهل.. وفي تحدّيه للشاعرين الشاميين..

ولكنه كان أجمل تلاعباً بالألفاظ في قصيدة الرد على ابن امحنيش، ذلك التلاعب الذي يصل ذروته حين يجمع الطاء على طواطيط بدلاً من طاءات في قوله:

فَقُـلْ لاَبْـنَ امْحُنَـيشْ الطَّـا تْغَلْمَـطْ

مَنَـاجِي فِـي طَوَاطِيْطَـكْ تْـسَطّا

فبمقدار ما في هذا التصرف من سخرية فإنه يظهر مدى إمكانيات اللهجة، وتصرف ألْسنة العامة فيها، حتى لقد بدت طواطيط أكثر اتساقاً مع غرض امناجي من الرد مما لو كان استعمل الجمع الفصيح (طاءات).

٤-القدرة على الحجاج

إضافة إلى ذلك نجد امناجي ينجح نجاحاً باهراً في أساليب الحجاج الذي يقنع الخصم ويحرجه، كما في قوله للقوزي:

ذِيَـــابْ لاَ فْعِـــلْ سَـــيِّئَهْ عَبْـدَكْ عَلَـى كُـلّ حَـالْ
وانْ شَـــــاتْبِيْعَهْ بِعَـــــهْ ولاّ اجْمَلَـــهْ كَامْجِمَـــالْ
وَاذْبَـــــحْ إِذَا قَـــــالْ آهْ لَتْعُـــدّنَا مِـــنَ الرّجَـــالْ

وقوله له أيضاً يذكره بوعده الذي قطعه له بإطلاق ذياب:

انْـــتَ الَّـــذِي وْعَـــدْتَّنَا فِـي بَـابْ يْـسَمَّى الْعُقَـابْ
وَنْـــتَ الَّـــذِي قُلْـــتَ لِـــي شَـــلْحَقْ وْشَـــخْرِجْ ذِيَـــابْ
يَـــا شَـــيْخْ يَـــا دَاهْيَـــهْ لْمِثْلْـــكَ امْكَـــذْبْ عَـــابْ

الأكثر طرافة تجلي قدرته على الحجاج والتبكيت وهو يخاطب وادي سهام قائلاً:

قُلْـــتْ وو رَبِّ اشْـــهَدْ سَـــهَامْ نَـــاوْيُ يْزِيْـــدْ
سَـــهَامْ جَـــاوَزْتَ الْحَـــدّ عَـــسَى جَـــالْسُ عَنِيْـــدْ

تَهْجُـــمْ بِـــلاَدْ الأَمْجَـــدْ الأَهْـــدَلِيّ الـــصِّنْدِيدْ
وَلاَ تْأَسِّـــفْ مِـــنْ حَـــدْ وِدَّفِّـــنْ بِـــلاَ لْحِيْـــدْ
مْكَـنَّكْشْ مَـورْ الأَسْـعَدْ اللِّـــي زَايْـــدَهْ يِزِيـــدْ
فِـي أَرضْ هَـادِي بْـنَ احْمَـدْ يَـــدْفَعْ يَومْيِـــهْ جِدِيـــدْ
وْسَـــرْدُودْ كَـــامْبَحْرْ وْمَـــدّ اسْـــأَلْ دَحْمَـــانْ وَامْعَبِيـــدْ
اللِّـــي امْظُـــرُوفْ مَـــا تَعْتَـــدّ وَاخْـــضَرْ يَومْيِـــهْ امْنَـــصِيدْ

وهو أسلوب سبق لنا الإشارة إلى أمثلة منه فيما مضى.

وتُظهر نصوصه التي بين أيدينا.. أنه كان سليط اللسان، يمتلك قدرة عجيبة على توجيه الإهانات الممزوجة بخفة الدم.. فقد سمعت ابنه يحيى مراراً.. عندما يروي رده على النهاري يغير في الشطر الأخير.. فيقول:

شـــاهب واحـــده رزينـــه

بدلاً من:

شـــاهب ثلاثـــين بامرزينـــه

تحرجاً من شدة وقعها.. كذلك فإنه كان يتحرج كثيراً في رواية لعنات والده لمسعود رغم ما لاقاه والده من ظلم مسعود ومكايداته وسخافاته.

الخاتمة

وبعد.. فها نحن نصل إلى خاتمة مطاف ما استطعنا أن نصل إليه من سيرة امناجي ثواب وشعره، وما يمكن أن نصل إليه من خلال هذا الشعر، سواء الجانب المتعلق بحياة امناجي وعالمه الشعري والإنساني وحضوره الخاص في زمنه، ذلك الحضور الذي جمع بين الرهافة، والبساطة، والذكاء، والفكاهة، والدلالات الاجتماعية والثقافية التي تشهد على حياة إنسان كبير في إبداعه، بسيط في وجوده، تكنفته ظروف العسر والإملاق، فجابه مع أسرته مشاق الحياة وأمراض المجتمع والناس؛ بالشعر وخفة الظل، والجمال الإبداعي الذي ينعكس أيضاً على الجانب المتعلق بالدلالات الإبداعية والخصائص الفنية التي يمكن أن تُقرأ في شعره.

على أن هذا العمل لم يقف باشتغاله عند سيرة امناجي وشعره، بل تعداه إلى التوثيق لجوانب مختلفة من الحراك الاجتماعي ومجريات الحياة التي وجد امناجي نفسه في غمارها، إضافة إلى التوثيق لصور من المشهد الشعري الشفاهي في ذلك الوقت من خلال شعراء عاصرهم امناجي واحتك بهم، والتوثيق لفنون وألوان شعرية أبدع فيها شعره، أو من خلال ما جرتنا إليه الاستطرادات —وما أكثرها- خاصة حين يتشجن الحديث ويأخذ بعضه بأطراف بعض.

وما وصلنا إليه رغم الجهد الكبير الذي بذلناه من أجل تحصيله، فإننا لا نشعر بالرضا عنه، فتجربتنا في توثيق سيرة امناجي ثواب وشعره وكذلك في توثيق شعراء آخرين مثل: امبارك بكير، وسود معمى، ويوسف خبش، ومحمد مداوي، وزبلة، ومصلح هادي، وعمير وغيرهم، وكذلك تجربتنا في توثيق فنون من الشعر الشفاهي المغنّى وغير المغنّى، وفنون من العادات والتقاليد والألعاب والرقصات؛ مثل: فن الطارق، وأغاني الزير، وامشنب، وامشنجع،

وامفدايه، تظل كلها مهما بذلنا فيها من الجهد تجارب ناقصة، تكتمل بالمراجعة المستمرة والبحث عن روايات جديدة ورواة جدد، كما تكتمل بجهود باحثين آخرين يدأبون اليوم على التوثيق والدراسة لهذه الفنون، أو جهود باحثين سيأتون مستقبلاً ليقدموا الكثير من التصويبات والاستدراكات على ما قدمناه، وليقرءوا ما كتبنا من زوايا جديدة ومنطلقات مختلفة لم نفطن إليها أو لم يوصلنا إليها منهجنا وأدواتنا.

إن صعوبات الكتابة في هذا المجال؛ مجال توثيق الشعر الشفاهي، أو ما يجري مجراه من فنون شعبية، وعادات وتقاليد لا تقتصر على مشاق البحث والجمع، وما يتطلبه ذلك البحث والجمع من إلحاح على الرواة وقطع المسافات، وبذل النفقات من أجل تحصيل المادة المروية، بل يتعداه إلى ما هو أصعب وأهم؛ وهو الغرق في بحار الشروح والتفسيرات للألفاظ والمصطلحات والتعابير التي ارتبطت بزمن وأحداثٍ وثقافة لم يعد الكثير منها موجوداً

اليوم، وهي في نفس الوقت واردة ضمن سياقات شفاهية غير مكتوبة وغير موثقة بأي شكل من أشكال التوثيق إلا ذاكرات الرواة التي لا يمكن أن يبقيها الزمن على حال، فما يبقى لنا منها هو ما يبقى في المنخل مما يستعصي على السقوط.

ثم إن هذا المجال وعر المسالك، لم تمهده الأقلام من قبل، ولا سلّكته ألسنة المثقفين ومناهج الباحثين، فالدخول إليه دخول إلى أرض بكر يحتاج افتراعها إلى همة غير عادية.

كما أن التعبير عنها بلغة مكتوبة، معلومة المصطلحات، موثّقة التعابير، مرصودة التطور يعد مشكلة كبيرة، فأنت لا تفسر ملفوظاً بملفوظٍ يساويه أو يقترب منه في الدلالة؛ إذ أن القول الشفاهي —خاصة قبل ستين سنة- لا يختلف عن الفصيح في مباني الألفاظ وما يتعلق بالنحو والصرف فحسب، بل يختلف أكثر فيما يتعلق بالانزياحات البلاغية والدلالية التي تحملها لهجة خاصة تعتمد في ثروتها الدلالية على التناص مع البيئة وجيراننا فيها.

لقد حاولت في هذا الكتاب الوصول إلى لغة تحفظ التوازن بين المنطوق الشفاهي (غير الشعر) الذي جاء على ألسنة الرواة، واللغة الفصيحة التي لها اشتراطاتها الخاصة.

كما حاولت تعريف الأماكن، والشخصيات، والأسماء، والتسميات، والتعابير، والمصطلحات قدر الإمكان، وحاولت جهدي أن لا أترك شيئاً يقرؤه القارئ ويتعجب لعدم تفسيره، كما حاولت أكثر أن يتسم المكتوب كله بلغة سردية رشيقة تتناسب مع عالم المكتوب عنه، وفصول حياته التي تليق بها الكتابة السردية.

وهذا لا يعني أنني راضٍ عن كل ما فعلت في هذا الباب، فثمة أشياء كثيرة أشعر أنني لم أستطع أن أصل فيها إلى المراد، وأن ثمة نقصاً يجب إتمامه أو محاولة إتمامه.

أخيراً.. فإن هذا الجهد وإن حمل اسمي فهو ليس جهدي لوحدي، فلا بد أولاً من شكر كل الرواة الذين أمدّوني بمادة هذا الكتاب بدءاً من ابني امناجي الشاعر

يحيى مناجي رحمه الله وأخيه محمد مناجي، وابن عمهما ثواب علي، وصديق صغير، والأصدقاء: أحمد سعد الله، وأبوالغيث ثواب، وعبده طاهر عقيلي، وعلي شوعي حنش، وكذلك الأستاذ الكبير الأديب علي الأهدل.

كما يجب تقديم الشكر للأخ فتحي يحيى مناجي حفيد امناجي الذي أمدنا بعدد من الصور القديمة لمدينة القناوص وسوقها.

والشكر واجبٌ أيضاً لكل من ساهم في تقديم العون والمساعدة من الرواة الذين أخذنا عنهم معلومات أو نصوصاً عن شعراء أو حوادث أو شخصيات جاءت في الكتاب في سياق الحديث عن سيرة امناجي وشعره أو في الهوامش والشروحات وأسماؤهم مذكورة في أماكنها، لكنني أخص بالشكر الأديب الكبير أبو القصب الشلال الذي تعاون معي كثيراً، كذلك الأستاذ عمر كزابة الذي أمدني بمعلومات وافرة.

الشكر أيضاً لمن تحملوا معي عنت ومشقات البحث والتنقيب والنفقات المادية، وأخص بهذا والدي الشيخ أحمد عبد الله مهدي الجيلاني، وأخي الشيخ محمد، وأخي إبراهيم —رحمه الله- وسائر أفراد أسرتي.

كما أخص بالشكر الأصدقاء الدكتور المثقف علي الأهدل الذي بذل جهداً مادياً ومعنوياً لا أنساه في سبيل إنجاح هذا العمل، والأستاذ التربوي أحمد بهلول الذي استضافت منزلته بالقناوص جلستي المراجعة لمسودة الكتاب الأولى، وعبد الله أبكر عاقل الذي على يديه انطلقت شرارة هذا العمل قبل عشر سنوات.

كما أشكر الصديقين العزيزين الأستاذ حسن علي الزيلعي الذي راجع هذا العمل وصحح لغته، بل وشاركني شرحه ومنهجته، والأستاذ حفظ الله أحمد عقيل الذي تولى عملية الصف والإخراج.

ولا أنسى الجو الذي وفره لي أخي محمود وابن أخي محمد والصديق عاصم الأهدل الذين استضافونا أثناء طباعة وإخراج هذا العمل في بيتهم.

ملحق الصور

محمد مناجي الإبن الأصغر للشاعر مناجي ثواب أثناء حديثه
عن حياة والده في دكانه بمدينة القناوص.

سوق الجمال بالقناوص في الستينيات من القرن العشرين

سوق الدلاء في القناوص قبل خمسة وثلاثين عاماً

المحناط أو سوق الحب الذي كان مسرحاً لكثير من من مناكفات ومساجلات الشاعرين امناجي ثواب وامحمد نهاري، وهذه الصورة للسوق تعود إلى ستينيات القرن الماضي.

البريح (نزع الماء من البئر الشمالية في القناوص في ستينيات القرن الماضي)

صورة أخرى للبئر الشمالية

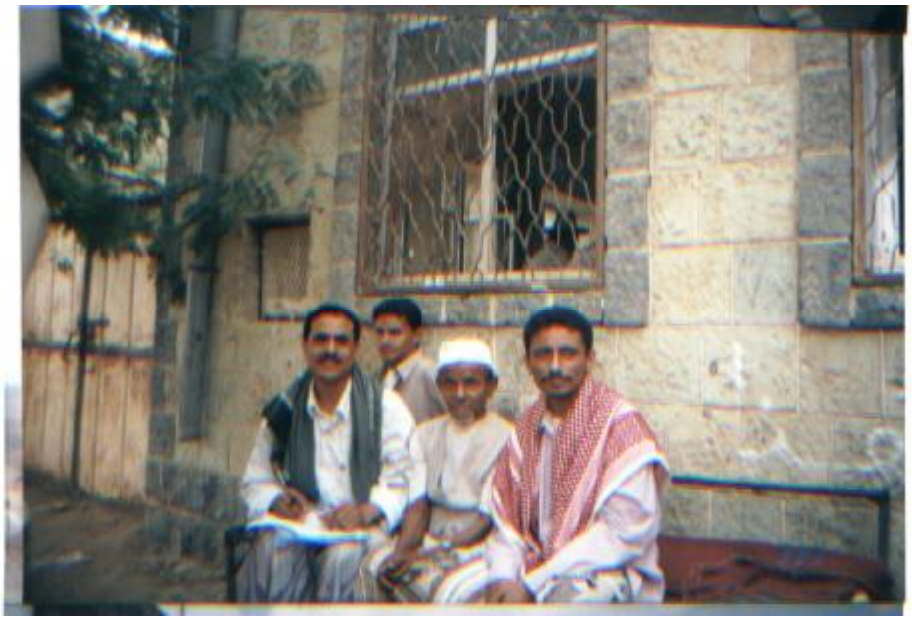

صورة للشاعر يحيى مناجي أثناء روايته عن حياة
والده الشاعر امناجي ثواب

في الصورة يظهر الموجه التربوي أحمد بهلول وأخي
خالد.

بقايا قلعة القناوص الشهيرة بعد أن تركتها يد الإهمال لتتهدم.

ضريح الولي عبد الله بن حسين الكميت حامي حمى القناوص من الأولياء الكبار توفي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

فهرس المحتويات

كلمة شكر ٣
مقدمة ٥
مـدخــل. ١١
حياته.. أو رحلة المنغصات الطويلة ١٥
اسمه وأصل أسرته ١٥
صفته ٢١
مولده ووفاته ٢٢
بين ضرورات العيش وقلق الشاعر ٣٢
انتقاله إلى الحديدة ٤٠
رحلته إلى عدن ٤٨
عودته إلى الحديدة ٥٠
العودة القلقة إلى القناوص. ٥٢
قصته مع مسعود. ٥٤
وساطته لذياب. ٧٩
امناجي وشعراء عصره. ١٠٧
شعر امناجي بين خيانات الذاكرة والتفريط في المكتوب.. . ١٧٩
من خصائص شعر امناجي. ١٩٥

١- تعدد الألوان الشعرية ١٩٥
٢- القدرة المدهشة على التصوير ٢١٧
٣- التصرف في الألفاظ ٢٢٥
٤- القدرة على الحجاج ٢٢٦
الخاتمة ٢٢٨
ملحق الصور ٢٣٥
فهرس المحتويات ٢٤٥